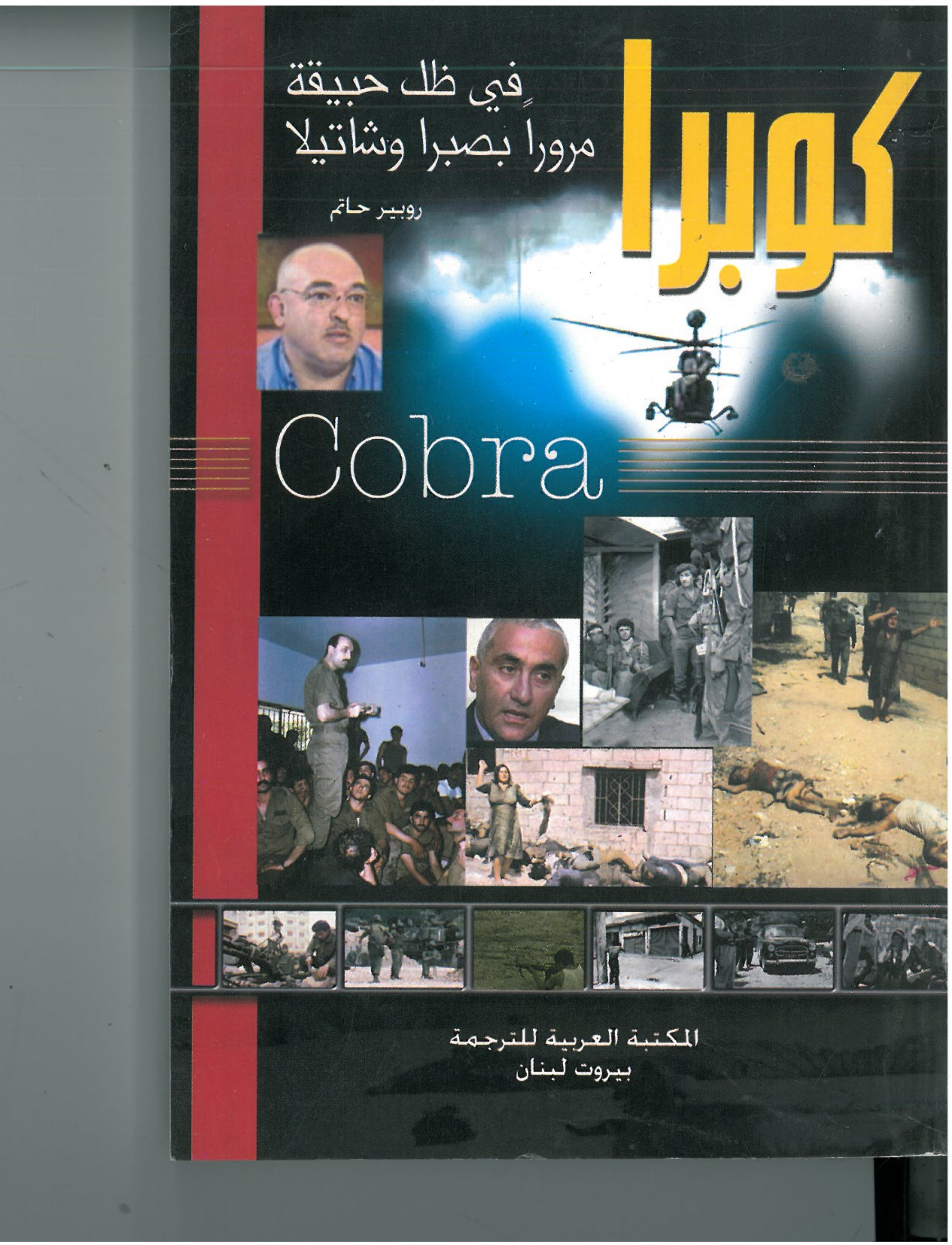

كوبرا
في ظل حبيقة
مروراً بصبرا وشاتيلا
روبير حاتم
Cobra
المكتبة العربية للترجمة
بيروت لبنان

روبير م. حاتم

كوبرا

في ظل حبيقة.....
مروراً بصبرا وشاتيلا

جان بيكولك

٤٧، شارع أوغست لانسون. ٧٥٠١٣ باريس

تلفون: ٠٤ ٧٣ ٨٩ ٠١٤٥ _ فاكس: ٧٢ ٤٠ ٨٩ ٠١٤٥

بريد إلكتروني: Jean. Picollec @ moos. fr.

تنبيه

حرصنا على كتابه الكلمات والأسماء العربية وحاولنا أن نكون متنّبهين لا سيما بالنسبة لترابطهم وتشابههم، بشكل عام، حاولنا استعمال كتابة الأحرف حسب كتابتها في الفرنسية المستوحاة من شمال أفريقيا وليس حسب الكتابة الشرق أوسطية وهكذا كتبنا El Cheikh بدل Al Cheikh.

شكراً لتفهمكم في حال وجود بعض الاختلافات في الشكل الخطّي.

هذا العمل هو الطبعة المنقّحة (المراجعة والكاملة) لروايتين مطبوعتين عام ١٩٩٩ واحدة بالعربية لدى المؤلف، المطبوعة في إسبانيا «طريق الخيانة، من إسرائيل إلى دمشق والثانية بالإنكليزية المنشورة من قبل Pride International Publication دار برايد العالمية للمطبوعات (الولايات المتحدة) من إسرائيل إلى دمشق، مسيرة الدّم والخيانة والخيبة.

تصميم وإخراج فنّي
Riwal Communication
٣٩ شارع Vineuse، ٧٥١١٦ باريس
تلفون: ٠١٥٦٩٠١٠٩٠ فاكس: ٠١٥٦٩٠١٠٩١

المقدمة

في تشرين الثاني ١٩٩٧ كان إيلي حبيقة اللبناني الماروني أبرز الموالين لسوريا في الحكومة التي يرأسها رفيق الحريري الذي كان من الملياردديين من أصل لبناني ولكن يحمل الجنسية السعودية.

أصبح إيلي حبيقة نائب في البرلمان معيّن من دمشق عن طريق انتخابات تشريعية مزوّرة ومقاطعة من أغلبية اللبنانيين. كان حبيقة، منذ عودته من عزلته في زحلة عام ١٩٨٠، يحاول تحسين صورته محاطاً بهالة من الطهارة، أراد أن يحافظ على مركزه تحت شمس لبنان المحتل المفكّك والمنهوب. وفجأة أدرك حبيقة أنني أنا روبير ماورن حاتم المعروف أكثر باسم «كوبرا»، ظلّه (كلبه الحارس ورجله في كل الأمور) وأكثر حراسه إخلاصاً منذ عشرين سنة أعرف الكثير لأبقى على قيد الحياة. وأصبح هاجسه التخلّص مني كما فعل دائماً مع المخلصين له. شعرت بالخطر، لكن كما يقال عندنا: «دخول الحمّام ليس مثل خروجه».

بعد أن أصبحت دون أي فلس فقيراً ودون الاستفادة من أي

دعم، لم يكن لدي خيار: إما الرحيل أو الموت. اخترت الحياة والحظ ساعدني بحصولي على تأشيرة دخول إلى فرنسا. كذلك أخي المطلوب أيضاً سافر إلى بلجيكا مع زوجته وأطفاله الثلاثة متخلّصاً من المستنقع اللبناني. لأول مرّة في حياتي عرفت معنى الخوف الذي يتغلغل في الأحشاء ويشلّ الحواس. ولم يخف حدّته إلى أن هبطت طائرتي على الأرض الفرنسية. عندها أدركت أنني أنا استوعبت وغالبية «الشباب» (اسم محبّب يطلق على المليشاوين التابعين لنا) خضعنا لغسل دماغ حقيقي، لم نكن سوى آلات مسيّرة ودمى متحرّكة في أيدي أسياد الحرب. لقد أضلّونا وأهدروا قضيتنا.

هذه القضية اللبنانية المحمية من المسيحيين، نبيلة وتستحق التضحية الكبرى. لقد شوّهوها كلّياً.

في فرنسا، بلد الحرية، الديمقراطية المساواة وحقوق الإنسان، لم أعد كبش المحرقة لإيلي حبيقة، ولكنني شعرت بأنني متروك وتائه. كنت أعلم بأن المريض العقلي الذي حميته من الخطر بحياتي لن يرتوِ سوى بقتلي. الأدلة التي في حوزتي تمكّنني من هدم الصورة المميزة التي صنعها وأن تضع حدّاً لطموحاته السياسية الملوّثة بالدم والخيانة. أصبح هدفي كشف كل الأسرار الدنيئة. بالتأكيد إنها مخاطرة ولكن لم يعد عندي ما أخسره. جريح حرب، مصاباً بشظايا في فخذي وكان عليّ الخضوع لجراحة طارئة منذ وصولي إلى فرنسا، دون عائلة لم أتزوج أبداً غلطة زمن، مجرّد من الأصدقاء بلا أصدقاء دون مال وكل ما أملك لا يكاد يسدّ حاجيات عيشي لا سيما وأنا على شفير اليأس.

لذا استطعت كشف كل الحقائق عن مرحلة سوداء من تاريخ لبنان المكتوبة من بعض زعماء الحرب، لكي أمتدح هؤلاء المئات من الشباب الذين استشهدوا خطأ أو صواباً لحماية وطنهم. لكل المنسيين والمعاقين الذين حطّمت حياتهم، ولأجل كل العائلات التي لم تترك لبنان، ويعيشون اليوم في الظلّ، مذعورين خاضعين للإذلال اليومي بسبب الاحتلال السوري وأتباعه اللبنانيين.

أنا على يقين راسخ، والأحداث تؤكد، بأن التواطؤ السوري - الأمريكي المستمر هدفه تصفية المسيحيين أو إبعادهم عن بلدهم لم ينته بعد. بالتأكيد، الجبهات هدأت وخطوط التماس أزيلت ولكن حرباً أكثر قذارة مستمرة على الشباب اللبناني اليوم أن يعوا طرق ووسائل الخداع التي يمارسها المحتل السوري لأنه كما قال الرئيس الشهيد الشيخ بشير الجميل في ١٤ أيلول ١٩٨٢: «علينا رفض أن نصبح تابعين». فالعمل على إعادة سيادة ووحدة لبنان يتمّ عبر معرفة إلى من توّجه طلقاتهم. على الأجيال الجديدة أن يكون لديها القدرة على التمييز بين الخائن التابع لدمشق وبين الوطني المخلص والنزيه. عليها أن تعرف بأن عدد كبير من المليشيا لم يكونوا سوى أشلاء (للدفاع).

استهلكونا والكثيرين ماتوا ليس لحماية أرضنا الطاهرة المقدّسة ولكن من أجل خدمة مشاريع ومصالح مجموعة من المتعطشين الذين سلبوا اللبنانيين مالهم، أحلامهم وآمالهم ومستقبلهم.

بعد حرب السنتين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ لم تعد الحرب ذات مبادئ. مناطقنا الحرّة تحوّلت إلى ميادين محكومة من قبل محتالين نافذين

وجشعين الذين لم يترددوا بفعل ما يشاؤون وفق مصالحهم. المقاتلون الشباب المتحمسون والسكان لم يعوا ذلك الأمر. كانوا يؤمنون بشكل أعمى بقادتهم، هؤلاء الزعماء الذين يوّجهوهم، كنا نتبعهم في الواقع دون طرح أية أسئلة. شعارات لتحرضنا وخطابات تخدّرنا، بلاغات النصر تحمسنا مقاتلين ومدنيين.

ولكن أحداً لم يسلم في نهاية المطاف. لا أحد فقط الجشعين. المسيحيون وكل اللبنانيين هم أيضاً ممتحنون، حقوقهم مغتصبة وآمالهم ضائعة مهانة. هل فات الأوان؟ ممكن وخاصة وأن المال هو الحاكم، والمبادئ الرئيسة والقيم الأساسية مداسة. وبالأخص بوجود عملاء مزدوجين من طينة إيلي حبيقة، الذائع الصيتُ H.K، رجل خطير، مناور وانتقامي وحقود وغامض يداه ملطختان بدم المسيحيين اللبنانيين أكثر من دم الفلسطينيين.

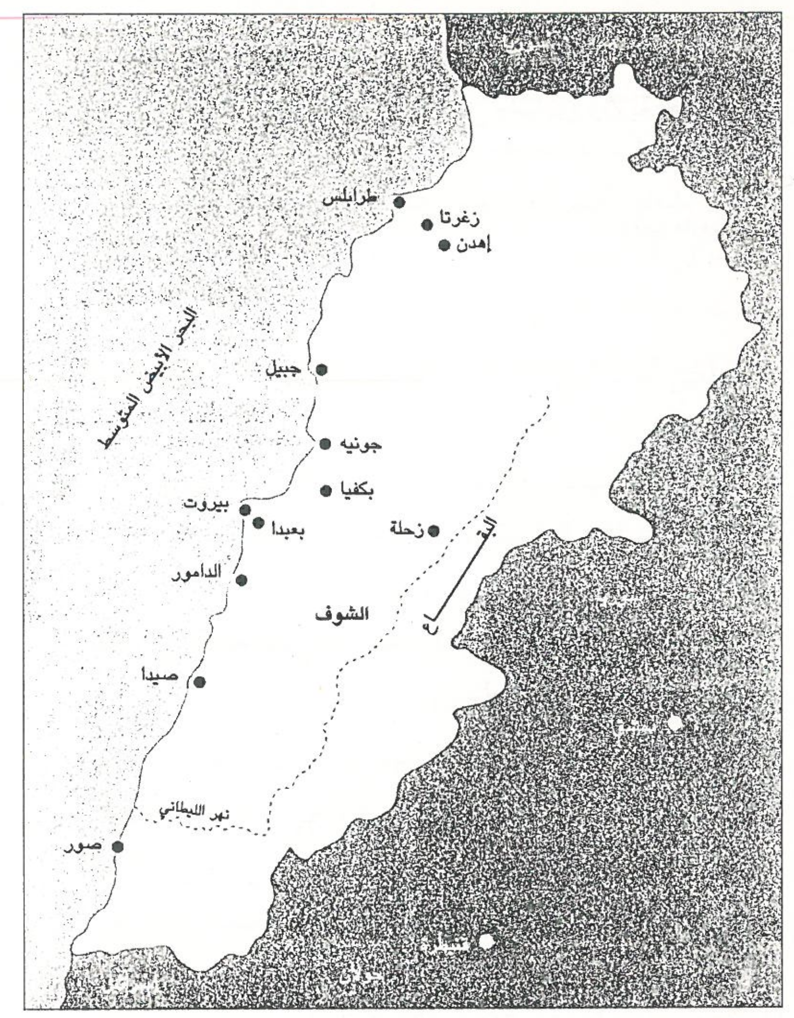
الذي أقدّمه في هذا الكتاب حقائق محضة. حقائق الحرب في لبنان، التي سمّيت في بعض الأحيان حرب أهلية وأحيان أخرى حرب الآخرين على الأرض اللبنانية، الذي يعني الحرب المدارة من قبل غرباء بأيدي عناصر لبنانية دخيلة. مهما كانت تسميتها، فهي حرب قذرة نتيجتها هزيمة نكراء للمسيحيين. إن الإبادة الحاصلة للبنان تبرهن بأنه من الآن وصاعداً لا مكان للحياد في المرحلة الراهنة.

يجب إعادة الأمور إلى نصابها على يد شرفاء محترمين. نحن بحاجة لشرفاء وأقوياء لا يضلّلون بوعود وأوهام كاذبة

[يكفي لبنان سماسرة وباحثين عن ذهب دون عقيدة ولا مبدأ.

نحن بحاجة لرجال تناضل، ولو لمرّة، لبناء الإنسان] [نحن بحاجة لمجموعة ثورية تعيد بناء لبنان على أسس ومبادئ ورؤية جديدة من دون أي تجار ومراهنين].

روبير مارون حاتم



خريطة لبنان

الفصل الأول

من أجل لبنان

كنت في التاسعة عشر من عمري عندما أُخذت في دوّامة الحرب الجهنمية. صباح نهار أحد مشمس في ١٣ نيسان ١٩٧٥ في ذلك اليوم كان سكان عين الرمانة وفرن الشباك مبتهجين، على موعد مع رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميّل لافتتاح كنيسة جديدة (كنيسة البشارة)، زعيم محبوب، شجاع، مستقيم ونزيه، وهو الرجل الوحيد الذي عارض مع ريمون إده، اتفاق القاهرة ١٩٦٩. وزير ونائب لعدّة مرات ترأس منذ تأسيسه لحزب الكتائب ودافع عن اللبنانيين ضد الوجود الكبير والمسلّح للفلسطينيين على أرضه.

عام ١٩٦٩ كنت في الثالثة عشر من عمري وكانت كل أحاديثي تدور حول السياسة نظراً لتدهور الوضع السريع، كان همي الأول لعب دوراً فعالاً في الدفاع عن اللبنانيين، والمسيحيون هم الهدف المفضّل للفلسطينيين. دون التوقّف عن تحديهم تابعت المنظمات الفلسطينية الاستهانة بجميع القوانين وإثارة النعرات بين الأحزاب اللبنانية.

أول إشارات الحرب الخطر بدأت في صيدا حيث جرت مناوشات بين الجيش اللبناني والفدائيين الذين كان هدفهم شلّ الجيش الوطني ومنعه من الدفاع عن بلده. تحوّل المواطنون إلى أسرى لدى العصابات الفلسطينية. لكن الشبّان المسيحيون كانوا يحضّرون أنفسهم للدفاع عنهم. نظموا لقاءات سرّية تحت كنف حزب الكتائب. عام ١٩٧٤، أصبحت الحالة غير مستقرة، تركت منزل أهلي، بشارع غنوم في عين الرمانة، لأسكن عند جدّي في فرن الشباك. إنني بالأصل من قرية الغابة في منطقة جبيل. جدّي طانيوس يزبك إفرام كان المختار. بولس بطرس حاتم، جدي لأبي كان ضابط صف في الجيش الفرنسي. كنت متعلقاً بالحيّ الذي تربيت فيه في بيروت وعلى علم بمشاكله أكثر من تعلّقي بقريتي التي ولدت فيها.

في ٢٧ شباط ١٩٧٥ بعد مقتل القائد المسلم السياسي معروف سعد، على يد عملاء سوريين على الأرجح خلال مظاهرة للصيادين تصاعدت حدّة الأمور.

كان المسيحيون يؤيدون الدولة والقوى الشرعية فيما وقف المسلمون ضد الجيش لهذا وضع الجيش اللبناني على الحياد قبل شرذمته. وهكذا ولدت الأزمة اللبنانية. كانت المناطق المسيحية تختنق من وطأت المخيمات الفلسطينية المجاورة. بمساندة أحزاب اليسار اللبناني، كان الفدائيين يضايقون الشعب، والجيش وقوى الأمن الداخلي.

أصبح سكان فرن الشباك وعين الرمانة المتنفس الوحيد للمسيحيين. وما كان يعيق تقدم المنطقتين المسيحيتين فرن الشباك

وعين الرمانة التي كان المعبر الوحيد بين مخيم تل الزعتر، جسر الباشا في المنطقة المسيحية وبين مخيمي صبرا وشاتيلا في الضاحية الجنوبية من بيروت.

وفي نهار الأحد ١٣ نيسان ١٩٧٥ وجدت نفسي مندفعاً في الحرب وأنا في عمر ١٩ سنة. متغيّباً دائماً عن المدرسة والمنزل، كنت ومنذ مطلع شبابي صبي غير نظامي ومتمرد. كنت أبحث عن الحرية والعمل ووجدت الذريعة. لكن، في هذا النهار، اجتمعت كل العناصر لاندلاع العنف. بينما كانت الأحياء المسيحية تحضّر لمناسبتهم السياسية والدينية كانت جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة جورج حبش تشيّع شهداءها بمراسم مليئة بالغضب وفي عرض قوى لم يسبق له مثيل.

في الحادية عشرة وبعد انتهاء افتتاح الكنيسة ظهرت سيارة فيات بيضاء وفتحت النار على الحشد الملتف حول بيار الجميّل وأردت رجلين أحدهما جوزيف أبو عاصي الحارس الشخصي للشيخ بيار وعضو بارز في حزب الكتائب وقائد لمجموعة الصخرة التي تضمّ أيضاً بيار، فؤاد وحلمي شرتوني. كانت مأساة حقيقية. تفرّق الجمع، أخليت الشوارع وسيطر جوّ من الغليان والحداد.

في الساعة الثانية عشرة والنصف مرّت حافلة من الفدائيين المسلّحين واجتازت الحي متحدّية غضبنا. ولكن الصمت سرعان ما خرقته طلقات نارية فتحطمت الحافلة وقتل اثنان وعشرون من ركّابها. كان ذلك أول لقاء لي مع العنف الدم والثأر وكانت أول شرارة حرب دامت خمسة عشر.

عند العاشرة ليلاً وبينما كان السكان في منازلهم مسمّرين أمام شاشات التلفاز لمتابعة الأخبار، متسائلين عن الذي ينتظرهم انهمرت قذائف على عين الرمانة. انتشر الذعر لم تكن الإشاعات مجرد إشاعات بل كان الفلسطينيون مصرّين على إبادة كل المسيحيين.

أمراً بالتعبئة العامة صدر من قبل أكبر حزبين مسيحيين الكتائب برئاسة الشيخ بيار الجميّل والأحرار بزعامة الرئيس كميل شمعون. وكذلك فعلت التنظيمات المسيحية الأخرى. أغلقت المدارس والجامعات. وطلب من الشباب الدفاع عن الوطن بالالتحاق بمعسكرات التدريب التابعة لحزب الكتائب في الجبل.

ثائر، وغضب عنيف، لم أقف مكتوف الأيدي فالتحقت بمجموعة مسلحة دون اسم، والتي ستعرف باسم التنظيم المسلح للرابطة المارونية. بعد تعبئة استمارة ودفع ٣٠ ليرة (٦٠ فرنك) التحقت بمخيم طبرجا في كسروان. مدربنا كان أبو روي وأخاه فاتق محفوظ.

قويّ، خبير، مغامر تقدّمت بسرعة وانضممت إلى مجموعة من المقاتلين النخبة المدعوة «فخر الدين»، أصبح مقرنا في شارع سامي الصلح على حدود بدارو التي كانت تفصل بين المنطقة الشرقية «المسيحية» والمنطقة الغربية «المسلمة». كانت تعتبر معبراً مهماً بين عين الرمانة فرن الشباك والأشرفية.. قائدنا اسمه Garrison نزيه وقاس يخدم حالياً في الجيش الأمريكي.

كنا نقوم بعمليات ضد الجانب الآخر على خطوط التماس ونجحنا بدبّ الرعب لدى الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين وهكذا

حافظنا على معنوياتنا مرتفعة ومعنويات السكان الذين قرّروا البقاء في منازلهم. حصلت خلافات كثيرة بين قائديّ التنظيم جورج عدوان وأبو روي إلى درجة دفعت بي للذهاب والانضمام إلى الكتائب، الشعبة ١٠٤ في فرن الشباك تحت قيادة طوني مهنا، الياس أبو عماد. هناك حصلت على اسمي كوبرا كاسم السلاح الذي كنت أحمله في القتال.

أرسلت إلى جبهة الأسواق حيث خضت أشهر المعارك معركة الفنادق التي كانت هدفها دفع خط التماس إلى ما وراء مصرف لبنان كان علينا احتلاله. وكانت معركة دايفيد ضد Goliath غوليات. الفلسطينيون وحلفاؤهم وضعوا كل قواهم ليسحقونا. وكنّا لهم بالمرصاد، تاركين الكثير من القتلى دون أن يؤثر ذلك على معنوياتنا.

في وسط المدينة تعلمنا أن نكون جيش منظّم وإطاعة الأوامر إطاعة عمياء، وأصبحنا رأس الحربة في المقاومة اللبنانية حيث كلمة الأمر كانت: نفذ ثم اعترض». أتذكّر جيداً معركة الفنادق. كنّا في أوتيل بيبلوس على بعد عشرون متراً من الهوليداي إن والمرفأ. الفلسطينيون وحلفاؤهم المرابطون كانوا يريدون عزلنا.

المخرج صعب، ولكن إيماننا كان يعطينا شجاعة ويحثّنا على مواصلة المعركة بشجاعة بإمرة جوزيف سعادة «عمّو جوزيف». كان قائد المكتب الرابع المسؤول عن المعدّات العسكرية والشؤون اللوجستية ولكي يثأر لقتل ولديه تمت تحت إمرته مجزرة السبت الأسود في ٦ كانون الأول ١٩٧٥.

خلال معركة بيروت الشهيرة سنة ١٩٧٥ تعرفت إلى مجموعة

«بي جي»، مجموعة كوموندوس من النخبة تضمّ «فؤاد أبو ناضر»، «أمين أسود»، حفيدي الشيخ بيار الجميل ومسعود أشقر المعروف «ببوسي»، و فادي إفرام وإيلي حبيقة الذي شارك في السبت الأسود. هؤلاء جميعهم كانوا أصدقاء لبشير الجميل «الباشا أو المعلم».

نهاية كانون الثاني ١٩٧٦ وبعد ٦٠ يوماً من الجحيم، انسحبنا من جبهة فينيسيا والهوليداي إن. قادتنا انهمكوا بالغنائم التي كانوا ينقلونها في شاحنات ليلاً بينما المقاتلون يحمون ظهورهم. استأت خلال انسحابنا الأخير للاستقرار في الباطون بنك سرادار قررت ترك اللعبة والعودة إلى فرن الشبّاك. وخاصة بأن مقتل «غي حلو» وهو شاب نزيه في باب إدريس قد أثار ريبتي. بالتأكيد كان السبب وجود خلافات على توزيع الغنائم على أعلى مستوى. كما علمت لاحقاً بأن ١٥٠ مستودع في المرفأ قد نهبت، وها قد بدأت الخلافات الداخلية الدامية. فأرسلت مجموعة «بي جي»، بالإضافة إلى حبيقة، لوقف النهب وإقفال مداخل المرفأ الأساسية. بدل إيقاف السلب قاموا بنهب المرفأ، وانتشر الفساد بسرعة. وكانت بدايات الخيانة للمسيحيين اللبنانيين وللقضية. واستمرت الحرب والخيانة أيضاً.

ولكن في هذه الأثناء، المقاتلون الشباب لم يكن لديهم لا الوقت ولا القدرة على التحليل ومعرفة حقيقة قادتهم، المعارك المستمرة على الجبهات التقليدية لم تكن تسمح لنا بملاحقة هذه الأمور حتى شهر حزيران ١٩٧٦ طلب منا الشيخ أمين الجميل المسؤول عن قطاع المتن تحت اسم «عنيد» أن نلتحق بجبهة تل الزعتر ـ جسر الباشا ـ

النبعة التي سقط فيها ثلاث آلاف شهيد مسيحي. فكرة القتال على جبهة جديدة ألهبت حماسنا وأنستنا هزائمنا ومن جديد عدنا.

علينا الثأر لقتلانا. وخاصة، أن المخيم الفلسطيني تل الزعتر كان مثل الحسكة في الزلعوم. فالعديد من المدنيين لاقوا حتفهم خلال محاولتهم الذهاب إلى برمانا ولأن المخيم كان يفصل بيروت الشرقية عن الضواحي الشمالية. كانت معركة هذا المخيم معركة تحرير. جرت العمليات العسكرية من دير مار موسى الواقع في منطقة برمانا بقيادة ضباط في الجيش اللبناني منهم الجنرال ميشال عون والكولونيل فؤدا مالك أيضاً.

وبعكس الشائعات الكاذبة المروّجة من العملاء لدمشق آلاف من الشباب اللبنانيين قاتلوا وحرّروا مخيم تل الزعتر. لكن السوريون أوقفونا خوفاً من أن نحرر كل لبنان. وقد استخدمنا الأسلحة الضرورية التي حصلنا عليها من الدول الغربية.

الخطة كانت تهدف التقدّم على ثلاث محاور وللمحاصرة ٢٣٠ من عناصر الشعبة ١٠٤ وكنت واحداً منهم تقدّمنا إلى جسر الباشا نحو مصنع للزجاج «الوليم حاوي» الذي كان بصفته قائد في قوات الكتائب أمرنا بإيقاف القتال وذلك خوفاً على معمله. لكننا تلقينا بكل سرور أوامر مضادة. وخلال ٦٠ يوماً تحت وابل من القنابل كنا نتنقل بين موقعنا في فرن الشباك وجسر الباشا. خلال المعارك، قتل قائدنا كارلوس أسطفان ووليم حاوي أيضاً بالرغم من الخسائر البشرية الفادحة كانت شعبتنا تواصل تطبيق أوامر الشيخ بشير الذي أصبح زعيم علينا تطهير المخيم. استمرت المعركة حتى ليل ١١ و١٢ آب

وسقط المخيم باستسلام الفلسطينيين وجرح اثنان من أصدقائي يوسف أبو عبدو وطوني كرم اللذان بترت أرجلهما أصبت إصابة بالغة وبقيت شهرين في المستشفى بين الحياة والموت. دفع الحزب لي ٣٠٠٠ آلاف ليرة أي ما يعادل ألف دولار. ومع خروجي قرّر أهلي إرسالي إلى الولايات المتحدة عند عمّي المقيم في ميامي. هناك علمت أن السوريين في إطار جيش الردع العربية قد دخلوا المناطق المسيحية ولم يكن انتصارنا في تل الزعتر سوى هزيمة مخزية. موجة الغضب الشعبي في أوجّه، الإحباط وانعدام الثقة عمت لبنان وخاصة كراهية السوري، ألم يعلن الرئيس السوري حافظ الأسد بأنه لن ينتظر إذن من أحد لنشر جيشه في لبنان في ٢٠ تموز ١٩٧٦.

بالنسبة لي، كنت أغلي من الغضب كنت بعيداً وكنت أتساءل عن كل تضحياتي. شاهدت وأنا أقاتل على جميع الجبهات الكثير من الأهوال. هل هناك من أضاع المسيحيون وخانهم؟ كنّا نكره السوري من العمق. وكنا نعلم بالفطرة بأن سوريا ومنذ استقلالها سنة ١٩٤٣ لم تعترف بلبنان كدولة بغض النظر عن الصبغة السياسية والقيادات التي حكمتها. وقرأت في الصحف الأمريكية بأن قادة إسرائيليين صرّحوا لأحد مبعوثين حزب الكتائب أنه ليس لديهم اعتراض على نشر الجنود السوريين مع الإبلاغ بأن هذه القوات بحال تمركزها لن تترك أبداً لبنان.

فالإسرائيليون أخذوا وعن طريق الملك حسين ضمانات شخصية من الرئيس حافظ الأسد بأن قواته لن تقترب من الحدود الإسرائيلية ولن يشكّلوا أي تهديد للجيش الإسرائيلي.

أتذكّر المكالمات الهاتفية من أهلي وأصدقائي في بيروت، كانوا يلومون زعمائنا وليس دمشق. بعد زرع الحقد في قلوبنا تجاه السوريين ها هم زعمائنا يطلبون منا أن نُدير ظهورنا وأن نحبّ عدوّنا الرقم واحد. جدران المناطق المسيحية امتلأت بكتابات: «أعرف عدوّك، السوري هو عدوّك. وكل نشرات بصوت المذيع الكتائبي «سعود لبنان» تضع كل مشاكلنا على السوريين. كنت أعلم أن الصراع لم ينته وبأنه عليّ أن أكون في مكاني وعدت. فالأرز والصليب والقضية كانت جميعها تلاحقني ولا شيء يمكنه أن يبعدني عن واجبي.

الفصل الثاني

السرطان السوري يضرب إهدن

بالرغم من إنذار إسرائيل وغضب الشعب تجاه السوريين استمر انتشارهم دون أية مشاكل. الجميع يتذكّر تصريح الشيخ بيار الجميّل الذي أعلن بأنه يفضّل التعامل مع الجنود السوريين على التعامل مع المجموعات الفلسطينية. في هذا الجوّ من الخضوع الظاهر اجتمع السياسيون للجبهة اللبنانية في دير سيدة (الزعمار) اللويزة في الجبل وقد أجبروا الشيخ بيار الجميل على توقيع اتفاق يسمح للقوات السورية الدخول إلى لبنان وعليه أن يلتزم بذلك لحين إيجاد مهرب لاستعادة الأسلحة وطرد السوريون. واستطاع بذلك الاحتفاظ بجميع المؤسسات التي أنشأها حزب الكتائب، من ضمنها الميليشيا.

ومع الوقت كنت أدرك مدى الخطأ الدرامي بالسماح بانتشار القوات السورية. وبدأ الغضب يتفاعل والعاصفة تتحضّر. لم يعتقد أحد فعلياً بأن الحرب انتهت. بدل السلام الموعود عمّ هدوء مقلق. بقي الشباب دون عمل يمضون أوقاتهم بالتجول في الطرقات يلعبون الورق أو طاولة الزهر هذه البطالة جعلتهم عصبيين. كان من الصعب

السيطرة على الشباب ومع مرور الوقت لم يعد الشباب يتحمّلون فكرة المرور على الحواجز السورية. وكنّا نضع المخططات للتمرّد على الوضع المفروض. كنّا نتعرّض دائماً للإهانات من قبل السوريين. وأصبح من الواضح بأن السوريين ليسوا هنا من أجل حمايتنا كما جعلنا نعتقد زعمائنا بل هم محتلون وعلينا طردهم. فبدأت المشاكل لتجنّب الأسوأ، قرّر قادتنا إرسالنا إلى الجنوب للمساعدة على الحفاظ على مناطق خالية من المقاتلين ضد الإرهابيين الفلسطينيين.

وهكذا، وبالرغم من الوعود المعطاة من قبل العرب في ١٠ تشرين الأول ١٩٧٦ في قمة الرياض بقطع أية علاقات مع إسرائيل، فالتعاون مع الكيان اليهودي استمر.

بطرس خوند، القريب من بيار الجميّل وابنه بشير، وقائد الجنوب ومن ثم لأسرائيل، كان علينا الانضمام إلى مجموعة يرأسها إيلي حبيقة المعروف حينذاك بإدوار. تحرّكنا ليلاً بسرعة وسرية من كنيسة صغيرة في منطقة البوار إلى شمال بيروت. وتمّ نقلنا بواسطة البحر إلى سفينة إسرائيلية رست بنا في حيفا حيث استقبلنا ضابط الساحل وأخذونا إلى مخيم عسكري. لم يكن هناك مشكلة لغة ولا أي مشكلة لأن الضباط كانوا من اليهود العرب: يمنيين، تونسيين ولبنانيين وكانوا قد تركوا وادي أبو جميل قبل أن يحتلّه الشيعة عام ١٩٧٦. ليلة رحيلنا إلى جنوب لبنان أقام لنا الإسرائيليون حفلة كبيرة ودعوا كل القوات اللبنانية. كان علينا أن نقف في الصف لإحضار الأكل والشرب. الكل منضبط إلا أنا وكنت أحاول أن أقف في أول

الصف مما دفع أحد الرجال الغير معروفين لديّ لتوبيخي قائلاً لي بأن أقف في الصف مثل غيري فأجبته بعنف «أنا أذهب حيث أريد فهمت». سحبني رفاقي من قميصي وهمس لي أحدهم: «ألا تعرف من هو؟ إنه إدوارد المسؤول عن قطاع لبنان الجنوبي هو الذي يحقق التواصل مع الإسرائيليين. وهكذا تعرّفت إلى الرجل الذي بقي لمدة عشرون سنة دون انقطاع رئيسي.

في اليوم التالي، نحن شعبة كتائب فرن الشباك الصلبة، تم نقلنا إلى بلدة طير حرفا. وكانت لدينا أوامر واضحة وجدية من الإسرائيليين بأن لا نقرب السكان الشيعة وأن لا نقتل أحد. عدوّنا هو الإرهابي الفلسطيني علينا مراقبته ومقاتلته: في بادئ الأمر كل شيء كان يسير على شكل جيد وأطعنا الأوامر. ولكننا سرعان ما بدأنا نضجر، كنّا نكره الشيعة وسرعان ما صرنا نسرق دجاجهم ونطلق النار على قطعانهم.

بعد قضاء شهرين بعيداً عن بيروت عدنا ونحن فخورين بما صنعناه. وصرنا نعرف بالقوات الخاصة. وكنا نتباهي بأنفسنا.

كان الوضع يتطوّر في المناطق المسيحية. وكان السوريون يذلوننا ويخضعوننا . فبدأنا نستفزهم. وأوقفت لحملي سلاح على حاجز سوري في جسر الباشا، منطقة كانت رمز انتصارنا على الفلسطينيين في تل الزعتر.

اقتدت إلى مركز سوري في حرش تابت في منطقة سن الفيل. الضابط إبراهيم حويجي ورجاله شتموني وضربوني لمدّة ثلاثة أيام.

وبعد تدخل رئيسي في الشعبة ١٠٤ طوني مهنا استطاع أن يخرجني من هذا المكان. بعد هذا، استحوذت كراهية السوريين عليّ. لم أعد أسيطر على حب الانتقام فأصبح الوضع مزعج بالنسبة لي ولأهلي ولأصدقائي. كان عليّ لتجنّب الأسوأ أن أبتعد عن هذه الأجواء الضاغطة. اقترح عليّ صديق، العمل في محل خردوات في المملكة العربية السعودية. لم يكن لدي خيار. هذا أو ترك نفسي بين أيدي السوريين.

بعيداً عن وطني، نفس السيناريو كان يتحضّر في الولايات المتحدة الأمريكية كنت محبط. الأرز، الصليب والقضية يشكّلون هاجسي. في البداية عملت بشكل جيد. لم أكن أتحدّث أبداً عن لبنان ولكن شعوري بالحرمان سيطر عليّ، وبدأت أدافع عن القضية اللبنانية علانية. ما عندي شيء لأخسره؟ وضعي في السعودية أصبح يثير الريبة. بدأ خلافي مع أحد زملائي الفلسطينيين في العمل حول الوضع في لبنان، حققت معي الشرطة السعودية في اليوم التالي عدت إلى بيروت وعدت إلى نقطة البداية. بدأ التوتر بين أعضاء الجبهة اللبنانية وخاصة بين بيار الجميّل وسليمان فرنجية الذي كان يسعى للانفصال عن التكتل المسيحي لإرضاء السوريين المعارضين لوحدة المسيحيين. فرنجية اختار صلب المسيحيين (بلا حرج) من أجل المال والشهرة.

بالرغم من أنه رجلاً حكيماً لكنه ضرب بعرض الحائط كل ما يتعلّق بالمجتمع المسيحي. فطلب من أعضاء حزب الكتائب إخلاء مراكزهم في الشمال لا سيما زغرتا الزاوية حصن فرنجية. وعمد ابنه

البكر طوني، إلى تحصيل عائدات الضرائب الغير شرعية على الأفراد والمصانع والمعامل وخاصة معامل شكا للإسمنت والضرائب على مادة الفيول الذي كان ينقل من مرفأ طرابلس. ثم بدأ عناصر الكتائب يتعرضون لأعمال عنف وقتل من قبل المردة. لم تعد المستشفيات تستقبل أي عنصر كتائبي، وطردوا من أعمالهم وضيّق الخناق عليهم.

عقد اجتماع أخير للجبهة اللبنانية في زغرتا دون نتيجة ازداد التوتر بين مسيحي الشمال والمسيحيين في المناطق الأخرى. عندها قرّر القادة المسيحيين اللجوء إلى الاغتيال لحل مشاكلهم. بعد اغتيال «جود البايع» أحد أبرز قادة الكتائب في زغرتا على أيدي ستة عناصر التابعين لطوني فرنجية. قرّر الشيخ بشير الردّ للحفاظ على مصداقية ووحدة الصفوف المسيحية ففي ٨ حزيران أخذ القرار بالتحرّك. وفي ١٣ حزيران انطلق كوماندو قوامه ٥٠٠ عنصر من الكتائب بقيادة سمير جعجع وبدعم إيلي حبيقة فقتلوا طوني فرنجية، وعائلته وحرسه.

أصيب سمير جعجع إصابة بالغة ونقل إلى المستشفى في شبه غيبوبة وقاد حبيقة العملية الذي تخطى الأوامر بقتله جميع أفراد العائلة. وتم ذلك بمساعدة جوزيف الأسمر.

كثير من شباب جوزيف الأسمر قد قتلوا خلال هذه العملية، منهم مارون سليم الذي تمّ دفنه بسرعة قبل تبليغ خبر موته لعائلته. المسكين حنّا شليطا سجن دون محاكمة أكثر من عشر سنوات في سجن وزارة الدفاع، بالرغم أنه لم يكن في الصفوف الأولى للهجوم ولم يطلق أية طلقة.

لم أشارك في العملية لأنني كنت في السعودية. ولكن عند

عودتي أهداني إيلي حبيقة مسدس سايد فرنجية كولت ١٢ الحارس الشخصي لطوني. ولكن لاحقاً أخذ إيلي حبيقة مني هذا السلاح وأعطاه لجورج ملكو.

احتفظ حبيقة بالصمت دائماً حول ما حصل في عملية إهدن، حسب مصادر جعجع فهدف العملية كان اختطاف ١٢ عنصر من المردة المسؤولين عن اغتيال جود البايع. وكان الهدف الضغط على إهدن حتى يخلي آل فرنجية شكا ومعمل الإسمنت ومصادرة العائدات الغير شرعية. بالنسبة لجوزيف أبو خليل صرّح بأن الهدف كان حجز طوني فرنجية في مقرّه لحين توقف المردة عن ملاحقة الكتائبيون. مهما كانت الأهداف فإن هذه العملية كانت منعطف خطر في تطوّر الحرب.

دسائس بين الجيش والميليشيا

الفصل الأول من العام ١٩٧٨ كان حافلاً بالأحداث الدامية. بعد عودتي من السعودية كان الاضطراب في أوجّه. توقيف بشير الجميّل على حاجز سوري في الأشرفية، والمصادمات بين الجيش اللبناني والجيش السوري في الفياضية والقصف السوري الأعمى على المناطق الشرقية والاتفاق بين مقاتلين مسيحيين والجيش الوطني كل هذه التفاصيل سُردت لي. ومنذ وصولي ومناقشاتي مع رفاقي في الشعبة ١٠٤ التابعة لفرن الشباك، أدركت بأن محرّك المعركة هو المجلس الحربي الذي يرأسه بشير الجميّل. هذا الأخير كان لديه الجرأة بإرسال في ١٦ نيسان ١٩٧٨، قبل مجزرة إهدن، مذكرة طالباً تحديد دور القوات السورية العاملة في قوات الردع العربية. واعتبر بأن حماية المناطق المسيحية ستكون مسؤولية القوات اللبنانية ما دام لم تصله أية إجابة على مذكرته. كان عليّ الالتحاق بمركز القرار هذا لكي أبقى على مقربة من قادة الحرب وأصحاب القرار الحقيقيين. (في ذلك العام أصبح مركز الأحداث الفعلي هو المجلس الحربي بقيادة بشير

الجميل) فما دلت معرفة تفاصيل ومجريات الأمور وساعدني على ذلك فؤاد أبو ناضر وبوسي أشقر وعرفوني على إيلي حبيقة المدعو H.K قائد الكتيبة الثالثة التي توكل إليها العمليات العسكرية الخاصة. وكان بوسي أشقر مساعده. كانت مهمتي الأولى مراقبة المستودعات ومتابعة الشباب الذين ذهبوا في دورات تدريبية إلى إسرائيل وازداد إعجابي بإيلي حبيقة بازدياد معرفتي به من خلال القتال من أجل القضية.

تلاحقت الأحداث بسرعة في هذه الفترة. تمّ توقيف إيلي حبيقة وأحد ملازميه جورج ملكو على حاجز للجيش اللبناني، خلال نقلهم للسجين الياس موسى المتهم بالتعامل مع الفلسطينين. نُقل إيلي حبيقة بطائرة هليكوبتر إلى جهة مجهولة. كردّة فعل، نزل رجاله إلى الشوارع مسلّحين. بالنسبة لي أصبحت ضائعاً دون قائدي المباشر ففضّلت العودة إلى المنزل والانتظار. محبط ومشمئز، أعاني من اليأس والملل، أفدنا بأن هليكوبتر تابعة للجيش تنقل السفير السعودي علي الشاعر والسفير الكويتي عند مرورها فوق جونيه باتجاه بيروت الغربية إنه تمّ إطلاق النار عليها بغزارة لإجبارها على الهبوط في حقل خس في منطقة يسوع الملك، نقل الشاعر مذعوراً إلى مارون مشعلاني ثم أعيد إلى منزله. اعتقد الشباب ومارون مشعلاني أن الطائرة كانت تنقل حبيقة وأنزلوها لتحريره. أصيب مشعلاني إصابة بالغة وعولج لمدة شهرين أما نازو فقد كانت يداه محروقتان وبعد الإسعاف الأولي عاد إلى منزله.

برغم المحاولات لم يفرج عن حبيقة واتهم هو وبطرس خوند

باغتيال الضابط في الجيش قزحيا شمعون المسؤول عن منزل وزير الخارجية فؤاد بطرس في الأشرفية. صدر الأمر باختطاف شمعون من بشير الجمّيل وبوسي الأشقر ردّا على مقتل ضابط آخر في الجيش النقيب سمير الأشقر الذي قتل في منزله في بيت شباب. وكل هذا العنف بين الجيش والقوات اللبنانية كانت تُدار من رئيس الاستخبارات جوني عبدو الذي بعد الحرب عينه رفيق الحريري سفيراً في باريس. ولم يفرج عن حبيقة إلا بعد ضغوط كبيرة على الجيش. عند الإفراج عنه دعانا للاحتفال في مطعم في برمانا حيث شاهدنا شريط فيديو عن الغارة الإسرائيلية في عينتيبي. كنا مبتهجين للغاية لدرجة التشبه بالكوموندو اليهودي الذي حرّر المسافرين الذين خطفوا على طائرة العال.

اعتبرت H.K بطلاً ولذلك كان عليّ أن أتبعه وأخدمه لأنه بحاجة لشخص مثلي. منذ ذلك الوقت أصبحت ظلّه «وكلبه» وبدأت أخسر صرت أتصرّف وأتحرّك وأفكّر مثله. كانوا يدعوني كوبرا H.K. وصل بيّ الاعتقاد بأن مستقبل لبنان والمسيحيين رهن به. كان العقل وكنت المساعد والعضلات. كان عليّ حمايته وتنفيذ أوامره في الحقل العام والخاص. لم يلفظ اسمه الحقيقي أبداً. صار معروفاً بلقبه H.K وأتباعه يرعبون المناطق المسيحية بالاحترام الممزوج بالخوف في كل طبقات المجتمع. كان حبيقة تحت إمرة بشير، وكان يسيطر على الوضع على الأرض وبصفته مسؤولاً عن الكتيبة الثالثة (العمليات العسكرية الخاصة) قام بتقسيمها إلى ثلاث وحدات تضمّ كل وحدة ٥٠ من أفضل العناصر في الميليشيا الأولى بقيادة مارون مشعلاني،

تهتم بالعمليات الخاصة وشعارها الجمجمة تضمّ مقاتلون من زحلة والبقاع بقيادة جوزيف الحاج معروف بأبو حلقة وأخيراً الثالثة وكانت تتألف من شباب حي السريان بقيادة جورج ملكو. هذا الأخير، الأشرس بين المحاربين، كان مسؤولاً عن الأشرفية، وبدارو وعين الرمانة مثلث المقاومة والموت. بالنسبة لي كنت ملتصق بحبيقة، ظلّه الصامت. لا أريد معونة أي شيء آخر. كان المطلوب مني أن أنسى كل ما أسمعه وكل ما أراه تفادياً لأية مشكلة.

ولكن حبيقة كان منزعجاً لأنه لم يعين بعد في مركز قائد جهاز الأمن والذي يعتقد بأنه الأنسب له. صحيح بأن غابي توتنجي نسيب بشير كان يشغل هذا المنصب، لكنه كان مشغولاً بتعبئة جيوبه متجاهلاً موجة السيارات المفخخة من قبل الفلسطينيين التي تعمّ مناطقنا. فخطتهم بإبادة أكبر عدد من المسيحيين وزرع الرعب كانت تسير بشكل جيد. وكان الرعب، واستغل H.K هذا الوضع ليفرض نفسه. فؤاد أبو ناضر، طوني كسرواني وفادي فرام الأعضاء القدامى في بي جي ومقربين من بشير، مهدوا لتسمية H.K، عبر الحديث بأنه متفرّغ، مدرب من قبل الإسرائيليين ولديه خبرة والجرأة والرؤية الواضحة. لكن بشير لم يكن يريد أن يسمع أي شيء عن هذا الموضوع وحتى حبيقة أبعد بعد خلافه مع توتنجي الذي وقف بشير إلى جانبه ضد حبيقة. وبعد مشاحنات عدّة وازدياد السيارات المفخخة ووقوع ضحايا أبرياء عيّن بشير حبيقة رئيساً لجهاز الأمن. كان يمثل الوحشية والدموية والقدرة.

الفصل الرابع

معركة زحلة

في هذا الوقت كانت القوى المسيحية تتقاتل قتالاً دامياً، اتهم الكتائب ميليشيا شمعون بالقيام بأعمال غير شريفة، كالمخدرات وعمليات تجسس وفتح بيوت لألعاب القمار. لم يكن عام ١٩٧٩ عام السيارات المفخخة التي حصدت معها المئات من المدنيين، ولكنه كان عام القتال الدامي بين الكتائب والنمور في حزب الأحرار. في جميع المناطق المسيحية من عين الرمانة حتى كسروان وأصبح الوضع لا يحتمل. في ٦ أيار قال بشير لضباطه خلال اجتماع طارئ «هناك أمر خطير علينا مناقشته. المناوشات التي بين الكتائب والأحرار هي مسألة حياة أو موت من أجل قضيتنا. سأطرح عليكم اقتراح وأريد رأيكم».

هناك ٣ تيارات سياسية مسيحية متعارضة: الكتائب التي فتحت جسوراً مع سوريا، الرئيس شمعون المقرّب من الرئيس فرنجية العدو اللدود للكتائب والقوات اللبنانية بقيادة بشير الجميل الذي هو على مسافة محدّدة من أبيه، فهو ضد السوريين وله علاقات وثيقة

بإسرائيل. وانفجار الوضع بين هذه التيارات الثلاثة لا يمكن تجنبه. الوداع لوحدة الصف المسيحي وللقيم وللقضية. كان البعض ينصح حزب الكتائب بمفاوضة السوريين لتحرير السجناء اللبنانيين منذ ١٩٧٨ في المزّة. وكأنهم نسوا بأن المدفعية السورية قصفت المدن المسيحية بدعم من المردة في الشمال منها «نيحا»، «ديربلا» و«دوما». وبعد انتهاء القصف هناك معارك دامية دارت بين الكتائب والأحرار في الضاحية الشرقية في بيروت. ونمور شمعون اختطفوا عشرة من الكتائب في حومل والكتائب احتلوا منطقة الأحرار في كفرشيما ـ الجيش اللبناني وقف مع الأحرار في حومل. الوضع لا يحتمل مع مقتل ٩ كتائبيون. لم يكن هناك سوى حل طرحه بشير الجميّل والحلّ في عملية جراحية عملية الصفرا معقل النمور، وهكذا ولدت عملية الصفرا أو عملية الضوء الأحمر التي وضعها الياس الزايك وفؤاد أبو ناضر ونفذها حبيقة.

نهار الاثنين ٧ تموز ١٩٨٠، ١٢٠٠ مقاتل من الكتائب هاجموا كل ثكنات حزب الأحرار في آن واحد. التجمّع كان قرب مغارة جعيتا في كسروان والهجوم كان متوقعاً في الخامسة صباحاً. ولكن لتجنبّ ورطة مشابهة لمجزرة إهدن وعدم التعرّض للزعيم داني شمعون، لهذا تمّ استبعاد عنصر المفاجأة. إذن الهجوم لم يعطى إلا بعد مغادرة شمعون صفرا مارينا نحو فقرا الواقعة في الجبل. (داني شمعون كان مقاولاً). المعركة بداءت. عشرات المدنيين قتلوا على الشاطئ وفي الطرقات. كانت لدينا الأوامر بإطلاق النار دون تمييز وكانت مجزرة حقيقية في المسابح والشاليهات التي كانت تعجّ

بالمدنيين قد تحصّنوا في الرابية مارينا، ظهرت كل الكراهية للذين طعنونا وغدروا بنا وقتلوا رفاقنا وأنصب غضبنا عليهم. أصبحنا مبرمجين للقتل غير قادرين على تمييز بأن هؤلاء الناس المساكين الذين كنّا نقتلهم بدم بارد هم مثلنا مسيحيون. بعض وسائل الأعلام أكدّوا بأننا كنّا (قد تعاطينا المخدرات). لكن هذا ليس صحيحاً. فنحن بكل بساطة قد خضعنا لغسيل دماغ إلى دمى متحركة. صوت إيلي حبيقة مملياً أوامره كانت تدوّي في أذني خلال المعارك. كنت، مثل باقي المقاتلين، منوّمين مغناطيسياً لم يكن لدينا للوقت.

كنا نرمي الأبرياء من نوافذ الفنادق وكنا نطلق النار على السابحين في المسابح. علمت فيما بعد بأن إيلي حبيقة الذي كان يقود شخصياً العملية وكذلك مارون مشعلاني الذي كان على رأس المهاجمين قد أصيبا بنيران الكتائب الذين ظنّوا بأنهم من النمور.

عملية الصفرا أو الضوء الأحمر الدامية انتهت. لجأ داني شمعون إلى زغرتا بالقرب من حليف سوريا سليمان فرنجية. ووعد بالانتقام وفرّ إلى أوروبا. وبعد ست سنوات سيحذو حذوه إيلي حبيقة.

بالرغم من كل الأخبار التي أشيعت، اقتيدت ترايسي، ابنة داني شمعون، من قبل بيار رزق قريب لحبيقة، بكل احترام لعند هذا الأخير.

بعد عملية الصفرا أصبح بشير الجميل ملك المناطق المسيحية وبالتالي أصبح حبيقة في أعلى موضع عسكري. جهاز الأمن. وأحاط نفسه بالغموض وزرع الخوف من حوله، كان ضباطه على التوالي: ميشال زوين المسؤول عن العمليات، إميل عيد مسؤول عن

التحقيقات طوني عرمان مسؤول عن الحدود والمعابر، الياس شرتوني مسؤول عن المخدرات والجرائم وغابي بستاني مسؤول عن التفتيش والتحقق. أسعد شفتري ساعده الأيمن يملك مكتب في السيوفي الأشرفية. كان هناك ضباط الأمن مارون مشعلاني، جورج ملكو وجوزيف الحاج (أبو حلقة). أما أنا فكنت حارسه الخاص ورجل ثقة، ورهن يده وخادمه المخلص. كنت أشعر كأنني ملك. كان العالم تحت قدمي والمستقبل لامع. ماذا أثمن من هذا؟

في ذلك الوقت لم أكن اهتم بالسياسة ولا بما كان يجري في الاجتماعات. كنت كل ما أسمعه أحاول نسيانه لكي لا أؤذي رئيسي أو القضية. ولكن كان كل شيء يسجّل في ذاكرتي بدافع الفضول. ولكنني اليوم أتذكر أول زيارة لكميل شمعون إلى المجلس الحربي في الكرنتينا بعد شهرين على عملية الصفرا. كان يحضر الاجتماع الأسبوعي للمجلس انتهى الاجتماع وسمعتهم يقولون أن بشير الجميل دفع قرابة مليون دولار أمريكي لشمعون وسمح له بالاحتفاظ بأرباحه من مرفأ الضبية، ليكسبه في قضيته.

الحرب الداخلية التي هزّت المناطق المسيحية تركت بالتأكيد المجتمع مذهولاً وفي حالة حداد. لكن مع الوقت التأمت الجروح وتقبّل المسيحيون فكرة بأن رجل واحد قوي، زعيم صريح هو الذي يمثّلهم وفي الفترة الواقعة بين عملية الصفرا ١٩٨٠ والاجتياح الإسرائيلي ١٩٨٢ كانت الأحداث قد تلاحقت حسب الكلمات الرنّانة التالية: التحرير النصر وانبعاث المسيحيين.

في آب ١٩٨٠ طلب الرئيس كميل شمعون من الجيش اللبناني

حماية المنتمين لحزب الأحرار الموجودين في الحدث وعين الرمانة بما أنها تمثّل حزب سياسي وليست ميليشيا. وافق الجيش فانزعج الشيخ بشير فقرر في ٣١ تشرين الأول التخلّص من وحدات الجيش المتمركزة حيث لا يجب أن تكون، وقامت معارك عنيفة. ولم تتوقف هذه الحرب إلا عندما تمّ الاتفاق على نشر الجيش على طول خط التماس وأصبح الأمن الداخلي في المناطق المحرّرة من صلاحيات القوات اللبنانية فقط. بعد ذلك بشهرين وقعت معركة زحلة. إسرائيل سلّحت ونظّمت بشير وضباطه (القوات اللبنانية). حفلات عشاء باذخة أقيمت على شرف الإسرائيليين لرفع معنويات بشير قدّموا له كل ما كان يحلم به: القوة، النصر والمال.

١٩٧٨ و١٩٨٠ من أصعب سنوات الحرب التي مرت في تاريخ لبنان حرب المائة يوم ومعركة زحلة. بالنسبة للأولى عملية الصفرا لم تكن قد تمت بعد، المسيحيون موحدون ظاهراً على الأقل والسوريون غاضبون. أوقفوا بشير الجميّل على أحد حواجزهم وقادوه إلى برج رزق حيث مقرّهم. ٢٧ حزيران، الضابط السوري علي ديب أخرج ٣٠ شاباً مسيحياً من بيوتهم في بلدة القاع وعذّبهم. الأول من تموز ١٩٧٨ عقد اجتماع طارئ للقوات اللبنانية لرفض الاعتداء على زعيمهم. مع حلول الليل، بدأ القصف السوري العنيف على عين الرمانة حصن المقاومة وفرن الشباك والتحويطة. استهدفت أيضاً مراكز لأمين الجميل، الهجوم كان غير متوقع ووقع العديد من الضحايا بين السكان في ٢ تموز التهبت المناطق المسيحية وعمّها الرعب. مئات المواقع السورية كانت تقصف بعنف. مع أول ساعات

النهار، ارتفع عدد الضحايا ٦٠ قتيل و٣٠٠ جريح. طُلب منا المقاومة والثقة بمن يدافعون عنا. كنّا نحارب بكل شراسة ضد سوريا عدوّنا الذي كان ولم يزل.

حرب الإلغاء هذه من قبل السوريين ضد المسيحيين أظهرت مدى تأزم العلاقات بين دمشق والجبهة اللبنانية. فقط الرئيس سليمان فرنجية الزعيم المسيحي زعيم الشمال هو الحليف المميز لدمشق. مارس السوريون ضغطاً على الرئيس الياس سركيس ومحاولة وضع شروط مستحيلة على المسيحيين. حافظ الأسد حاول إيجاد غطاء شرعي لوجود قواته على الأراضي اللبنانية رئيس الكتلة الوطنية ريمون إده أعلن «أن السوريين استعملوا مجزرة إهدن لإلغاء حزب الكتائب واحتلال لبنان حتى نهر الليطاني وهذا يؤدي بالتالي إلى تجزئة لبنان».

٦ تموز كانت بيروت تحترق استقال الرئيس سركيس، الأمر الذي أذهل اللبنانيون. هذه القفزة في المجهول كانت الأولى في تاريخ لبنان السياسي. حتى صوت لبنان، راديو الكتائب التي كانت تبثّ من الأشرفية حاولت إيجاد ملجأ لها في الجبل، في كسروان في دير سيدة اللويزة. افتتح بشير الجميّل إذاعة «صوت لبنان الحرّ» وسلمها إلى سجعان قزي للحفاظ على مسافة معينة مع الكتائب.

كميل شمعون الذي كان له فضل سياسي مهم رفع من معنويات المقاتلين، وحمل قلق الشعب مردّداً بأن السوريين يريدون إبادة كل المسيحيين. أعلن للمقاتلين: «سوريا تشنّ حرب إلغاء عليكم وعلى عائلاتكم. أطلب منكم أن تتوحّد قواكم وأن تقاتلون من أجل حريتنا وكرامتنا وبقاءنا. بيار الجميل أيضاً كان جازماً: سوريا تحاول لوي ذراعنا ونحن لن نلين». واستمر القصف.

بضغط أميركي سحب الياس سركيس استقالته مما أزعج السوريين. فقصفوا المناطق المسيحية وكانت حرب المائة يوم. مئة يوم من الرعب: قصف أعمى مناطق مسيحية مفصولة لوجود قناصين دون رحمة. وقرر السوريون الدخول إلى قلب الأشرفية، حي لا يوجد فيه سوى المقاتلون. واندلعت معركة برتي حيث ميشال «برتي» الصيدلي المقاتل استشهد وهو يبعد السوريين عن خطوطنا. قتلوا جميعهم. هذا زمن الأبطال وبرتي كان واحد منهم. الشرفاء الأقوياء الذين لن ننساهم ولبنان بحاجة إليهم اليوم كثيراً.

فقد السوريون الكثير من رجالهم على جبهات برج رزق والصيفي. ومركز القوات المسيحية منيت أيضاً بخسائر جسيمة. قرّر إيلي حبيقة التمركز في مبنى شركة كهرباء لبنان. تحت نقص في الذخيرة والسكان مختبئون في ملاجئهم يعانون من القلّة. كان علينا تموينهم. «موني عرب» مسؤول عن الإدارة العسكرية أمرنا بالدخول عنوة للمحلات والسوبر ماركت المقفلة. كنت أقوم بهذه المهمة على متن دبابة. سيارات صفراء تابعة لشركة الكهرباء تتبعني. حمّلنا السيارات بالمؤونة التي وزعّناها في طريق العودة. وفي هذه الحملة شاهدت ثكنة قوات الأمن الكتائبية قد دكّت. بعد نداء كميل شمعون للمقاتلين الشباب وللشعب ضد السوريين، ذهب الرئيس فرنجية إلى دمشق وأعلن من هناك بأنه لولا سوريا، لضاع لبنان. مربكاً المسيحيون، أعاد من جديد آلة الحرب السورية ضد المسيحيين المعزولين في الشمال وجبل لبنان حيث مجازر مقززة اقترفت.

ولم يدرك الغرب حجم الكارثة سوى في تشرين الثاني اجتمع

مجلس الأمن في الأمم المتحدة وأصدروا قرار بوقف إطلاق النار بين القوات اللبنانية والجيش السوري التي احترمت وقف إطلاق النار هذا. ولم يدرك اللبنانيون حجم الوحشية السورية سوى عند عودتهم إلى منازلهم ومشاهدة الدمار. أسياد دمشق، الذين لم يستطيعوا إلغاءنا جسدياً حوّلوا بيروت إلى كومة رماد. دمّروا كل البنى التحتية للمدينة. وحلّت القوات السعودية محل القوات السورية في المناطق المسيحية. كانت معركة زحلة تتحضّر بين حرب المئة يوم (تموز ـ تشرين أول ١٩٧٨) ومعركة زحلة كان بشير الجميّل أعلن عن توحيد البندقية. كان النمور من حزب الأحرار قد أبيدوا وزعيمهم داني شمعون كان قد انضم إلى السوريين. فبعد عملية الصفرا انتقل داني شمعون ورجاله «الياس الحنش، إيلي شربل، والزغلول إلى بيروت الغربية حيث قاموا باتصالات مع السوريين والفلسطينيين.

بعد أن كان حليف الإسرائيليين انقلب داني شمعون عليهم كان يفاوض مع السوريين، وتألفت القيادة الجديدة لشمعون تضمّ رجال سياسيين من المنطقة أمثال الياس الهراوي (رئيس لبنان من عام ١٩٩٠ لغاية ١٩٩٨) وجوزيف سكاف نائب وخليل هراوي وجوزيف أبو يونس وميشال فلفلة الذين وضعوا عملهم مع السوريين فوق كل اعتبار. «كلهم من رجال الأعمال وأصحاب ممتلكات». أما الجانب العسكري فكان تحت إشراف رئيس جهاز الأمن الفلسطيني أحمد إسماعيل كان الهم الأكبر هو السيطرة على زحلة المقطوعة عن بقية المناطق المسيحية. حصن المسيحيين كان يضمّ بيروت الشرقية المتن الشمالي، كسروان وجبيل.

لزعزعة الكتائب قام السوريون والفلسطينيون باغتيال فوزي خزيقة المسؤول العسكري في الحزب في قطاع زحلة على طريق تعنايل، تمّ تعيين جورج سعادة الذي خلال مروره في بيروت حذّره أبو حلقة من مؤامرة تحاك لتصفيته. بعد أسبوع، لقى جورج سعادة مصرعه. وتصاعدت الأحداث، كانت حالة العداء تنمو لدى السكان. وكان الحنش يقوم باقتحام منازل عناصر حزب الكتائب لإهانتهم وشرذمتهم. لم يكن باستطاعة بشير الجميّل أن يقف مكتوف الأيدي.

اندلعت المعارك المسيحية الداخلية عام ١٩٨٠. مع أن رجال داني شمعون دعموا من الفلسطينيين وحلفائهم المسلمين والقوات المسيحية تلقت خسائر بشرية كبيرة والنمور أبيدوا. فتح الفلسطينيون النار على الأحياء السكنية في زحلة بمباركة من السوريين. صمدت القوات اللبنانية. زحلة بسكانها الـ١٥٠ ألف عادت إلى الحضن المسيحي. لم يتوقّع السوريون هذه المقاومة. بالنسبة لهم، البقاع جزء من أرضهم كما الجنوب بالنسبة للإسرائيليين. الإعصار كان على الأبواب.

في ١٩ كانون الأول ٩٨٠، وقعت أولى المعارك بين السوريين والقوات اللبنانية. وكانت أول شرارة الحرب تحدّي السوريين بإرسال شاحنة عسكرية تقلّ خمسة جنود على بولفار زحلة للقيام بدورية لدخول المدينة. هذا التحدّي أعاد ذكرى شرارة عين الرمانة ١٣ نيسان ١٩٧٥، هُجموا جنود الخمسة وقتلوا، وضابطهم إدريس وقع في كمين في طريق العودة. في ٢ نيسان ١٩٨١، كانت زحلة محاصرة ومدمّرة. وبعد أن خسر السوريون ٣ مدرعات وعشرين جندي قصفوا

بيروت الشرقية بطريقة فجائية فسقط العديد من المدنيين وأقفرت الأحياء. افتتحت جبهة حرب جديدة في العاصمة أمام القوات اللبنانية دون نسيان زحلة.

فقرّروا إرسال دعم بسلوك طريق عبر جبل لبنان يصل زحلة بوسط المناطق المسيحية. بدأت تظهر بعض الخلافات في الصف المسيحي في زحلة. أرسل بشير الجميل فؤاد أبو ناضر وبطرس خوند لتسوية الأوضاع بالإضافة إلى جوزيف الياس وهو من زحلة ولكنه فشل في مهمته واستبدل بآخر. سكان زحلة، دون كهرباء دون مؤن محبطين كلياً. وكان بشير مصرّ على المضي واثقاً من الدعم اللوجستي الإسرائيلي على إرسال الدعم إلى زحلة. وتجمعت القوات اللبنانية في عيون السيمان قبل التوجه إلى زحلة في ظروف مناخية صعبة. وصل الياس الزايك بمرافقة شباب مثل Tilo وألبير. وبعده وصل سمير جعجع المدعو «الحكيم». عند وصوله ورؤيته وضع القادة وخلافاتهم وتدمير مراكز القوات اللبنانية قرر العودة فوراً. حسب تقريره كانت معركة زحلة هي خسارة عسكرية تامة. كانت أهداف السوريين تدمير القوات اللبنانية المسيحية والسيطرة على طريق بيروت دمشق. طلب القادة المسيحيون مساعدة الغرب وحثهم على هذا إعلان سكرتير الدولة الأمريكية ألكسندر عن وحشية الجيش السوري المحتلّ. وحاول بشير الجميل إيجاد أية وسيلة لدفع القوات السورية للجلاء عن لبنان. وبدأ العالم يتحرّك ضد النظام السوري. واستشرس السوريون ولم يرحموا النساء والأطفال والعجزة. أصبحت زحلة رمز المقاومة المسيحية. إن نتيجة معركة زحلة سوف تحدد

مستقبل المسيحيين اللبنانيين. في ٢٨ نيسان تدخلّت إسرائيل عسكرياً عبر إسقاطها لطائرتين مروحيتين فوق سهل البقاع بواسطة طائرتين من صنع أمريكي نوع F15 وF16 في اليوم التالي أمر حافظ الأسد بوضع ٣ قواعد مضادة للطائرات على طريق بيروت دمشق من صنع روسي. دفع التدخل المباشر لإسرائيل لجعل الأزمة عالمية. فأصبح لبنان في وسط الأحداث العالمية.

وأرسل ريغن مبعوثه فيليب حبيب من أصل لبناني لتجنّب الأسوأ. وكان من الواضح بأن أمريكا هي بجانب بشير الجميّل الرجل المسيحي الأقوى، ألم يعلن بعد لقائه فيليب حبيب «بأن التحالف الجديد مع الولايات المتحدة يشكّل أكبر نصر لنا في معركتنا»؟

رفع الحصار عن زحلة في ٣٠ حزيران. المقاتلون المسيحيون الذين نقلوا في باصات خارج البقاع كانوا قد هزموا عسكرياً، ولكنهم استقبلوا استقبال الفاتحين في بيروت. نصر سياسي قد حُقق. اتهمت إدارة ريغن السعودية بشراء المقاتلين. سوريا حصلت على عدة ملايين من الدولارات شرح السعوديين للشيخ بشير، الذي ذهب إلى الرياض على متن أحد الطائرات الخاصة بأن عليه تهدئة الوضع أن يقطع كل علاقاته مع إسرائيل. الرهان كان خطيراً. وأصبحت الطريق أمام بشير الجميل ممهدة للوصول إلى قمة السلطة.

عملية السلام في لبنان

(امن الجليل)

نجح بشير الجميّل بتنصيب نفسه القائد الأوحد للمسيحيين منذ كانون الثاني ١٩٨٢. وأصبح الرجل الأبرز في لبنان عُرف عالمياً وأصبح يحسب له حساب. صحيح بأنه ارتكب أخطاء لكنه استطاع إعطاء صورة جديدة للبنان: لبلد قوي حديث ديمقراطي حيث المسيحيون بشكل عام والموارنة بشكل خاص بعد أن عوملوا على أنهم منبوذين وجدوا مكان مهم لهم. المقاومة المسيحية كانت سياسته ولكن إيلي حبيقة وسمير جعجع قد خانوا هذه المقاومة.

كان بشير الوحيد المؤهل للتحرك بعد أن سطع نجمه في ثورته السياسية العسكرية وبعد تغييره التقاليد. وكان الإسرائيليون جاهزون لمساعدة بشير لشغل أعلى منصب ألم يهددوا بغزو البلد وتطهيره من السوريين والفلسطينيين لدعم مستقبله السياسي؟

قوي بدعم من الإسرائيليين والأمريكيين والشعب فأعلن الشيخ بشير رسمياً بأن على سوريا مغادرة بيروت ومن ثم لبنان قبل أول الصيف وقبل بدأ الحملة الرئاسية. في الجانب المسيحي كان اجتياح

إسرائيل هو الوسيلة الوحيدة لوضع حد للوجود السوري والفلسطيني في لبنان. بين حليف قوي ووصي مخادع لا مجال للتردّد. وبعد لقائه الشهير ببيغن في نهاريا والذي كان عاصفاً وأحدث شرخاً طلب بشير الجميل من حبيقة الاتصال بالسوريين. واستفاد حبيقة من هذه الفرصة وحوّلها لمصلحته.

عام ١٩٨١ بعد معركة زحلة راهن حبيقة على جوادين فاستطاع عبر سامي الخطيب جنرال لبناني أن يذهب إلى دمشق سرّاً دون إعلام قادته واجتمع برفعت الأسد أخ الرئيس السوري. وقد رافقته وأتذكّر جيداً كلماته منذ وصولنا إلى الأراضي السورية: أكنت تعتقد ولو بالحلم بأنك تستطيع التواجد في العاصمة السورية حاملاً سلاحك الشخصي؟ حاملاً بندقيتك ورشاشك وعلى مرأى من الجميع؟ ما هو إحساسك؟

في الواقع كنت أعتقد بأنني أحلم وكنت أقول لنفسي وأنا مستاء بالرغم من كل شيء أنه رئيسي وهو يعرف ماذا يفعل وممكن أن يكون على حق، فهو يأتي مرفوع الرأس. لم أكن أشك بأنه يبيع المسيحيين للذي يدفع أكثر. أتذكّر جيداً زيارتنا لمكتب رفعت الأسد المجاور لمكتب عبد الحليم خدّام (المندوب السامي السوري في لبنان) دام الاجتماع ساعتين. ثم عدنا إلى بيروت ليلاً H.K كان راضٍ عن تصرفاته. حتى أنا كنت فخوراً بما يفعله ولكن ضمنياً كنت أحس بالانزعاج. فلم يكن باستطاعتي عدم التفكير بأن شيء دنيء يحاك بينه وبين عدوّنا، كنت أحاول إقناع نفسي بأنه يعرف ماذا يفعل. الطاعة العمياء للقائد أبعدت عني كل الشكوك. زعيمي كان محتالاً كبيراً وقوياً جداً وكنت أقاسمه نفس الشعور.

بعد ذلك بشهر أخبرني حبيقة أننا سنذهب لمدة أسبوع إلى فرنسا سراً دون أية تفاصيل حسب عادته. كان عليّ أن أكون جاهزاً في أية لحظة. أقلعنا بالطائرة من مطار بيروت الذي كان في أيدي أعداءنا السوريين على متن طيران الشرق الأوسط، السيارة التي قدتها حتى معبر الحدث استبدلت بشاحنة عسكرية أرسلها لنا جوني عبده رئيس الاستخبارات للجيش.

عند الإقلاع طلب مني H.K بكل رضى وهدوء باستبدال مكاني مع عشيقته الحالية لولا التي كانت معنا على متن الطائرة ولكن في الأماكن العادية.

بقينا أسبوع في فندق كونكورد لافاييت برفقة رفعت وجميل الأسد. بينما كان زعيمي مشغولاً مع أصدقائه الجدد، كنت أحتفل. كنت مبهوراً بالذي أراه كل شيء تحت أمرتي فلم أكن أسأل حتى لماذا نحن في باريس. بالتأكيد كانت بعض الأسئلة تراودني ولكن التعب والنعاس كانا يغلبني. أمضينا السهرة الأخيرة في نادي راسبوتين نادي ليلي على الشانزلية حيث دعانا رفعت الأسد للعشاء. كنا خمسة من ضمننا لولا. الجو كان صريحاً وودياً. كان الرجال يتحادثون فيما بينهم. وكان عليّ الاهتمام بلولا لكي لا تضجر ولا تسمع محادثتهم السرية.

بعد شهرين من سفرنا إلى باريس، ذهبنا سرًّا أنا ورئيسي مرتين إلى دمشق حيث تحادث مع عبد الحليم خدام الرجل الثاني في سوريا.

أيار ١٩٨٢، الشيخ بشير في ذروة حملته الانتخابية وكنت أقرب

ما يكون إلى القوى العسكرية والسياسية الإسرائيلية. كنت أتسلى بمقارنة البلدين إسرائيل وسوريا الأول حليفنا وداعمنا نحو النصر. والثاني عدونا ويجرّنا نحو الهزيمة. كان الضباط الإسرائيليين يحترمونني ويثقون بي. كنت الحارس الشخصي لرجلهم H.K كان آرييل شارون يبحث عني لأرافقه في تحركاته كان يقول: «لا أريد سائق خاص فكوبرا هو الذي سيوصلني». كنت الوحيد الذي يقود الضباط الإسرائيليين في لبنان خلال إجتماعاتهم السرية مع قادتنا. هذه اللقاءات كانت تحصل في فيلا في النقاش في المتن الشمالي معقل أمين الجميل.

مع السوريين، كان العكس كنت أحس بأننا نسير فوق حقل ألغام. ولكن كالعادة كنت أطرد من ذهني أي سؤال يراودني، كنت أغسل دماغي من أي شيء سمعته أو رأيته. وأصبحت أكثر غموضاً وسرية. أصبحنا أجهزة مخابرات، الشعب المسيحي والمقاتلون زادت كراهيتهم ضد السوريون. وكانوا يعتقدون بأن اجتياحاً إسرائيلياً هو الذي سيضع نهاية للوجود السوري. من الجانب المسيحي، قادة الحرب حطّموا الأحلام التي بنيناها عن لبنان حر.

بينما عملية أمن الجليل تتحضّر، الآلة الحربية الإسرائيلية تتقدّم، نحو الشمال، ٦ حزيران ١٩٨٢ بدأت عملية سلام الجليل. وأعلم آرييل شارون والجنرال إيتان بشير الجميل وإيلي حبيقة أنهم لن يصلوا إلى طريق الشام الدولية، الهدف كان إخراج عرفات ومنظمة التحرير والمساعدة على بناء جمهورية جديدة. ولكن الشيخ بشير أصمّ أذنيه. القادة المسيحيون لم يدعموا الإسرائيليين كما وعدوهم. فقرّر

الإسرائيليون المتابعة دون الدعم المسيحي وكان لذلك الأمر وقع ثقيل على الولايات المتحدة إذ اضطّر ألكسندر هايغ أن يستقيل في ٢٥ حزيران. دفع هو وآرييل شارون الثمن. الأزمة احتدّت بين إسرائيل والولايات المتحدة ولكن مع هذا انتخب بشير الجميل كرئيس للجمهورية في آب ١٩٨٢ بالرغم من حصار بيروت ولكن لمدة ٢٣ يوم فقط.

انتصار المسيحيين بإثارة الأمريكيين على الإسرائيليين والإسرائيليين على السوريين أنساهم بأن لعبتهم هذه خطيرة وستتغلب عليهم. ومنذ هذه اللحظة، لم يعد أحد يفكّر سوى بنفسه.

ماذا حصل مع الدبلوماسيين الإيرانيين؟

خلال حصار بيروت، قرّر بشير الجميّل السماح لسكان بيروت الغربية الذين يريدون الهرب من هذا الجحيم بالذهاب إلى طرابلس أو البقاع. في هذه الاثناء تمّ اختطاف وإعدام الدبلوماسيين الإيرانيين بالإضافة إلى حوالي ٣٠٠ شيعي. بعد مرور خمسة عشرة سنة على اختطاف وتصفية الإيرانيين الأربعة إثر تعذيب شديد، بقي الجلاّدين جعجع وحبيقة دون عقاب، أحدهم في هذه الجريمة بالتحديد والآخر بسبب كل حوادث الاغتيال والقتل، والابتزاز والجرائم النكراء المسؤول مباشرة عنها وقد اتهما بكل وقاحة إسرائيل بعملية الخطف وسجنهم بغية استبدالهم بالطيار الإسرائيلي رون آراد، المفقود والمفترض أنه محتجز في إيران. أراد حبيقة أن يورّطني بتحميلي مسؤولية كل الجرائم التي اقترفها ومن ضمنها اختفاء الديبلوماسيين الإيرانيين. على عكس كل الافتراضات والأعذار، أستطيع أن أؤكد وأثبت بأن الديبلوماسيين الأربعة قد قتلوا. دفنوا على عجل في الكرنتينا تحت شجرة الأوكاليبتوس في المجلس الحربي وجهاز الأمن

في القوات اللبنانية. عشت الحدث في أدقّ تفاصيله دون أن أشارك.

مع بداية صيف ١٩٨٢ وخوفاً من مواجهة الجنود الإسرائيليين، قرّر الدبلوماسيون الأربعة ترك سفارتهم في بئر حسن والذهاب إلى طرابلس. لتجنبّ الحواجز الإسرائيلية، سلكوا الطريق الساحلي الذي كان يخضع لسيطرة القوات اللبنانية. وطلبوا من وحدة قوى أمن لبنانية تضمّ فقط عناصر مسلمة، مرافقتهم. كانوا أربعة الموكل بالأعمال محسن الموسوي واثنان من الدبلوماسيين أحمد متوسليان. وكاظم أفوان بالإضافة إلى السائق تقي إستكار. عند الظهر عبر الموكب أول نقطة عبور بين بيروت الغربية والشرقية دون حوادث تذكر، بعد ساعة وصلوا إلى مركز التفتيش عند (حاجز البربارة) الذي كان يقع تحت سيطرة سمير جعجع قائد منطقة الشمال في القوات اللبنانية. أوقف الموكب، وبعد التحقق من جوازات السفر، أوقفوا الرجال الأربعة. وطلب من رجال الأمن الداخلي الانصراف بعد مشادة عنيفة، بعد عدّة ساعات، أبلغ جوني عبده، رئيس الاستخبارات في الجيش اللبناني بشير باختفاء الإيرانيين لكنه كالعادة لم يحصل على جواب واضح.

من الضرورة التذكير بأن H.K هو رئيس جهاز الأمن والمعلومات الرجل الثاني الذي يقرّر بعد بشير المنهمك في الأمور السياسية لهذا اتصل به سمير جعجع لمعرفة ماذا عليه أن يفعل بالإيرانيين الأربعة. جوابه كان مختصراً: «أرسلهم إلى هنا» بعد استجوابهم من قبل النقيب راجي عبدو الذي كان ضابط ارتباط، بين حبيقة وجعجع وبحسب أوامر جعجع رافقتهم شخصياً إلى مبنى الأمن في الكرنتينا الواقع خلف

صالة عرض سليب كومفورت وبحضوري سلّم راجي عبدو الرجال الأربعة إلى حبيقة وشربا القهوة وتناقشا في بعض الأمور والتطورات الداخلية ثم غادر إلى معبر البربارة عُهد بالإيرانيين إلى جورج صبّاغ المعروف بأبو طوني ثم تولّى الأمر أبو أيمن. وهو سجان قاس عديم الأخلاق. فتلقّوا تعذيباً وحشياً. على يديه، جورج يونس المعروف «بالأبونا». كان يقدّم الطعام ويشارك في التعذيب وفي سجن القوات اللبنانية الذي يبعد مئتي متر عن مركز الأمن لاقى الإيرانيون الأربعة حتفهم بالإضافة إلى حوالي ٣٠٠ شيعي. ودفنوا هناك في حفر تحت الشجرة المشهورة الأوكاليبتوس غُطّوا ونثر عليهم الكلس لتسريع عملية تحلّلهم ولامتصاص الروائح الكريهة.

كان ذلك خلال الاجتياح الإسرائيلي لبيروت في حزيران ١٩٨٢. أخبرني بعد ذلك أحد أصدقائي ستيف نقوّر الذي كان عاملاً في الوحدة اللوجستية بأن بول عريس، أحد ضباط، قد طلب منه تنظيف كل الحفر مخافة اكتشاف جثث الإيرانيين الأربعة (نبشوا ثم دفنوا) ونقلت رفاتهم من الكرنتينا إلى وادي الجماجم على طريق مزرعة كفرذبيان بالقرب من عشقوت. شخصان آخران ساعدا نقور في مهمته لن أذكر اسميهما (W.A et z.h) لأنهما مازالا يعيشان في بيروت، في وقت لاحقاً، اقترح حبيب خوري رجل أعمال لبناني بشراء جثث الإيرانيين الأربعة بمبلغ ٤ ملايين دولار ولكن حبيقة أجابه عبري بأن ينسى الموضوع، بالنسبة لسيارة الضحايا الأربعة نوع مرسيدس، فقد سلّمت لإميل عيد. ولكن حبيقة أعادها إلى طرابلس بوساطة عميل سوري يدعى جورج، معتاد على قيادة السيارات المفخّخة في منطقة

الشمال وقد أوقف من قبل الحزب القومي السوري الاجتماعي وأعدم في ثكنتهم في داده في منطقة الكورة. جورج هذا كان عميل مزدوج يعمل لصالحنا واليوم تلاحقني ذكريات مؤلمة غير أنني لست خائفاً من القول بأنني شاركت في قتال مرير ودون رحمة ضد الشيعة خلال حصّار بيروت فقد أعماني الغضب والانتقام. وأعتقدت بأنني بذلك أقتّص من جميع الذين قتلوا إخواننا وأهلنا ورفاقنا هؤلاء الضحايا البريئة وكنت أسير على الخط الذي رسمه لنا قادتنا.

ألقى حبيقة دائماً تبعة اختطاف ومقتل الإيرانيين الأربعة على غيره.

أنكر حبيقة دوره في قضية الإيرانيين الأربعة متمتعاً بحصانة نيابية، أنكر حبيقة مسؤوليته عن كل الجرائم التي ارتكبها لكنه لم يستطع خداع أحد حتى حين أراد أن يجمّل صورته أمام الناس فالجبن والخوف هما اللذان يدفعان إلى الصمت والنسيان. عام ١٩٨٢، كان حبيقة في قمة مجده وقوّته. كان منتشٍ من النصر وأصبح هو صاحب القرار، مع انشغال بشير في الحملة انتخابية. أراد أن يفرض سيطرته على كل الشعب المسيحي وسحق كل من يقف أمامه. بعد جرائمه الذي ارتكبها في مبنى الأمن ومن ضمنها قتل الإيرانيين الأربعة بالإضافة إلى اشتراكه في مجزرة صبرا وشاتيلا، لم يكتف، فهاجم المسيحين بضراوة مقاتلين ومدنيين. وشق طريقه نحو القمة على جثث الأبرياء وعن طريق الفساد، وقادنا نحن رجاله نحو الهزيمة التي توّجت باغتيال الرئيس الشيخ بشير الجميل.

اليوم استطيع القول، بأن الشخصين المسؤولَين عن إبادة الشعب

المسيحي وهدم لبنان هما إيلي حبيقة وأسعد حردان (مسيحي لبناني على رأس الحزب القومي السوري الاجتماعي) وذلك باغتيالهما بشير الجميّل الزعيم الأوحد والحقيقي.

الفصل السابع

الخيـــانـــة

انتخب بشير الجميّل المحمي رئيساً للجمهورية اللبنانية في ٢٣ آب ١٩٨٢ بالرغم من كل العقبات. بذل الإسرائيليون جهداً كبيراً لتحقيق هذا الأمر، أما بالنسبة لنا كانت المعجزة الكبرى، قوّى بانتصاره، معتدلاً بمواقفه، مظهراً دلالات واضحة على استقلاليته عن إسرائيل، هذه المواقف جعلته يحصل على تأييد الزعماء المسلمين المعتدلين وعلى دعم الإدارة الأمريكية. فأبعد الإسرائيليون دون أي تأنيب برفضه توقيع معاهدة السلام المتفقّ عليه.

غضب الإسرائيليون من بشير لنكرانه الجميل وهو كان متصلباً في موقفه، ضرب الإسرائيليون ضربتهم بشدة وسرّبوا أنباء عن اجتماع بشير بمناحيم بيغن في نهاريا في ١ أيلول ١٩٨٢ وقدّموا تفاصيل عن محادثات سرية عقدت بينهما. كان الرئيس المنتخب منبهر من قدرته على الفوز وعلى التأثير لدرجة أنه لم يدرك أن القيادة الإسرائيلية قد قرّرت أن تسحب البساط من تحت قدميه ولكن السوريين أدركوا ذلك وعلموا أن المجال مفتوحاً أمامهم من الآن فصاعداً للتخلّص من

عدوهم اللّدود، فدمشق. لم تتقبل انتخاب بشير رئيساً وانتظروا اللحظة المناسبة لتصفيته متحدين الإسرائيليين، قدّم رئيسنا المنتخب بذلك هدية ثمينة للسوريين الذين كان باستطاعتهم الاعتماد على حلفائهم وعملائهم المزدوجين في القوات اللبنانية لتشويه سمعة إسرائيل وتدمير القوة المسيحية وعندها يستطيعون السيطرة على لبنان تحقيق حلمهم بسوريا الكبرى.

في نهار الثلاثاء الواقع في ١٤ أيلول سنة ١٩٨٢ عند الساعة الرابعة وعشر دقائق دوى انفجار أدى إلى تدمير مركز حزب الكتائب في الأشرفية حيث كان بشير في داخله يحضر اجتماعاً مع قادة حزبه. بشير الرئيس المنتخب كان قد أصبح غير مكترث في خضم النشاط السائد وفي خضم القوة والمنصب الجديد اللذين حصل عليهما، عدم الاكتراث الذي حصل مع بشير الجميل وعدائه الجديد اتجاه الإسرائيليين سمح لأعدائه بمهاجمته والنجاح في قتله. فقد كان غير مكترث وغير حذر كانت القوة الأمنية بقيادة إيلي وازن الملّقب بعباس والذي كان يقوم بالتنسيق مع حبيقة الذي كان يزوده بالمعلومات.

سمع الانفجار في كل بيروت وأُعلن عنه في ملحق بعد عشر دقائق من حصول. فأرسلني حبيقة لأتفقد الموقف برفقة ضابط ارتباط إسرائيلي يعرف بماندي سحابة كبيرة من الغبار والدخان كانت تلّف الحيّ والناس تصرخ من الألم والخوف. المنظر كان مرّوعاً وتقدّمنا وسط الحطام لم يستطع ماندي أن يتمالك نفسه من البكاء عند رؤيته هذا المشهد المرعب رؤوس وأشلاء منتشرة على الحطام. وصلت زوجة الشيخ بشير صولانج توتنجي بعدنا ببضع دقائق. وكان كريم

بقرادوني، عضو بارز في حزب الكتائب ومستشار الرئيس، كان يتنقل بسيارته رانج روڤر بين مستشفى أوتيل ديو ومستشفى رزق بحثاً عن بشير. الفوضى والارتباك عمّا المكان عند السادسة وبينما كان البحث بين الأنقاض جارياً سادت موجة من الهستيريا بين الجميع حلموا بأنهم رأوا سيارة إسعاف تنقل بشير لكن هذا كان في مخيلتهم فقط وبعد قليل حلّقت طوّافة إسرائيلية وأخذت تطلق النار عشوائياً. حينها صاح أحدهم في ذعر وغضب أنها طوّافة إسرائيلية تريد نقل بشير إلى مستشفى في إسرائيل. ولكننا كنا نعلم أن هذا غير صحيح. حدد الإسرائيليون نبأ مصرعه عند الساعة الثامنة والنصف. أما القوات اللبنانية وعائلته فانتظروا انتشال الجثة والتعرّف عليه من الخاتم ونقله إلى مستشفى أوتيل ديو قبل الإعلان عن موته رسمياً. الجميع كان ينتظر أمام الحطام عوائل الشهداء، مسؤولين بارزين في حزب الكتائب عسكريين، عناصر من الجيش اللبناني والقوات اللبنانية، وإسرائيليون، يشاهدون بدهشة عملية الإنقاذ ورفع الإنقاض، كل أحلامنا قوّضت. بأقل من ثانية تحوّلت أسطورة بشير إلى كابوس. وأدى مقتل بشير الجميل بضباطه وبالإسرائيليين «تساحل» إلى موجة غضب عارم ورغبة جامحة بالانتقام.

وذكر شارون وبيغن على الرغم من أن بشير خيّب ظنّهم لكنهم كانوا يعلمون أنه هو الوحيد الذي باستطاعته أعاده السلام والأمن وإزالة الهيمنة السورية الفلسطينية عن لبنان كانوا متأكدين أنه سيخضع في النهاية لهم وسيحققوا أهدافهم عبره ويكسبونه على الأقل حاكماً مسيحياً مخلصاً لهم. في هذه الأثناء عقد كريم بقرادوني وقائد

القوات اللبنانية فادي افرام اجتماعاً للسيطرة على رجال المليشيا ومنعوا إطلاق النار تعبيراً عن الحزن. مسؤولي الحزب والقوات اللبنانية تابعوا تشاورهم طوال الليل على أعلى مستوى واكتفت الإذاعات ببث الموسيقى الكلاسيكية دون أي تعليق. إن اغتيال بشير حطّم حلم المسيحيين ولوّث الشرف الإسرائيلي وقوّض المصداقية الأميركية ومهّد لحقبة من التقاتل المسيحي. فالفراغ الذي تركه بموته أدى إلى انهيار وتفكك القيادات المسيحية. وحدهم السوريون انتصروا.

صبرا وشاتيلا «إمحوهم»

صباح ١٥ أيلول، غداة مقتل بشير الجميّل، اجتمع مجلس إدارة القوات اللبنانية في بكفيا في بيت عائلة الجميّل في المتن الشمالي، بالإضافة إلى مجموعة من الأصدقاء والموالين لإظهار حزنهم، وقرّروا ترشيح أمين الجميل لرئاسة الجمهورية. وفيما كان الكل منهمكاً في تقديم التعازي كان اجتياح بيروت الغربية يتحضّر وقد نفذ بعد ١٢ ساعة فقط. ففي عصر هذا اليوم عقد اجتماع بين ضباط الاستخبارات في القوات اللبنانية والجنرال رفاييل إيتان والجنرال إميردروري المسؤول عن عملية «سلام الجليل» في لبنان.

علمت لاحقاً من حبيقة بأن قرابة ٢٠٠٠ إرهابي من منظمة التحرير ما زال يختبؤون في مخيمي صبرا وشاتيلا وقد أعلمني أيضاً أنه المسؤول عن تنظيم عملية لإخراجهم وتطهير المخيم. وأطلعني كذلك على التفاصيل التقنية للعملية.

فالإسرائيليون المتمركزون في بيروت الغربية يتوقعون منا أن نشرف على إخراج الفلسطينيين من بيروت الغربية وتسليمهم إليهم حيث يتمّركزون في المدينة الرياضية التي هُيأت لتكون مركز للتجمّع.

لبنان كان في حالة ترّقب فالتوّتر على أشدّه. ورفض فادي إفرام مسؤول في القوات اللبنانية بشدّة الدخول إلى المخيمات لكن حبيقة وقف في وجه كل اعتراض مهدّداً كل من يعترض سبيله. وحضّر ٢٠٠ من نخبة الرجال خلال أربع وعشرين ساعة وقسّموا وحدات بقيادة كل من جوزيف الأسمر، ميشال زوين، جورج ملكو ومارون مشعلاني.

كان شارون يحاصر المخيمات وكذلك المدينة الرياضية، ظهر يوم الخميس ١٦ أيلول بدأ الشباب يتقدّمون على طريق المطار عند الرابعة والنصف اجتازوا الحصار الإسرائيلي المفروض على المخيمات وكانت أوامر شارون تنص على التنسيق الدائم مع الإسرائيليين دون أي تجاوزات. كانت مهمة القوات اللبنانية ضغط على الفلسطينيين ولإخراجهم من المخيم والقبض على عناصر منظمة التحرير وتسليمهم أحياء للإسرائيليين على أن يعود المدنيون إلى بيوتهم. إلاّ أن حبيقة أعطى تعليماته الخاصة بالقضاء على الجميع «إبادة تامة»، «إمحو المخيمات» تلك هي أوامره. قام رجال مارون مشعلاني، الموصوفون بإدمانهم الدائم على الهيرويين والكوكايين، بأسوأ التجاوزات فقتلوا أطباء وممرضات أجانب في مستشفى غزة ببرودة أعصاب وعندما علم شارون بما حصل استدعى ضباطه وإيلي حبيقة. في السابعة والنصف مساءً وصلنا أنا وحبيقة بالإضافة إلى أسعد شفتري وميشال زوين وصعدنا إلى شرفة المبنى الملاصق للسفارة الكويتية ومن هناك كنا نراقب المخيم. كان الإسرائيليون غاضبون جداً. واتهموا حبيقة بالمجزرة فرّد عليهم بأن الظلام منعه من التمييز بين المدنيين والمسلحين. وكان شارون ينتظره في الطابق

الثاني من المبنى لأنه لم يستطع الصعود إلى الطابق الخامس بسبب بدانته ولحظة رؤيته صاح في وجهه «ستدفع ثمن ما فعلته غالياً أنا لم أطلب منك أن ترتكب هذه المجازر ولو كنت أريد هذا لفعلته أنا بدباباتي فردّ حبيقة بأنه سيتصافى مع رجاله وسيحاول وقف ما يحصل وبعدها التحق بالآخرين على السطح وبينما هو كذلك تلّقى اتصالاً على جهاز اللاسلكي من شخص يدعى بول يسأله ماذا يفعل بالنساء والأطفال فردّ عليه بأن هذه مهمتك ولا تتصل بي على جهازي يا حقير: نزلت برفقة زوين وشفتري إلى الطابق الثاني حيث رسم ضابط إسرائيلي خريطة لموقع المجزرة بقطع من الطبشور على الأرض وتأكدنا بأن وحدة مارون مشعلاني التي تولت مدخل صبرا هي التي قامت بالمجزرة.

في الرابعة صباحاً، عاد حبيقة ليخبر شارون بمجريات الأحداث فأمر رجاله بإطلاق القنابل المضيئة لوقف التخريب ولكن بعد فوات الآوان. الكارثة وقعت. العديد من المدنيين الفلسطينين قد سقطوا أما ذبحاً أو رمياً بالرصاص، بعض الجثث شوّهت، قرابة السادسة صباحاً وصل بعض قادة القوات اللبنانية فادي إفرام، فؤاد أبو ناضر وستيف نقور إلى مركز شارون للاطلاع على المجزرة. أمر حبيقة نقور، المسؤول عن الوحدة اللوجستية، بإرسال تراكتورات لتنظيف المخيم ولمحو أي أثر للمجزرة ولكن الإسرائيليون منعوهم من الدخول.

في التاسعة اندلعت اشتباكات بين رجال مارون مشعلاني ومسلمين شيعة من عائلة المقداد الذين جاؤوا للاستعلام عن أقاربهم داخل المخيم. تدّخل ضابط من الجيش اللبناني وأجبر مشعلاني على الانسحاب. انتشر خبر المجزرة، التقارير ضخمت وتشوشت

واختلطت المسائل. مسؤولية سعد حدّاد ورجاله عن هذه العملية الدامية. وهذا ما كانت تتمناه القوات اللبنانية لإبعاد التهمة عنها.

صحيح بأن هذه المجزرة روت عطش الساعين للانتقام ولكنها تركت وصمة عار علينا.

H.K، العقل المدّبر، استغّل هذه الزمرة من الشباب بدفعهم لارتكاب هذه الأعمال المشينة والفظيعة والتي لم تخدم سوى مصالح السوريين الذين لم يتقبّلوا أبداً انتخاب بشير الجميّل كرئيس بعكس الفلسطنيين. وأعلن لاحقاً بأن منفّذ اغتيال بشير هو حبيب طانيوس الشرتوني، عضو سرّي من الحزب القومي السوري الاجتماعي الممثّل بأسعد حردان وكان نبيل العلم، ساعده الأيمن والمسؤول عن جهاز الاستخبارات في الحزب وكما تبيّن لاحقاً بأن علي دوبا المسؤول في المخابرات السورية هو الذي أمّن له المتفجرات وساعده على تخبئتها وقد شارك في هذه المؤامرة الضابط السوري علي حمود المسؤول عن اللواء غازي كنعان وقد أصبح فيما بعد وزير الداخلية في عهد بشار الأسد. كيف كان باستطاعة حبيقة الادعاء بأنه تلّقى أوامر واضحة من الإسرائيليين بالقيام بالمجزرة؟ ماذا عن الاجتماعيين السريين بعبد الحليم خدّام قبل أشهر؟

وكرجل كان في الموقع وحاضر في مكان حبيقة يمكنني القسم بأن الجنرال شارون ما كان ليعطي الأمر بقتل المدنيين الفلسطينيين، ولم يكن ليضيء المنطقة ليلاً كما فعل، ولم يكن يجمع الفلسطنيين في المدينة الرياضية للتحقق من هويتهم والتمييز بين من هو هدفه القيام بهذه المجزرة إذا كان مدني وعسكري.

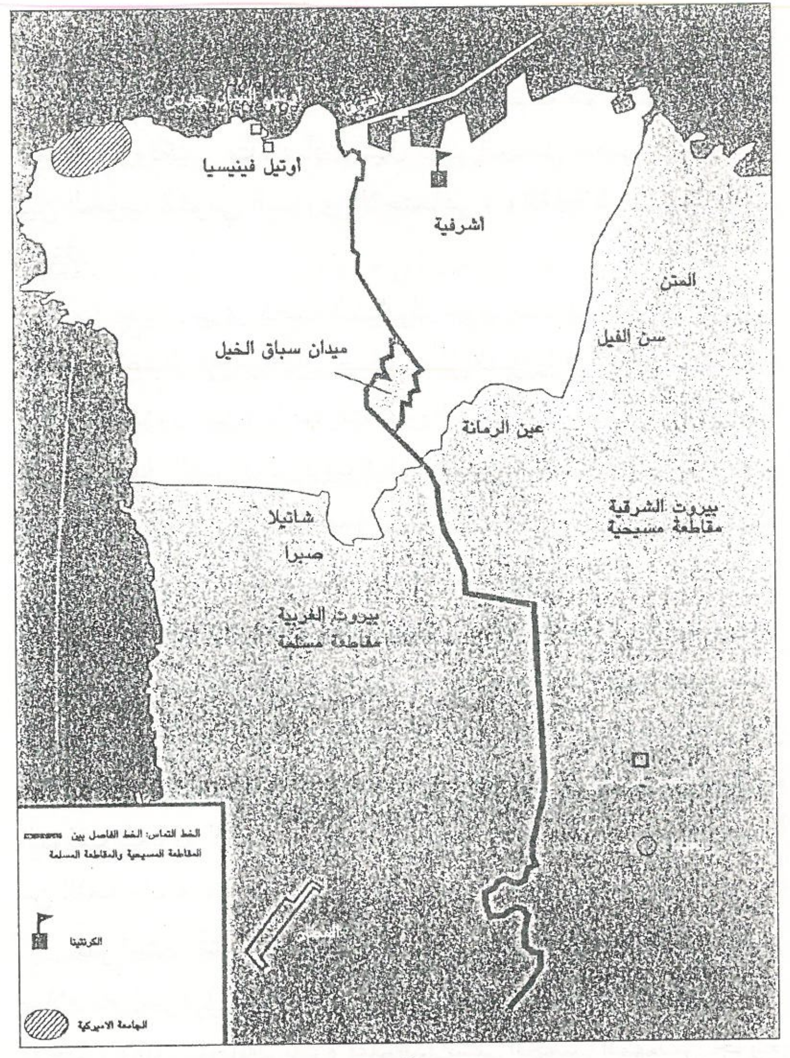
من المؤكد أن السوريين كان لديهم عميل في صفوف قادة

القوات اللبنانية وفي أعلى المراكز. ليس هناك إثباتات حقيقية تدعم هذه الشكوك. ولكن الوقائع تشير أن حبيقة هو الذي نفذ هذه المجازر. ولكنني متأكد بأن اغتيال بشير الجميّل حصل نتيجة اتفاق بين الحزب القومي السوري الاجتماعي، والقادة السوريين وإيلي حبيقة.

من جهة أخرى كانت الشكوك حول اشتراك إيلي حبيقة في حادث الاغتيال تزداد. كان حبيقة عميل لسوريا في القوات اللبنانية وكان المسؤول عن الناحية التقنية واللوجستية للعملية. وفي هذا الوقت حمّل السوريون الإسرائيليين مسؤولية قتل بشير ملوحين مشاحناته مع بيغن خلال لقائهما في نهاريا.

لم يفهم الرأي العام اللبناني ما هي مصلحة إسرائيل بتصفية حليفها، الرجل الذي عملت على تطويره وصرفت طاقة كبيرة ووقت كبير لتأمين السلام لبلدهم. المشروع بأكمله كان يعتمد على بشير وبقتله انتهى المخطط الإسرائيلي بأكمله في لبنان، لم يكن هناك من حاكم ليملئ الفراغ الذي خلفه. في غضون ذلك استغلّ حبيقة الموقف ليحوّل الأنظار من اغتيال بشير إلى المجازر وخرجت سوريا من اللعبة رابحة بعد موت بشير.

فلو استمر بشير في مخططاته لكانت لبنان ثانٍ دولة توّقع اتفاق سلام مع إسرائيل بعد مصر في منطقة الشرق الأوسط مع أن هذا الأخير، وقبل انتخابه. بفترة فقد عيّن بشير الجميل المهندس جورج كرم كمساعد له وكمشرف على رأس جهاز الأمن بعد أن ارتاب من إيلي حبيقة ولكنه استطاع أن يبعد هذا الشك عنه وتصرف على سجيته.



خريطة بيروت

حبيب الشرتوني:

الجيش السوري يقصف

بعد مقتل بشير الجميّل، بسبعة عشر يوماً، أعلنت إذاعة صوت لبنان في ٢ تشرين الأول أنه ألقي القبض على قاتله الذي اعترف بكل شيء وهو يدعى حبيب طانيوس الشرتوني وعمره ٢٦ عاماً وكان يسكن مع أخته وجدّاه في الطابق الأخير من مبنى بيت الكتائب في الأشرفية.

كان صدمة جديدة للمسيحيين الذين كانوا يعيشون حالة زعزعة.

التحقيق بيّن بأن هذا الماروني، كان عضواً فعّالاً في الحزب السوري القومي الاجتماعي منذ سنة ١٩٧٧ وكان حليفاً ودمية متحركة في أيدي السوريين وأن تواجده في قلب الأحياء المسيحية وتحرّكه بحرية ودون إثارة أي ريبة حوله، دفعاً بأسياده في دمشق لاختياره لتنفيذ هذه العملية. دون أي ندم وخوف وبدم بارد ووقاحة صرّح للصحافيين عند توقيفه من قبل شرطة القوات اللبنانية: «أنا قتلت بشير الجميّل. ونبيل علم قائدي هو الذي سلّمني المتفجرات وجهاز التفجير في منطقة رأس النبع في بيروت الغربية».

نبيل علم، رئيس الاستخبارات والأمن في الحزب القومي السوري الاجتماعي كما بقية حزبه هم تابعين لسوريا الذين بدورهم مخلصين للاتحاد السوفياتي (السابق) الذي كان سفيره الكسندر سولداتوف له يد مطلقة في الحرب اللبنانية وبحماية أسياده في دمشق استطاع نبيل علم الهرب إلى سوريا بعد حدوث الانفجار مباشرة بعكس الشرتوني الذي بقي وسرد الأحداث بأدّق تفاصيلها.

وتحدّث عن كيفية تسلله إلى الطابق الثاني من المبنى دون إثارة الشكوك لأنه كان يسكن في الطابق الثالث وشرح «دخلت إلى الغرف الواقعة مباشرة فوق الغرفة والتي سيعقد فيها بشير ورفاقه اجتماعهم. زرعت العبوة التي سلّمني إياها نبيل علم وزنها ما بين ٤٠ و٥٠كلغ. في اليوم الثاني بقيت أراقب المكان للتأكد من مجيء بشير.

وعند وصوله والتأكيد من انعقاد الاجتماع، خرجت إلى حي الناصرة المجاور، للخطّ الفاصل، المفجّر في حوذتي. وبعد الانفجار، عدت لأتأكد من النتيجة ثم تواريت بسهولة وذهبت إلى بيروت الغربية. سُلم حبيب الشرتوني، بعد هذه الشهادة إلى العدالة اللبنانية التي كان حينئذ رئيسها أمين الجميّل أخ بشير.

بعد ثلاثة أشهر على إعتقاله تمّ قتل والدته، ووالده وعمه بأمر شخصي من حبيقة. أما قاتلهم فهو نسيب لهم وصديق مقرّب من حبيقة ويدعى الياس شرتوني، ودفنوا جميعاً في منطقة ساحة العبد الواقعة بين منطقة النهر وفرن الشباك.

لم يكن الياس شرتوني مجرد قائد في القوات اللبنانية بل كان محبوباً وصديقاً للجميع وكان غنياً وكريماً معهم.

وبحكم روابط الصداقة التي جمعته بأعضاء مجلس الأمن كبطرس خوند، فؤاد أبو ناصر، الياس الزايك وفادي إفرام أخبرهم بأن حبيقة أجبره على قتل عائلة الشرتوني، حبيقة كانت له مخابرات في كل مكان فأصبح بالنسبة لحبيقة خطيراً وقرّر التخلّص منه، وبالرغم أنه كان كريماً معه. فقد طلب حبيقة مني أن أخطّط وأنفّذ عملية قتل الشرتوني، دون الرجوع إليه. وكنت وبدأت أضع الأعذار لكي أؤجل المهمة. الشرتوني كان صديقي لم يؤذني أبداً والجميع كان يستفيد من عطاءته، صحيح بأن ثروته جمعها من العمولة التي كان يتقاضاها عن المخدرات المهرّبة من لبّنان. ولم أستطع الاستجابة لأوامر حبيقة. وعندما لاحظ أنني لا أرغب القيام بهذه المهمة طلب من جوزيف الأسمر أن يقوم بها. وقتل الشرتوني في وضح النهار فيما هو خارج من محل الحلاقة في محلة ماريوحنا في الأشرفية هذا هو القدر المأساوي لهذه العائلة التي أفنيت بأوامر من حبيقة.

لم يعرف حبيب طانيوس شرتوني أبداً بمقتل عائلته ودفنها على يد أحد أنسبائه. ذنبهم الوحيد كان بأن ابنهم قاتل، خارج عن القانون ومحتجز بيد العدالة اللبنانية التي يرأسها أمين الجميل الذي كان له موقف ضد القوات اللبنانية الذين لم يسلّموه له إلاّ رغماً عنهم.

بعد مقتل بشير بستة أيام وبعد حصول مجزرة صبرا وشاتيلا بيومين، وصل أمين الجميل إلى المنصب الأعلى الذي كان يطمع به. وكان يعلم بأن شهر العسل الذي بينه وبين القوات التابعة لأخيه لن يدوم، وعليه أن يتواجه قريباً أو بعيداً معها. مقتل بشير غيّر كل النظريات: الخيارات. الأهداف والتحالفات. الصراعات على المال والسلطة ظهرت على العلن.

أربعة أسئلة تتعلّق بمقتل بشير الجميّل لا نجد لها جواب حتى يومنا هذا:

١ - كيف استطاع حبيب شرتوني الحصول على جواز مرور من جهاز الأمن يسمح له بالتنقّل بحرية في المناطق الواقعة تحت سيطرة القوات اللبنانية؟

٢ - كيف استطاع إدخال عبوة زنتها ٥٠كلغ إلى المبنى الذي يشغله حزب الكتائب في منطقة الأشرفية بالرغم من وجود وحدة من حرس الأمن.

٣ - لماذا حذّر حبيب شرتوني حبيقة من الحقيبة التي كانت تحتوي على آلات رصد وقنبلة من صنع روسي؟ أليس لإعطاء حبيقة أهمية على أنه رجل استخباراتي؟

٤ - لماذا لم يأخذ بعين الاعتبار التقارير الواردة من مكتب القوات اللبنانية في باريس على أن حبيب شرتوني عضو فعّال في الحزب القومي السوري الاجتماعي مشكّلاً بذلك خطراً على مناطقنا؟

الفصل العاشر

الأخوة الأعداء

بعد دفن بشير بدأ قادة القوات بالتخطيط الواحد ضد الآخر للسيطرة على الحزب. لم يهتموا أبداً بنتائج أعمالهم على المجتمع المسيحي. فادي إفرام، فؤاد أبو ناضر إيلي حبيقة، سمير جعجع وكريم بقرادوني الذي كان مناوراً، كانوا لا يفكّرون إلاّ بمصالحهم الخاصة. جميع هؤلاء ما عدا بقرادوني تدّربوا في إسرائيل حيث كانت لديهم علاقات قوية وأصدقاء. لم يكن هناك لافرام وأبو ناضر مجال للتحرك بسبب علاقاتهم بالرئيس أمين الجميّل. هكذا أصبح حبيقة، جعجع وبقرادوني الانتفاضيون في الحزب كانوا مختلفين بعلاقتهم بالرئيس ولكن كان يجمعهم كره أو خلاف مع الرئيس أمين الجميل ومع الكتائب، رابطهم الأقوى كان حاجتهم المؤقتة لبعضهم من أجل بناء مراكز القوى، عيّن حبيقة جعجع مسؤولاً عن الضرائب على معبر البربارة لكسب ودّه، كان يعتبره إياه فلاحاً فظاً، ليس لديه حسّ سياسي وغير قادر على المناقشة إلاّ في الأمور العسكرية، وكان يحتقره كثيراً ويعتبره، عديم الأخلاق وسيء النية، كان حبيقة بعكس

جعجع لديه طريقة تفكير كالمافيا، كانت سوريا تمثّل له حليف قوي ومربح وخاصة بعد سوء علاقته مع إسرائيل بعد مجزرة صبرا وشاتيلا وبعد تمتين علاقاته بدعم من السوريين ورجلهم أسعد حردان ولإظهار حسن نيته فتعهد بإشعال لبنان. فقام بمجازر على المسيحيين ابتداءاً بالأحرارِ الذين بقوا تحت سيطرته ومن بين ضحاياه أيضاً معاونيه المقربين في منطقة كرم الزيتون وحي السريان وأفضل مثل على ذلك عصام عوّاد وجورج مسعود اللذين قتلوا على يد فادي ساروفيم المعروف بالجلّاد بسماعدة كريم حنكش، وإبراهيم حدّاد المعروفين تحت أسماء جيلبر باز وبوبا.

الصراع بين حبيقة وأمين الجميّل أخذ منحى خطر اغتال جهاز الأمن في المتن الشمالي الأخوين أبو متري مسؤولي مكتب الصحافة والإعلام، فقام حبيقة بتصفية ميلان أبو خليل المفترض بأنه قاتلهما وعلّق جثته بالقرب من قناطر زبيدة. للأخذ بالثأر قتلت ميلشيا المتن جورج مراد مساعد حبيقة في هذه المنطقة ورداً على هذا أسرع حبيقة باغتيال كميل سركيس وقريب لأمين الجميّل على يد رجله ميلاد كفوري في منطقة الدوار. كما قامت مجموعة جوزيف الأسمر بقتل طانيوس الخوري في وضح النهار أمام الجامعة اللبنانية في الفنار لإعطائه معلومات للرئيس أمين الجميل. تتابعت الحرب العنيفة بين المسيحيين. فجرّ رجال جورج أبو جودة، من جهاز أمن المتن، سيارة الأب بولس نعمان في الأشرفية، الذي وقف إلى جانب القوات اللبنانية. وخطف رجال حبيقة بقيادة أسعد شفتري بيار جلخ المسؤول المالي للمتن الشمالي، داس حبيقة على كل من حاول اعتراضه. ولم

يكن يسعى سوى للحصول على مكاسب من السوريين الذي كان أمين الجميّل في هذا الوقت محاورهم بدل مواجهتهم بموت بشير، أرخى حبيقة العنان لطموحاته وأحلامه الأكثر جنوناً. معتقداً نفسه فوق الجميع وعلى الآخرين أن يكونوا عبيد له وليصيب هدفه أرهب حبيقة المسيحيين وأركعهم وأنا أذكر جيداً ما قال له عبد الحليم خدّام الرجل الثاني في سوريا، «سيطّر على الأرض لتملك القرار» وحملته بدأت تنجح دون أن يدرك أن السوريين يستخدمون الأشخاص دون أن يستخدمهم أحد لهذا لم يكتف حبيقة بصداقته مع رفعت الأسد بل أراد الوصول على صداقة خدّام بحاجة إليه في معركته المزدوجة ضد أمين الجميل والمجلس الحربي في القوات اللبنانية. مخيفاً القوات اللبنانية والشعب المسيحي أصبح حبيقة سيد المناطق الشرقية دون منازع بدعم من حزب الكتائب.

كان التوتر سائداً بين القوات اللبنانية ورئاسة الجمهورية منذ أن سُلّم قاتل بشير للدولة. سرت ضجة كبيرة خاصة عندما ذكر ضلوع بعض أعضاء من القوات في حادث الاغتيال. سمحنا لأعدائنا بالعيش في مناطقنا وحتى السكن في نفس المبنى، فالشرتوني وعائلته منتمون إلى الحزب القومي، حزب ممنوع من العمل قبل الحرب. وقد كان جان نادر المقرّب جداً من بشير قد طردهم في بداية الحرب ولكن لسبب غير معلوم سمح لهم بالعودة إلى منزلهم كان يقال بأن أخت شرتوني كانت عشيقته. في كل الأحوال قتل نادر في الانفجار المعد لبشير.

الأمن ـ المذبحة

المجازر وإعادة الحسابات

قتل حبيقة من المسيحيين أكثر ما قتل من أعدائهم. وكل مذابحه واغتيالاته وعمليات الخطف وخيانته مدفوعة. كان H.K يقبض ثمن خدماته، بعكس ما قيل لنا، فكل ما كان يُقام به من أعمال عنف كان بسبب المال وليس لخدمة القضية المسيحية. وهذه لمحة مختصرة عن الاعتداءات والجرائم التي اقترفها H.K باسم القضية التي كان يدافع عنها المسيحيون.

اغتيال المسؤول السابق لحزب الأحرار كلود سلفاني وعضو من عائلة معوض على يد طوني أبو جودة بأمر مباشر من H.K الذي رمى بجثتيهما في منطقة حي الأمريكان قرب غاليري سمعان في عين الرمانة.

جوزيف الأسمر أحد ضباطه قتل المناضلين في حزب الأحرار. جوزيف الطيّار، الملّقب ماندو، وشاب من عائلة ناصيف المدعو الكبوت والذي قتل على سريره في مستشفى أوتيل ديو، ليلى معوّض والتي رميت جثتها في بيروت الغربية قرب مستشفى سان شارل.

ضابط من الأمن الداخلي من عائلة نجيم، قريب من الأحرار، ودفن في أحد حفر مبنى الأمن.

حتى مقاتلين من أتباع حبيقة تمّت تصفيتهم:

جوزيف وجان بيزد، روكز قصوّف شاكر حدّاد، جوزيف أبو يونس، كذلك ثلاثة شباب أقوياء من عائلة إليا.

ولإرضاء أسعد حردان رجل السوريين قُتل طوني طعمة العضو في حزب الكتائب في منطقة الدورة والمسؤول عن العمليات العسكرية ضد المنظمات الفلسطينية وحلفائها في جنوب لبنان، وعلّقت جثته مع جثة أبو داني العضو في حزب الأحرار.

أن محاولة اغتيال مارون حلو كانت تهدف الضغط على الرئيس كميل شمعون بأحداث انشقاق داخل حزبه بمساعدة إيلي أسود وشارل غوسطين، محاولة اغتيال أخرى اقترفت ضد أدونيس نعمه عريف في أدونيس، وأخرى ضد العريف وليام مجّالي مسؤول المخابرات في الجيش اللبناني في جبل لبنان وسبب هاتين المحاولتين فُسر بأنهما لم يكونا متعاونين وعندما لم يحصل على النتيجة المرجوة أرسل حبيقة ميشال زوين لقتل نعمة الذي نجا بأعجوبة وجوزف الأسمر فجّر شاليه العريف مجّلي في الأكوامارينا متمنياً الاستفادة من الانقسامات الداخلية للدروز قدّم حبيقة خدماته لرجل الأعمال فريد حمادة الذي كان عدّواً لوليد جنبلاط. إيلي عقل، خبير المتفجرات في الأمن كلّف بتفخيخ سيارة متوّقفة في منطقة الصنائع على بعد بضعة أمتار من مكان إقامة جنبلاط. بواسطة عبوة من ٢٠٠ كلغ وجرتان من الغاز أسعد شفتري أشرف على هذه العملية بمساندة من

ميشال سماحة، وزير ونائب سابق، والذي كان مطلع على تحركات الوزير جنبلاط الذي كان صديق له، طوني وهبة ورجال حبيقة المخلصين كانوا يراقبون المكان أيضاً. وفي الوقت المحدّد وعند خروج وليد جنبلاط وزوجته من منزلهما، اتصل سماحة بشفتري عبر جهاز متطوّر من صنع إسرائيلي ولكن هذا الأخير فضّل الانتظار قليلاً خوفاً من موت سماحة في الانفجار. هذه المهلة هي التي سمحت للزعيم الدرزي وزوجته بالنجاة من الموت. لكن المراقب طوني وهبة فقد حياته، وبالنسبة لميشال سماحة فقط قذف من النافذة هو وحارسه الشخصي (Eh.M) معتقداً بأن جنبلاط قد قتل.

في أوائل ١٩٨٣، قرّر إيلي حبيقة وبول عريس قتل مسؤول الأمن في حزب الطاشناق المدعو إبراهيم أغاغيان خلال تنقله من برج حمود إلى الأشرفية وذلك مقابل مكافأة مالية مقدّمة من إحدى دول المنطقة لم تنجح محاولتهم الأولى ولكن في محاولة ثانية استطاعا خطفه وتصفيته بدم بارد وإخفاء جثته في مكان أجهله.

محاولة الاغتيال الفاشلة ضد مصطفى معروف سعد، زعيم السنة في جنوب لبنان نفذّت بالتعاون بين جهاز المخابرات للدولة اللبنانية وجهاز حبيقة. وقد موّل هذه العملية ملياردير معروف والذي كان قد أعطى حبيقة سابقاً مبلغ ٥ ملايين دولار مقابل مشروع بناء في طرزيا بلدة صغيرة في الجبل قرب جبيل. رجل الأعمال هذا هو رفيق الحريري والذي كان آنذاك يريد التخلّص من منافسة السياسي في صيدا مصطفى سعد. كُلّف يوسف حدّاد مسؤول الأمن في القوات اللبنانية مراقبة مصطفى سعد بمساعدة اثنين من مساعديه نادر مخوّل

وريما فرح. وكانت هذه الأخيرة الناطقة الإعلامية لحبيقة وهي من مواليد شرق صيدا وعملت سابقاً كمراسلة لإذاعة صوت لبنان وبعد دراسة معلوماتهم، طلب H.k من ميشال زوين وإيلي عقل بالذهاب إلى صيدا بحراً عبر الحوض الخامس مرفأ بيروت وتفخيخ سيارة لتنفجر عند مرور مصطفى سعد. وكان الرأس المدبّر لهذه العملية جوني عبدو رئيس الاستخبارات في الدولة وسفير سابق للبنان في إحدى الدول الأوروبية. هذه العملية لم تنجح كلّياً فمصطفى سعد لم يفقد حياته لكنه فقد النظر. ولكن حبيقة ورجاله نجحوا بإلصاق التهمة بيوسف حدّاد الذي تمّ توقيفه في حالة تلبس استطاع الفرار وإيجاد مخبأ له. حبيقة وشركاؤه الذين كانوا في خدمة دمشق أصبحوا في أعلى مراكز في الدولة.

محاولة الاغتيال ضد سليم الحص، رئيس وزراء لعدّة مرات خلال الاحتلال السوري، أشرف عليها أسعد شفتري الذي أوكل إلى دركي لبناني مهمة قيادة السيارة المفخخة وتفجيرها في الوقت المناسب. تلك التي اقترفت بحق مروان حمادة وزير حالي مقرّب من جنبلاط خلال عودته من دمشق على متن طائرة بوينغ تابعه لشركة الطيران اللبنانية، كانت أيضاً على يد رجال تابعين لحبيقة، مضيف طيران حدّد لهم موعد سفر حمادة فأرسل حبيقة رجاله بزورق إلى رأس بيروت واستهدفوا الطائرة برشاشاتهم ولكن محاولتهم لم تنجح. بعد انفجار سيارة مفخخة في مركز القوات اللبنانية في عوكر حاول إيلي حبيقة ممارسة ضغط على عناصر القوات التي عارضت الاتفاق الثلاثي الموّقع في دمشق سنة ١٩٨٥ وبين الدروز والشيعة، إيلي

عقل، الذي قتل لاحقاً في معركة ضد الأشرفية، أشرف على العملية بواسطة سيارة بيك آب مفخخة التي كان هدفها زرع الرعب وتخويف القدامى في الجبهة اللبنانية، الزعماء المسيحيين الكبار والمحترمين من قبل الجميع. فقط كميل شمعون أصيب إصابة طفيفة.

الدكتور إيلي كرم رئيس حزب الكتائب والمعارض الشرس لسياسة H.K كاد هو أيضاً أن يفقد حياته بانفجار وضع في سيارة مفخخة على مدخل نفق نهر الكلب.

انفجار السيارة المفخخة التي دمّرت مركز السيد محمد حسين فضل الله الزعيم الروحي لحزب الله في الضاحية الجنوبية لبيروت دبّرت بالتعاون مع دائرة الاستخبارات السورية ونفذّها الياس نمر بأمر من حبيقة المعروف بسيكام وقد أوقف من قبل الجيش اللبناني ثم قتل في زنزانته في اليرزة مخافة أن يقرّ بما يعلمه.

خلال الاجتياح الإسرائيلي وبأمر من حبيقة، أوقف جورج شعنين مدنيين إيرانيين وقادهم إلى أدما في كسروان حيث تمّ القضاء عليهم.

بعد سقوط الجنرال ميشال عون في ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠ ودخول القوات السورية إلى المناطق الشرقية طلب حبيقة من رجاله قتل مسؤولي الكتائب المساندين لسمير جعجع، كُلّف جوزف الأسمر بهذه المهمة. فقتل إيلي ضو رئيس الكتائب في كفرشيما وزرع عبوات في كل مراكز قوى سمير جعجع. بالنسبة لأسعد حردان أخذ على عاتقه مهمة قتل سامي أبو جودة المسؤول في القوات اللبنانية بالزلقا.

أعطى حبيقة الأمر بتصفية شباب حي كرم الزيتون في زحلة. العملية التي كلف بها فادي ساروفيم مدير مكتبه عندما أصبح وزير

الموارد الكهربائية، وتم ذلك على يد جلبير باز وإبراهيم حدّاد المدعوان كريم حنكش وبوبا، واللذان تخلّصا من الجثث على تلال زحلة.

ساروفيم كلّف أيضاً بتوقيف جورج خوند وطوني حدّاد من أنطلياس وتسليمهما إلى محمد مفلح، ضابط سوري، رئيس الاستخبارات في زحلة، الذي جعلهما يموتان تحت التعذيب. إيلي أبو نادر، متهّم بأنه عميل مزدوج تابع لجعجع (لأن أخته، صحفية لصوت لبنان وتعمل حالياً في قناة M.T.V التلفزيون التابع للمرّ كانت متزوجة من توفيق الهندي مستشار سياسي سابق لجعجع) قُتل أيضاً على يد رجال حبيقة وكلف جوزيف أسمر هذه العملية القذرة لميشال تنوري وجورج عيسى اللذين رميا الجثة في ميدان الخيل في بيروت.

كما قيل بأن لويس عون المعروف بأوسكار، مات في غوسطا في كسروان بظروف غامضة، وعلمت بأنه تمّت تصفيته على يد أسعد شفتري الذي كان منزعج جداً من العلاقة التي كانت تربطه بابنة المطربة صباح هويدا التي كانت عشيقته الجذّابة. قائمة الجرائم هذه المقترفة من حبيقة ورجاله علينا أيضاً إضافة تصفية بشير كيروز في الحازمية، وغسان الخازن في الأشرفية وإيلي فرح في فرن الشباك وعيد عيد الذي وضعت جثته في صندوق سيارة مهملة في منطقة المتحف، وجريمة الياس شرتوني، التي دبّرها جوزيف الأسمر ونفذّها ميشال تنوّري بمساعدة رجل لم أعد أذكر اسمه. أمام محل حلاقة للرجال في الأشرقية.

إيلي حبيقة مسؤول أيضاً مع أسعد حردان عن انفجار السيارة المفخخة التي أوقعت أكثر من ١٥٠ ضحية بين قتيل وجريح، أمام فرن الحطب المزدحم في أنطلياس، جو عقل جهّز السيارة وأرسلها إلى ضهور الشوير معقل حردان وحزبه ومن هناك إلى أنطلياس.

حبيقة وصهره رينيه. ك. معوض طلبوا مني شخصياً بقتل الياس عوض، رجل أعمال مقعد لا يغادر منزله أبداً. القذيفة التي أطلقت على منزله في أدونيس أحدثت أضراراً جسيمة في المنزل لكن الرجل خرج معافٍ. وبعد محاولة ثانية وحسب نفس السيناريو أصيب إصابة خطرة فأمرني حبيقة بتركه.

مطبعة جبران التويني الكائنة في منطقة الصنائع في الحمراء نُهبت وحُرقت بأمر من حبيقة H.K طلب مني حرق مطابع الجريدة اليومية النهار الصادرة باللغة العربية فتوجّهت مع مجموعة من ضباط سوريين وأضرمنا النيران في المطبعة. الخسائر كانت جسيمة ولكن لم يجرأ أحد على الشكوى.

منذ سنة ١٩٨٧ لغاية ١٩٨٩ كُلّف حبيقة من قبل القيادة العليا السورية في لبنان بالتجسّس على السفارة الأمريكية، سائق السفير مولود في زحلة والذي كان نيقولا معكرون، يقوم برشوته كان يقدّم تقريراً مفصلاً لكل ما يحدث في السفارة لجوزيف الأسمر. ثم واصل اتصالاته مع جان عبد المسيح الذي وهب نفسه لحبيقة كعرفان بالجميل لمساعدته على الوصول على الجنسية اللبنانية وقد سمى نفسه إبراهيم حدّاد.

خلال فترة التوتر بين القوات اللبنانية والجيش الوطني. قتل إيلي حبيقة خمسة من الكوموندوس كان بشير طلب منه فقط أن يبعد ضباط المكافحة لمنعهم من دخول المناطق المسيحية. لكن حبيقة استفاد من الفرصة وقتل كل الضباط الذين وقعوا تحت يده. وكان على كل رجل من رجاله الذين يقتلون ضابط من المكافحة أن يسلّمه سلاح الضحية مسدس سميث ووِوسن. وفي يوم واحد تلّقى خمسة مسدسات دفعة واحدة.

خلال احتلال بيروت الغربية من قبل الجيش الإسرائيلي، حصلت على أمر اختطاف جورجينا رزق ملكة جمال لبنان سابقاً والمتزوجة من مسؤول كبير فلسطيني حسن سلامة، وكانت قد هربت من بيروت الغربية واختبأت عند منزل أختها في الأشرفية. هنا، وبصحبة مقاتلين شباب سحبتها من سريرها مرتدية ثياب النوم وأخذتها مع ابنها وشقيقتها وامرأة أخرى زوجة ضابط فلسطيني، وقدتهم إلى مركز الأمن وسلّمتهم لإيلي حبيقة شخصياً الذي أخضعهم للتحقيق والضرب بالتعاون مع غابي بستاني وأسعد شفتري. ثم أعيدوا إلى بيروت الغربية وهن ما زلنا في ثياب النوم.

جمال خوري رجل أعمال لبناني من بلدة كرم عصفور من عكار مهاجر إلى البرازيل اختطف على يد بول عريس بأمر من حبيقة ولم يخل سبيله إلاّ بعد دفع فدية كبيرة.

محاولة اختطاف جورج إفرام فشلت ولكن الرجال المكلفون بهذه المهمة أصابوا سائقه واستولوا على سيارته المرسيدس

المصفّحة. وكذلك خلال محاولة اغتيال رفيق شلالا صحفي معروف مدير سابق لوكالة الإعلام الوطنية قام رجال حبيقة بسرقه سيارته الرانج روفر.

النائب السابق أسعد الأشقر اختطف من بلدته ديك المحدي وأوسعه إميل عيد ضرباً بأمر من حبيقة. وكذلك عمد إميل عيد على خطف ابنة أحد الصحافيين في جريدة النهار وذلك لمولاته الحزب القومي السوري في منطقه الرميل في الأشرفية. وقد تعرّضت للاغتصاب من قبل خمسة رجال من مساعدي حبيقة.

قتل إميل عيد أيضاً في بيروت الغربية محام كبير من إدبل ينتمي للحزب القومي وعلى الأثر طرد الحزب كل مسيحيي القوات والكتائب المتواجدين في المنطقة.

أمر حبيقة أيضاً بقتل السفير الأمريكي، وقامت مجموعة جوزيف الأسمر بتنفيذ المهمة بإطلاقهم صواريخ مضادة للدرع على سيارته المصفحة لحظة مرورها على مستديرة الصيّاد في الحازمية. فشل الاعتداء لكنه أثار ضجة كبيرة وسبّب بإشكال ديبلوماسي خطير.

ومقتل الرقيب الياس موسى الذي كان نائماً في سريره في وزارة الدفاع تمّ على يد إميل عيد الذي قتل أيضاً الياس نمر المدعو سيكام والذي كان يحتفظ بمعلومات خاصة عن حبيقة.

كل عمليات الاختطاف والمطالبة بالفدية أدّت إلى إفلاس العديد من المصارف. حبيقة، بول عريس، ورينيه ك. معوّض حصلوا على قروض ضخمة من مدير فينسيا بنك وجدي معوّض ولم يسدّدوها مما

أجبر معوّض الفرار إلى البرازيل وأتاح لحبيقة ورينيه ك معوض الاستيلاك على شقته الفخمة في الأشرفية وشاليه في طبرجا بيتش وسيارته. ساهم حبيقة أيضاً بأفلاس بنك التجارة في الحازمية: صاحبه سليم الحاج اختطف عدّة مرّات وأجبر على دفع فدية ما بين ١٠٠ ألف و٣٠٠ ألف دولار. وتعرض ترست بنك للسرقة على يد إيلي حبيقة، رينيه ك. معوض، بول عريس، وطوني بويدي. كذلك سحب حبيقة بالتعاون مع رينيه معوض وبول عريس مبالغ ضخمة من بنك الشرق التابع لروجيه تمرز.

كل تجار المخدّرات كانت تدفع الملايين لحبيقة ورجاله الذي كان الحوض الخامس في المرفأ تحت سيطرتهم وأكثر من استفاد بول عريس وإيلي وازن المدعوان الخال وعباس واللذان كانا يؤمنان الحماية ونقل المخدرات إلى أوروبا وأمريكا عبر المرفأ.

بول عريس كان على علاقة بالانتربول شرطة مكافحة المخدرات الأمريكية وكان يسلمهم كل من لا يدفع له من تجار المخدرات اللبنانيين. وكان يشغل الشباب الذين يبحثون عن قُوتهم ويدفعهم للعمل مع تجار المخدّرات تحت غطاء خدمة القضية. في هذا الوقت أصبح حبيقة من أغنى الرجال في لبنان وكان بول عريس مسؤول عن مكتب الخدمات التجارية والذي يهتم بجميع المعاملات. ولكن حبيقة لم يكتف بهذا وأراد وضع يده على كازينوهات بيروت. للاستيلاء على كازينو فريد الأطرش، وحاول عدّة مرّات قتل صاحبه سركيس شلهوب وعائلته. كذلك الأمر بالنسبة لزكور الحلبي صاحب كازينو الحلبي الذي نجا من حادث اغتيال وأصيب في رجله وتوفي

سائقه. استولى حبيقة على كازينو دوڤيل في المعاملتين وسلّم إدارته إلى شارل شالوحي ورينيه ك معوّض اللذين باعوه لميشال بشارة. وكذلك وضع يده على كازينوهات شير وبعلبكي.

أهالي المفقودين الذين يتظاهرون كل يوم لمعرفة معلومات عن أبائهم أو أخوتهم لماذا لم يتوّجهوا مباشرة إلى المسؤولين عن هذا العمل: إيلي حبيقة وجورج صبّاغ كانوا يستطيعون سؤالهما عن مصير ٣٠٠ شخص قتلوا بدم بارد ودفنوا في حفرة مشتركة في مبنى الأمن الكائن في الكرنتينا. لماذا لم يطلبوا من الجمعية العمومية والانتربول التحقيق في هذه المذبحة؟

الفصل الثاني عشر

المقعد الملطّخ بالدم

لقد كان بشير وأخوه أمين على خلاف مستمر. وقد برز هذا الخلاف على العلن عند اندلاع الحرب. لهذا كان الحزب منقسّم، ولكن وحده أباهما بيار الجميّل نجح بتوحيد الحزب بفضل سلطته وحكمته. ولكن بعد مقتل بشير قررت القوات اللبنانية أن تدعم ترشيح أمين الجميّل للرئاسة. كانت القوات تريد بهذا، قطع الطريق أمام كميل شمعون رئيس كتلة الأحرار بأي ثمن. فهذا الأخير كان سياسي محنّك، في الثمانين من عمره، وبدأ يحظى بدعم الإسرائيليين بفضل خبرته الواسعة وكرهه للسوريين. كان يطلق عليه لقب تشرشل لبنان، وكان يفرض احترامه على جميع مواليه. ولكن كان حزب الكتائب أكثر شعبية. على عكس بشير لم يكن أمين، الذي حلّ محل عمّه في مجلس النواب موريس الجميل الذي توفي على أثر ذبحة قلبية، لم ينجح بعقد علاقات خارجية متينة. ولكن مركزه أعطى استمرارية سياسية لعائلته ولحزب وللقوات اللبنانية وهشاشته كانت تخدم بعض الأقوياء التابعين لبشير. على المستوى الشعبي كانت

القوات تمثّل درع المسيحيين الحامي. فدعمت أمين الجميّل للرئاسة. ودعمهم كان يعني بالنسبة لهم على الأقل، أنه عليه أن يعترف لهم بالفضل ويتركهم لشأنهم لأنهم في قرارة أنفسهم لم يحبوه ولم يثقوا به. ولكنهم كان من الممكن أن يشكل لهم غطاء شرعي.

تلقى علومه في أحسن المدارس. سياسي محنك، استعمل أسلوب المراوغة ليكسب دعم الشعب المسيحي له. وأول خطوة قام بها بعد انتخابه كرئيس للجمهورية في ٢٣ أيلول ١٩٨٢ هي زيارة مقر القوات اللبنانية ومن ثم المجلس الحربي وبهذا كان يتبع خطوات أخيه ولكن الحذر كان سائداً. وكانت صولانج أرملة بشير، ذات شخصية قوية تحاول تهدئة المواقف بتدّخلها المباشر. لكن كل طرف كان يحضّر لإلغاء الآخر. وطوع القوة بدأت. هذه العداوة الغير معلنة فسّرت على أن بشير المنتصر فُرض بدعم من إسرائيل على اللبنانيين المسلمين وخاصة على سوريا بينما كان أمين هو المرّشح من قبل المسلمين حلفاء سوريا. كان لدى أمين قواته الخاصة المنفصلّة عن القوات اللبنانية التابعة لبشير. وكان دائماً ينادي بالحوار والسلام مع سوريا. كان يعلن بأن إسرائيل تريد أن تحلّ محل لبنان في المنطقة اقتصادياً وكان لديه روح تجارية جشعة لهذا كان يفضّل العرب وخاصة عرب الخليج دول النفط التي ممكن الاستفادة منها ولكن بالرغم من ادعاءاته، كان أمين يتفاوض مع الإسرائيليين، طوال سنة ١٩٨٣، عبر حبيقة وكنت أنا أسلّمه رسائل شارون في قصره في بكفيا مسقط رأسه. لم يكن أمين يحبّ حبيقة فخداعه كان يقلقه. فأنصار أخيه ما زالوا محبوبين وممكن أن يشكلو تهديداً له. واستفاد سليمان

فرنجية حليف سوريا من هذا الوضع وحاول ضرب آل الجميّل. ولكن السوريون الذين يعارضون أية علاقة مع إسرائيل، سعداء بإحتفاظ أمين إلى جانبهم. لهذا كان على فرنجية أن ينتبه من أي زلّة رجل. وحمل موفد سوري إليه رسالة مفادها بأن عليه أن يحتفظ ببرودة أعصابه بالرغم من عدائه لآل الجميّل. فأسياد دمشق ينوون التعامل مع أمين. وهذا بالتأكيد لم يعجب حبيقة الذي أحسّ نفسه مُقصياً. وكان الصراع قائماً مع حبيقة الذي وجد نفسه مكفوف اليدين فليس من مصلحته محاربة أمين الجميّل طوال مدّة رئاسته والذي كان مدعوماً من سوريا والمسلمين والقيادة السياسية للحزب، طلب أمين من القوات اللبنانية تسليم السلاح وتسليم الحوض الخامس من مرفأ بيروت هذا بالإضافة إلى إزالة حاجز البربارة وكانت كل هذه المرافق تدّر ذهباً على القوات. وبعد أسابيع من المفاوضات وافقت القوات على سحب أسلحتها من بيروت والإبقاء عليها في الجبل إلاّ أنها رفضت جميع المطالب الأخرى. فساد التوتر. وفي هذا الوقت كان أمين يقوّي المليشيا التابعة له في المتن الشمالي. كان بشير قد عيّن فادي إفرام رئيساً للقوات قبل مقتله، ورأى إفرام إن أمين الجميّل شكّل تراجعاً بالنسبة لخطّ بشير السياسي ولكنه كان ملجماً بالروابط العائلية. مجازاً في الهندسة المدنية من الجامعة الأمريكية، وكان على عكس حبيقة، ينحدر من عائلة كبيرة وقد شغل مناصب مهمّة، كان رئيس مخابرات المليشيا المسيحية عام ١٩٧٨ التي كانت من أكثر السنوات الصعبة في الحرب، ثم أصبح رئيساً للأركان عام ١٩٨١، المركز الذي تنازل عنه لجعجع فيما بعد. ولكن لم يكن محتالاً ومتمكناً مثل حبيقة، كانت تنقصه الشجاعة والقوة. الجميع كان يريد

التخلّص منه فلم يرغبوا ببقائه خاصة بأن مدّة رئاسته شارفت على الانتهاء. ففرض كل واحد مرشحّه الخاص. ولكن فؤاد أبو ناضر المدعوم من قبل الرئاسة، كان الأوفر خطاً وقد فاز. هذا الطبيب الشاب في الثامنة والعشرين من عمره، ابن أخت أمين، وكان يشهد له الجميع بشجاعته، كان يشبه كثيراً خاله بشير. وكان أمين يعلم بأنه باستطاعته الاتكال عليه وكان على حق. ومنذ انتخابه كان ولاء فؤاد لخاله وحزب الكتائب بدون حدود.

وفي هذه الأثناء كان حبيقة ينتظر الوقت المناسب ويزرع الرعب، مطبّقاً ما قاله له خدّام: «سيطّر على الأرض لتملك القرار».

الفصل الثالث عشر

تنظيم جديد للأمن

كريم بقرادوني المستشار السياسي المقرّب من بشير كان من قلائل الأرمن الذين شاركوا في الحرب. وكان هناك أيضاً نازو نظير ناجماريان مقاتل من الدرجة الأولى الذي قاد مجموعة الصدمة في حزب الكتائب في معركة الفنادق. كان نازو في البداية محارباً من الدرجة الأولى شجاعاً وشريفاً ولم يقبل التصرفات الغرائزية للقادة العسكريين ولكنه لم يحرّك ساكناً. ليوقف النهب وسرقة البضائع في المرفأ بقيمة ٧ مليون دولار وكان يردّد دائماً: «علينا مقاومة الإغراءات المادية وعدم الوقوع في الرشوة لأن ذلك لا يخدم القضية وإذا ساد الفساد فمن غير الممكن كسب الحرب وسوف تتمّ تصفيتنا عاجلاً أم آجلاً ليس هنا فقط بل في الشرق كله: كان يجسّد حلمنا بتواجد مسيحي قوي وأبدي في لبنان.

ولكن بعد مقتل أخيه في الجبهة وانتقاله كمسؤول في صيدا وجوارها تغيّر نهجه ونسي مبدأه فأعماله الغير مسؤولة أنذرت ببداية التقهقر المسيحي في تلك المنطقة التي سقطت بيد الشيعة ودروز

جنبلاط ومجموعات مسلحة أخرى. وأكمل سمير جعجع عندما أرسل إلى جبهة الجنوب ما كان قد بدأه نازو وهكذا تمّ تهجير المسيحيين من تلك المنطقة.

بعكس نازو الذي كان في بدايته رمزاً للمحارب الشريف والمخلص للقضية، كان بقرادوني ذو دهاء سياسي وثعلب ماكر. كان يشتم الربح ويلعب على جميع الاتجاهات. وحوّل الأبيض أسود في أحد كتبه منتقداً آل الجميّل ولكن كل انتقاداته كانت غير بنّاءة. أن الشيخ بيار لم يكن طاغية بل على العكس كان كالقلعة واستطاع أن يقود حزبه، وخاصة بعد انتخاب ابنه كرئيس للجمهورية، إلى قمّة النصر. وحتى بعد موت بشير، ظلّ بيار ممسكاً بزمام الأمور حتى موته.

بعد موت بشير وقف بقرادوني إلى جانب حبيقة وأخذ يغدق عليه النصائح. وكان حبيقة الطموح والغامض محبوباً، ومدعوماً من الشيخ بيار وبشير، وبالتالي كان أعضاء حزب الكتائب يعتمدون عليه. كان حبيقة ممسكاً بجهاز الاستخبارات وأمن الكتائب بيد من حديد كان يظهر إخلاصه لآل الجميّل وللقضية المسيحية مما دفع حزب الكتائب إلى الثقة به والاعتماد عليه. كان يخدع الجميع: أصدقاء، أعداء وحلفاء. عاقداً اتفاقات سرّية، كان يستغّل اتباعه الفخورين بتنفيذ جميع أوامره.

حبيقة مواطن ماروني ينتمي إلى عائلة من الطبقة المتوسطة. ولد في كسروان وترعرع في الأشرفية حي الجميزة القريبة من وسط المدينة ومن ساحة الشهداء. وعند اندلاع الحرب عام ١٩٧٥ ترك

المدرسة وانضم إلى الكتائب وسرعان ما دخل في مجموعة المقرّبة من بشير والتي يرأسها سامي خويري وجورج فريدس. أعضاء هذه المجموعة كانوا كلّهم جامعيون من عائلات كبيرة، مثل (فادي إفرام مسعود أشقر، فؤاد أبو ناضر، الياس الزايك، طوني كسرواني، سامي خويري، غابي وجو توتنجي). وحبيقة لم يكن بمستواهم العلمي ولكنه استطاع أن يلفت انتباههم ويفرض وجوده وبالفعل فقد تفوّق عليهم جميعاً. قوي وشرس رمى حبيقة نفسه في كل المعارك الطاحنة والمجازر بدءاً بالسبت الأسود ٦ كانون الأول ٧٥ المجزرة المدبّرة من قبل جو سعادة للثأر لمقتل ولديه. وضع حبيقة حواجز طيّارة وخطف العديد من المسلمين التي تمّت تصفيتهم.

بعد حرب السنتين ذهب في مهمة إلى جنوب لبنان وإسرائيل وبعد عودته إلى بيروت عيّنه حزب الكتائب موظف في بنك لبنان والبرازيل فرع سن الفيل مدير البنك كان عضو في حزب الكتائب هو السيد كحّالة ومع تطوّر الأحداث الأمنية والعسكرية استدعى حبيقة وعيّن قائداً لعلاقات العسكرية والمكتب الثالث ولم يداوم في البنك ومنذ ذلك الحين كان يتقاضى راتبه حتى العام ١٩٨٢ بواسطة شيك كنت أحصّله لعدّة سنوات. كان حبيقة الذي أنشأ ثلاث وحدات عسكرية مشتركة تحت إمرة أكثر المتطرفين ولاءاً له منهم مارون مشعلاني جوزيف الحاج (أبو حلقة)، وجورج ملكو. وبهذا نجح حبيقة وأصبح أكثر غموضاً وسرية. استفاد والده من نجاحه. فقد قرّر الانتقال من ساحة المعارك في ساحة الجميزة وبنى بيتاً من طابق واحد في أدونيس وكان هذا البيت يحتوي على مشغل خياطة لزوجته بدر حبيقة وغرفة نوم وتوابعهما لم يكن حبيقة يسكن مع أهله بل كان

يمضي كل وقته في مبنى الأمن. ولحسن حظّه التقى بالياس شرتوني في مجمّع سان جيل. حيث كان هذا الأخير يزور صديقه رينيه كعدو معوّض الذي كان والده إميل يملك المجمع.

رينيه كعدو معوّض، كان يتاجر بالجنس متزوج من امرأة مثيرة تبحث عن المال واللّذة من أم إيطالية وأب صحفي ولد في مصر معروف بانتهازيته. عرّف رينيه معوض حبيقة على أخت زوجته، جينا وكانت كأختها تحب المال والجنس ووقعا في الحب واستمرت هذه العلاقة ثلاثة أشهر وكنت كل يوم أصطحب جينا من مدرستها المهنية في الجميزة حيث كانت تأخذ دروس في السكرتيريا وكانت وظيفتي نقلها بسيارتي الرينو إلى مبنى الأمن حيث يقع مكتب حبيقة، أصبحت صديقها فشاركتني فرحها وخوفها ومشاعرها. ولم أكن أجيبها عن أسئلتها حول حبيقة بوضوح بل كنت أمدح رئيسي.

أراد التأثير عليها بهدية فاشترى لها سيارة فيات ١٢٧ خضراء ولكنها كانت تريد سيارة كبيرة تنافس بها أختها فانكشف جشعها فتخاصما. فكانا من نفس الطينة، طينة الجشع والانتهازية.

ولكن خصامهما لم يدم طويلاً وتزوجا بعد ثلاثة أشهر الياس شرتوني المسؤول عن ثكنات السلاح والمخدرات كان يزداد غنى وهو يحتاج لخدمات حبيقة لذلك عرض عليه بناء شقة فوق منزله له في أدونيس وفرشها بسخاء وسلّمه المفتاح. كانت هذه التركيبة خطيرة: حبيقة الذي يملك السلطة والسلاح ورينيه كعدو معوض البرجوازي الذي كان ينصح حبيقة بالحذر والشرتوني الذي أغرق هذا الأخير بالمال.

حفل زواج عارم وغني بالمظاهر العسكرية أقيم في كنيسة يسوع الملك وأشرف على هذا الحفل الأب بولس نعمان المسؤول عن المجمع الماروني والأب كرم. تبع الحفل حفلة كوكتيل «نادي تورننغ» في الكسليك ومن هناك طار العروسان لقضاء شهر العسل في إسرائيل يرافقهم رينيه كعدو معوض على متن يخت تابع للقوات اللبنانية.

بعد عودته من شهر العسل في إسرائيل قرر توسيع وتنظيم المخابرات والأمن وقرّر أن يحوّل قيادته إلى مكتب مستقل وضع فيه جميع المخلصين له، عين طوني أرامن رئيس أمن الحدود، غابي بستاني مسؤول عن الموقوفين والرهائن، إميل عيد عن التحقيق والاستجواب، ميشال الزوين مسؤول الأمن، الياس شرتوني مخدرات وأسلحة، مارون مشعلاني عمليات خاصة، بول عريس المالية. وأصبح مقر القيادة خلف فوج الأطفاء في شرق بيروت بقيادة بوسي (مسعود الأشقر). من هذه التركيبة (التي تضم ٢٠٠ شخص) قرّر حبيقة الاستقرار في مقر مستقل في الأشرفية، سنة ١٩٨٠، قسم الأمن والملفات والمخابرات كانت تحت إمرة أسعد شفتري وبيار رزق. بالنسبة لي أنا المسؤول عن حماية وأمن حبيقة الشخصي، كنت الأقوى منهم جميعاً.

وبعد شهرين على هذه الترتيبات الأمنية، ومع طموحه غير المحدود وإحساسه بالعظمة، نُقلت هذه التركيبة إلى المجلس الحربي في الكرنتينا وعين حبيقة نفسه قائداً وأسعد شفتري مساعداً له، وعهد إلى غابي بستاني أمن الأسرى والتحقيقات، ماريو سايمونيدز على

المخابرات الخارجية جوزيف أسمر المخابرات الداخلية، ميشال زوين عمليات، بول عريس الذي ينحدر من عائلة غنية ولديه حس رجال الإعلام سُلم المالية، بيرس كامب الذي كان ذكياً ومثقفاً من أب إنكليزي وأم فنانة لبنانية عيّن مسؤولاً عن الإعلام والذي كان ممسكاً به جيداً، حسب مقولة بيار الجميّل الشهيرة «كالقنبلة الذريّة»، وعيّن حبيقة غابي عيد مسؤول مركز الأمن وجيسي سكّر المهندّس المسؤول عن المتفجرات. إيلي شرتوني بقي في موقعه المخدّرات والأسلحة في موقع مستقل في ساحة العبد في منطقة، النهر. ومنذ ذلك الوقت أصبح حبيقة يرجف المنطقة الشرقية كلها ولا يمكن لأحد أن يفعل أي شيء بدون موافقته. وكان متمكناً من سلطته.

إن أجهزة المخابرات في العديد من البلدان تفاجأت بقدرته على معالجة الموقف في ٨٠٠ كلم٢ من المناطق المسيحية. وقد اتصلت به بعض هذه الأجهزة المخابراتية وتبادلا الخدمات عرضت الولايات المتحدة على مساعديه بالتدريب لمدة ٤٥ يوماً في لانجلي، فرجينيا في مركز الـC.I.A فأرسل غابي بستاني، وماريو سايموندیز وبيار رزق الملقب بـ أكرم وجيسي سكر وقد تفوّق أكرم على الجميع وحين عاد كان له أعداء كثيرون ولم يكن يحب أن يتلقى الأوامر من أحد وكان صعب المراس وكان الشفتري يكرهه ويحب إزالته من الطريق وخطط ثم اتهمه بحيازه مائة ألف ليرة لبنانية أي حوالي ٢٥٠ دولار من المدخرات غير الشرعية، كان المبلغ بسيط ولكنه كاف لطرده من جهاز المخابرات.

الفصل الرابع عشر

«أزح. لي، لقد أخذت مكانك»

بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٥ عاشت القوات اللبنانية والمسيحيين هزائم عسكرية مهمة. ففي عام ١٩٨١ انتهت معركة زحلة بهزيمة منكره ولكنها رسمت نصراً سياسياً ونقطة تحوّل في الحرب اللبنانية فقد توسعت الحرب مرتسمة بتطورات درامية حتى تاريخ ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٩٠ أتت الضربة التي أسقطت المسيحيين أرضاً.

عام ١٩٨٢ كان أمين الجميّل رئيساً للجمهورية وقد أنقذ المسيحيون وجودهم بشكل أو بآخر، وكان لإسرائيل سلطة عليا على كل المستويات، في العام ١٩٨٤ نجحت سوريا بالزحف بالقوة على الأراضي التي خسرتها سابقاً وكان ذلك بعد اتفاق ١٧ أيار بين لبنان وإسرائيل وبعد الطريقة الأليمة التي أدار بها القادة المسيحيون سياساتهم.

من ١٣ أيلول ١٩٨٣ حتى شباط ١٩٨٤، فرّقت لبنان هزيمه نكراء في الشوف وعاليه في الجبل. كانت القوات اللبنانية محرومة من بطل تتبعه وتدعمه، قائد يرى المستقبل ويستطيع التأثير عليهم

وإعطائهم البركة التي تجلب الحظ الوافر وتقودهم إلى النصر. كانت هناك القوات اللبنانية الممزقة بصراعات داخلية على المصالح وقد غامرت بالدخول إلى منطقة مسيحية درزية مدعومة سياسياً وعسكرياً من إسرائيل. وقد اقترفوا مجازر رهيبة ضد الدروز. ثم انسحب الإسرائيليون، وأعطوا بذلك درساً قاسياً لهذه القوات التي ما لبثت تخونهم.

أصبحت القوات اللبنانية متروكة بدون قياده مما دفعها لمعاناة أكثر الهزائم خطورة في تاريخ الحرب. هذه الهزيمة دفعت لظهور الأحقاد بين رؤسائه الذي كان كل واحد منهم يحمل مسؤولية هذه المأساة للآخر، وعد أمين الجميّل بمساعدة القوات اللبنانية وبإرسال مجموعات من الجيش اللبناني لاستلام المناطق التي انسحب منها الإسرائيليون. ظل الجميّل يعيق آمال القوات اللبنانية التي أعاقت حركته وكانت الميليشيات التي تحت قيادة سمير جعجع في قمّة الفوضى وكان عدد الدروز يفوقهم مدعومين بمساندة من سوريا وأنصار فتح، فكانت المعركة دامية. قتل خلالها آلاف المسيحيين الأبرياء ومن استطاع الهرب كان في وضع مزري. وقد أصبحت الشوف وعاليه خاضعة لسلطة الدروز دون تواجد أي شخص مسيحي بينهم. الكثيرين هُجّروا من بيوتهم، الآلاف أصبحوا دون منازل وسكنوا في المدارس والأديرة وقد تعالت الاتهامات ضد أمين الجميّل وأصبح هدفاً للانتقاد والحقد.

مع عودته إلى بيروت اتهم سمير جعجع أمين الجميّل بأنه كان يهدف من كل ذلك القضاء على القوات اللبنانية ليصبح هو الحاكم

الأوحد على المسيحيين وسبّب ذلك شرخ كبير في الشارع المسيحي. وأصبح المجتمع المسيحي يرفض فكرة الدولة وباتوا يفضلون إمارة صغيرة ومعزولة لأن العزلة تأمن الحماية لهم من ظلال الشباب وبات الهدف طرد السوريين من البلاد.

في هذه الأثناء كان أمين الجميّل يحاول بناء دولته، خطوته الأولى بعد إلغاء اتفاق ١٧ أيار كانت زيارته الرسمية الأولى إلى دمشق في ٦ آذار ١٩٨٤ وبعد ستة أيام، أي في ١٢ آذار قامت الزعامات السياسية من مسلمين ومسيحيين ودروز بالاجتماع في لوزان في سويسرا عدا القوات اللبنانية، وليد جنبلاط ونبيه برّي زعماء الميليشيات الدرزية والشيعية كانا واثقان وعلى موقف قوي بسبب الدعم السوري لهما. في بيروت كانت القوات اللبنانية غاضبة ومدعومة شعبياً ممّا جعلها تعلن أنها ليست معنية بما يصدر من مقررات في ذلك الاجتماع وقد قالوا بأن هذا الاجتماع سوف يحكم سيطرة السوريين على لبنان، وجعلت مقررات لوزان المسيحيين بين قبضة السوريين يستطيعون سحقهم متى يشاؤون، قرّرت الترويكا في القوات اللبنانية حبيقة، جعجع، بقرادوني، إنه حان الوقت للضرب وحماية القطاع المسيحي وحماية مواقعهم فقد رفض الثلاثة أوامر أمين الجميّل بإقفال المرافئ المتفرقة وحل حاجز البربارة وقد كانت هذه المرافئ تأتيهم بالمال والمخدرات والسلاح. وكانت خطة العصيان المسلّح قد وضعت، ففي اللحظة الأخيرة رفض جعجع المشاركة والانصياع لأن الرهانات كانت كبيرة. وكان لا بد لهذا الكنز أن يحفظ وكان سمير جعجع في الواجهة أما حبيقة وبقرادوني فقد وقفا في الخلف.

في ١١ آذار ١٩٨٥ قرّر حزب الكتائب فصل سمير جعجع من الحزب وفي اليوم التالي بدأت الانتفاضة المنشقون الثلاثة لم يكونوا على خط واحد ولكنهم كانوا مصمّمين على هدف واحد، وهو الدعم الشعبي له وقد أعيد إحياء أسطوره بشير، وأعيد تذكير الشعب بروح وخط بشير، بشير الذي كان شجاعاً وغامر مع حلفاء أجانب وخطيرين ولم يستسلم، بشير الذي قاد المسيحيون من نصر إلى آخر، كانت أفكار الثلاثة واضحة للجميع الآن.

زيادة في معرفة أعضاء هذه الترويكا هذا صورة مختصرة عنهم.

سمير جعجع كان رجل عسكري قوي طموح ومناصر لقد استطاع إيهام الناس بأنه مفكر وفيلسوف ومؤسس الدولة المسيحية كان لديه جيش من ألف مقاتل مستعدين للموت من أجله بالإضافة إلى المتطوعين من الشوف وأموال حاجز البربارة بحوذته.

إيلي حبيقة رجل المخابرات، الحليف السرّي السوري عمل وفرض سلطته بخفة. لم يكن يحتاج أن يلعب مشاعره أحد، كان يشعر بأنه لا يقهر وقد احتقرت جماعته سمير جعجع وشعر بأن هذه فرصه لاستغلاله ثم رميه خارجاً. قوّته لم تكن في عدد رجاله بل في أساليبه وموقعه في حزب الكتائب منذ اغتيال بشير. منظمته «الأمن والاستطلاع، كانت فوق كل الشكوك، دعامته حزب الكتائب والقضية المسيحية لذلك فقد يسهّل هذا كلّه الطريق كلياً ومن ثم يزيل خصومه من دربه من قادة حزب الكتائب والقوات اللبنانية وجعجع في الوقت المناسب.

كريم بقرادوني رجل الترويكا الثالث لم يكن مقاتل ولكنه لا يقل

أهمية، هو السياسي الماكر لقد كان المحامي الذي لا يستطيع أحد العمل دونه والذي كان كصلة وصل وقد ساند هو وحبيقة حزب الكتائب.

ومع إعداد الساحة جيداً تعاظمت شكوك أمين الجميّل وكبرت المخاوف وجميع الأطراف مستندة على معطياتها، قام بقرادوني وحبيقة بانتفاضة ١٢ آذار ١٩٨٥.

في صباح الثاني عشر من آذار ١٩٨٥ تحرّكت قوة مسلحة بقيادة سمير جعجع من جبيل نزولاً إلى الساحل، نهر الكلب، بيروت وصولاً إلى كيلومترات قريبة من مشارف المتن الشمالي الذي كان تحت السيطرة الكاملة للقوة ٧٥ التابعة لأمين الجميّل وكان جعجع قد سيطر على جميع الحواجز ونقاط العبور التابعة لحزب الكتائب والقوات اللبنانية التي كانت تحت سيطرة رجال فؤاد أبي ناضر دون مقاومة أو خسائر بشرية أو مادية.

أما المقاومة الجدّية الوحيدة حصلت على مستوى نهر إبراهيم في مساء ذلك اليوم فقد خاض حاجز تابع لحزب الكتائب تحت إمرة جوزيف الزايك وشقيقه الياس معركة ضدّ قوات جعجع وبالرغم من عدم تكافؤ القوة فقد اعتقل الزايك وهو مناصر لحزب الكتائب بالرغم من كل ذلك تمّ القبض عليه وحبس وعُذّب لمدّة أسبوعين قبل إطلاق سراحه.

كان حبيقة البيروتي غير معروف في الجبل أما جوزيف والياس الزايك ينظر إليهما كزعماء في غزير وكانت أعالي كسروان تحت رحمتهم وقد نظر إليهم بطرس خوند باحترام وخوف ولكن دون

محبة. وأصبحت كفر حباب بلدة حبيقة الجديدة والتي سكنها مع زوجته وهي منطقة سكينة في قاع غزير وكانت بقبضة الأخوين الزايك اجتاح حبيقة ونخبته الموالين له بعبدا والأشرفية المناصرتين له أصلاً وتكون بهذا قد سيطرت القوات اللبنانية على العرين المسيحي. فأعدا المتن الشمالي.

وزير الداخلية اللبناني ميشال المرّ الحالي كان العرّاب المتخفّي، كان مسيحياً أولى الكره لآل الجميّل وكره حزب الكتائب في أوائل الستينات كان يموّل القوات اللبنانية بالأسلحة من جميع العيارات كان المرّ يريد رأس الجميّل وكانت القوات اللبنانية عتاده، كان كره المرّ لأمين الجميّل ولحزب الكتائب شديداً لأن الجميّل كان دائماً محظوظاً، فقد خطف مقعد المرّ في مجلس النواب حين توفي عمّه موريس الجميّل ولم يستطع المرّ يوماً أن يتغلّب على أعضاء حزب الكتائب في منطقة المتن بالإضافة إلى ذلك فقد خدم المرّ، طمع حبيقة، وجعجع، وبقرادوني للسلطة والمال، الذين قدمّهما لهم بكرم وسخاء دون اكتراث للبنان أو للمسيحيين كان خوف القوات اللبنانية الوحيد هو استيلاء أمين الجميّل على مخصصاتهم والمقدّرة بملايين الدولارات.

عقدت عدّة لقاءات سرّية في شاليه ميشال المرّ في مجمّع حالات بحضور دائم لحبيقة وجعجع وبعض مستشارييهم المقرّبين وكنّا نحن المرافقون ننتظر في الخارج في برد الشتاء القارس.

لاقت الانتفاضة نجاحاً باهراً وسيطرت القوات اللبنانية على جميع ممتلكات حزب الكتائب بما فيهم إذاعة صوت لبنان وجريدة

العمل وطرد المدير العام جوزيف الهاشم وصديقته ماغي فرح وعيّن بدلاً عنه بيرس كمب الذي عيّن رجاله في الإذاعة لإدارتها وقد أبقى على العمّال الذين أبدوا استعداداً لقبول المناصب الجديدة بداعي الخوف أو الاقتناع. أما بالنسبة لجريدة العمل فقد اقتحمها رجال حبيقة بالأسلحة واعتقلوا رئيس تحريرها جوزيف أبو خليل القريب من بيار الجميل وعيّنوا بدلاً منه سجعان قزّي ألاّ أن حزب الكتائب تمكّن من إصدار نسخة عن جريدة العمل مقابل التي كانت تصدرها القوات اللبنانية. لم تعجب كل من المرّ وحبيقة الطريقة التي كانت جريدة العمل تعرض آرائهم وتوجيهاتهم السياسية فأسس المرّ بماله جريدة الجمهورية بإدارة الياس المرّ، ابن ميشال وصهر إميل لحود رئيس الدولة الحالي. وكان حبيقة مشرفً عليها.

كان حبيقة يقترب أكثر فأكثر من غايته لكن أمين الجميل كان ما يزال قوياً وغير مهزوم في منطقته المتن الشمالي الوفي والمخلص له.

ولم يكن حبيقة يستطيع أن يطأ المتن الشمالي وكان يمضي الليل في بيت ميشال المرّ في الأشرفية وأصبح هدف الترويكا الجديد القضاء على أمين الجميّل ومنعه من التقرّب أكثر من سوريا الحليفة التي كان يسعى الجميع لضمّها إلى صفوفه.

حركة القرار المسيحي كما سُميّت الانتفاضة أصبحت مدعومة ومحبّذة من قبل أغلبية المسيحيين وفي هذه الفترة العصيبة في تاريخ لبنان حيث كان حياة المسيحيين في خطر كان الزعماء العسكريين والسياسيين يحاولون فتح حوار مع سوريا. كلّهم كانت يسعون إلى القضاء على المسيحيين وتدمير لبنان. في البداية لم يكن الأمر سهلاً

ولكن مع الوقت استطاع السوريون خرق الصفوف المسيحية وإيجاد الخونة لمساعدتهم.

كان المجلس الحربي للقوات ستار يتلّطى وراءه حبيقة وجعجع وبقرادوني الذين كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة للانقضاض على ضحيتهم فأصبح أمين معزولاً خصوصاً بعد فشله في تنفيذ الوعد الذي قدّمه للسوريين بوضع حدّ للانتفاضة في غضون أشهر. ولهذا جاء قرار تصفية أمين الجميل في حصنه المنيع المتن الشمالي. تحركت قوّة مؤلفة من ١٥٠ عنصر باتجاه حرش ثابت حيث منزل أمين الجميل ولم تلاق هذه القوة أية مقاومة تذكر حتى من الجيش اللبناني المتمركز هناك وتمّ الاستيلاء على ساحل المتّن الشمالي وتأمين صلة وصل بين المناطق المسيحية وبالتالي شلّ تحرّك أمين الجميل.

انتصر جعجع وحبيقة. واشتدت المنافسة بينهما للحصول على رئاسة القوات اللبنانية والزعامة المسيحية. وتحوّلت هذه المنافسة إلى صراع حاد وعنيف تمثّل بمناوشات بين عناصر الطرفين. وابتدأت السلسلة السوداء عند إقامة جعجع حفل عشاء في مطعم كبير في ميفوق في منطقة الجبل. استقبلنا أنا وحبيقة بهتافات تردّد H.K.H.K بينما كان آخرون يردّدون «حكيم! حكيم» وهكذا بدأت الحرب الباردة بين الطرفين والانفصال الذي حدث في صفوف المؤيدين دفعهما إلى نقاش حاد. حادثة أخرى دعمّت مخاوفي لإعادة الحسابات بين جعجع وحبيقة وذلك عندما دعينا إلى حفل كوكتيل إقامة طوني بريدي في ثكنته في الأشرفية في الحيّ الراقي من سرسق بالقرب من وزارة الخارجية.

صعدنا حبيقة، جعجع ونادر سكّر وأنا بسيارة معاً. في الطريق، كان التوتر سائداً ولم يتبادلا أطراف الحديث إلاّ نادراً. كان نادر سكر يحاول ترطيب الأجواء ولكن الحقد كان مسيطراً بين الرجلين. كل واحد يريد إظهار تفوّقه. المنافسة كانت على أشدّها. ومن هذا اليوم ابتعد جعجع وحبيقة عن بعضهما ولجأوا إلى القوة لحلّ نزاعهما وسقط ضحايا من الطرفين.

فلجأ جعجع إلى أمين الجميّل بحثاً عن حليف جديد يسانده في حربه ضد حبيقة في حين تحالف حبيقة مع ميشال المرّ وميشال سماحة متابعاً خطته القاضية بتدمير جميع خصومه والفوز بالدعم السوري.

الاتفاق الثلاثي المشؤوم

وافق حبيقة على اقتسام المكاسب مع جعجع وبقرادوني ما دام يستطيع الاستفادة منهم، ولم يكن بقرادوني منتبهاً لهذه اللعبة. وأبقى حبيقة جعجع وبقرادوني خارج دائرته ساعياً للانتقام منهما مدعوماً مادياً من ميشال المرّ الذي أغدق عليه المال، كان كالياس الشرتوني ولكن على مستوى أعلى، ومدعوماً أيضاً من ميشال سماحة، مستشار أمين الجميّل الإعلامي، والوسيط مع سوريا.

وبخلقه ارتباك سياسي، مبعداً جعجع وبقرادوني، استطاع حبيقة السيطرة على السلطة التنفيذية للقوات اللبنانية. كان حبيقة يملك الحاسة السادسة ولا يثق بأحد سواي فأنا الأخرس والأصّم والأعمى خاصة لإعجابي به، كان يحسّ بأن بقرادوني غير أهل للثقة. فعهد إليّ بإحضار عبدو جواهرجي خبير الإقفال. وقد أرسله إلى مكتب بقرادوني بحثاً عن مطلق وثيقة. فوجد رسالة موقعة من جعجع وبقرادوني يخوّلون فيها أمين الجميّل التدّخل مع سوريا باسم القوات اللبنانية لتهدئة الموقف أثار هذا الأمر غضب حبيقة فأسر إليّ «ليس

هناك وقت لأضيعه». وعزم على التصرف فوراً. فتدّخل في انتخابات
حزب الوطنيين الأحرارعبر تقيمه المكتب السياسي اثنان من مسؤوليه
إيلي أسود وشارل غوسطين ساعدوه على ذلك، مما أدى إلى إضعاف
هذا الحزب المسيحي وإلغاء دوره. واكتملت مؤامرته بطلبه اجتماع
طارئ اللجنة التنفيذية في القوات اللبنانية التي عقدت في ٩ أيار
١٩٨٥ وأجبر أعضاءها على انتخابه رئيساً عندئذ أعلن أن الخيار
العربي كان الخيار الوحيد للبنان وأن سوريا هي الحليف الأساسي
والطبيعي فيه. وقد جاء هذا الإعلان كالصاعقة على الجميع الذين
فوجئوا ولكن لا أحد اعترض. وهكذا التّف حبيقة على أمين الجميّل
رئيس الجمهورية، سمير جعجع العسكري المتطوّع وبقرادوني
السياسي المحنك والمسؤول عن الإعلام المسيحي. غدا حبيقة
المسيّطر الأكبر على جميع قرارات المسيحيين، وطلب نقل مكتب
بقرادوني إلى جانب مكتبه ليتسنى له مراقبته عن كثب. ابتهج
السوريون بهذا الإعلان ولكن كان عليهم التحرّك لتفكيك الصفوف
المسيحية أكثر. فسعوا إلى لقاء مصالحة بين سليمان فرنجية وحبيقة
ضم بقرادوني، حبيقة الذي قتل طوني فرنجية سوف يقابل سليمان
فرنجية في زغرتا معقله المحمي من سوريا، وأثار هذا اللقاء ضجة
كبيرة.

وحرص السوريون من خلال هذا اللقاء، أن يغدو حبيقة صاحب
القرار الوحيد في المناطق الشرقية بينما كان حبيقة مشغولاً في الشمال
استفاد جعجع من غيابه وخطّط لضربه برشوة أحد معاونيه المخلصين
المقرّبين منه مارون مشعلاني وطلب منه إحداث مشاكل لأضعاف

موقف حبيقة وإثبات عدم سيطرته الحقيقية على الوضع كما يزعم.
وبالفعل دارت معارك بين مشعلاني وزوين في الأشرفية في ثكنات
تابعة لأمن حبيقة أسفرت عن ثلاثة قتلى في صفوف المليشيا فكانت
الشرارة الأولى.

جعجع أصبح خبيراً داهية، نظّم حفل استقبال شعبي على شرف
عوده حبيقة من زيارته التاريخية لزغرتا وتناسوا حادثة الشحروري.
لكن الحذر والترقّب ازداد بين الطرفين وأصبح شعارهما: «يا قاتل يا
مقتول» في هذا الوقت عزّز جعجع وبقرادوني موقفهم مع أمين
الجميّل فأصبحوا أقوياء بهذا التحالف، وبدعم الجيش اللبناني أو ما
تبقى منه، وناموا على حرير.

فاستفاد حبيقة من هذا الوضع، للتخطيط للاتفاق الثلاثي المؤذي
بدعاية دمشق، متناسياً سيفها المنسل فوق رأسه، وكان سماحة يخبر
حبيقة بخطوات الجميّل، وباقترابه أكثر فأكثر من السوريين وكان
السباق في أوجه نحو دمشق.

أصبح حبيقة عصبياً جداً ولكنه لم يبد ذلك علناً فزاد احتكاكه
بالمقاتلين والشعب ونظّم مهرجانات شعبية حيث ألقى الخطابات
الرّنانة وحيث استُقبل كملك. كانت هذه فرصته الأخيرة ليثبت معادلة
القوة. كنّا نعيش حياة مزدوجة واحدة لنا وأخرى أمام الشعب
والآخرين. وقد أعطته هذه الحياة الحرّية في الاستمرار في مخططه
الهادف إلى تدمير المسيحيين في لبنان. ولأول مرّة لم يكن هناك
طابور خامس ولا خونة وكانت معجزة وحرص حبيقة على أن لا يقف
في طريقه شيء. فقد أمسى الاتفاق الثلاثي قريباً جداً.

الاتفاق الثلاثي المهين بينه وبين وليد جنبلاط الدرزي ونبيه برّي زعيم «أمل» المليشيا الشيعية كان سيوافق عليه. اتفاق الموت والعار للشعب المسيحي بشكل عام وللمقاتلين والشهداء بشكل خاص كان برعاية سوريا على الصعيد السياسي ودعم مادي من رفيق الحريري الملياردير اللبناني الأصل السعودي الجنسية والذي أصبح رئيس وزراء فيما بعد، نص الاتفاق أُعدّ له خلال لقاءات بالغة السرية بين الحريري وجان غانم، عضو في المجلس التنفيذي للقوات اللبنانية، والذي كان أحد المعاونين المقرّبين من بشير الجميّل سابقاً، وسركيس نعّوم، محرّر في جريدة النهار والمعروف بميوله العربية وخاصة السورية وعداوته تجاه الجميّل والمسألة المسيحية، والوسيط ميشال سماحة وجوني عبدو، المسؤول السابق لمخابرات الجيش. حضرت جميع الاجتماعات التحضيرية كمرافق شخصي لحبيقة وموضع ثقته. وجرت بعد ذلك ثلاثة لقاءات خارج الأراضي اللبنانية. الأولى في جزيرة كريت دامت ٣ أيام، ضمّت حبيقة والحريري بحضور مستشاريهم المقرّبين فقط. وجرى لقاءان في باريس في منزل الحريري الكائن في الضاحية الراقية من العاصمة الفرنسية. كما عقدت اجتماعات أخرى في فيلا فيفيان دبّاس في النقاش أو في الأشرفية. كانت حقائب سمسونايت مليئة بالدولارات تقدّم إلى جميع الحاضرين.

أتذكّر حادثة مضحكة وسخيفة وهي حين كنّا على متن اليخت الخاص للحريري الذي كان ينقلنا من بيروت إلى باريس، لاحظت بأن كل الأدوات التي نستخدمها صحون، سكاكين شوك مناشف وأكواب منقوش عليها R.H وقررت أن أسرق ما أستطيع منها لكن

حبيقة لاحظ هذا وأنبّني بقسوة، وبغيظ، أرجعت كل شيء إلى مكانه. سرقتي لتلك الأشياء كانت بالتأكيد سخيفاً بالقياس إلى الأوراق النقدية الجديد التي كنّا نقبضها من الحريري.

وقد علمت، بصفتي الرسول السرّي، بأن الشق العسكري لهذا الاتفاق قد وضعه ميشال عون ضابط الجيش. أما الشقّ السياسي فقد وضعه سركيس نعوم، وسجعان قزّي (مسؤول إذاعة لبنان الحرّ) وميشال سماحة وقد راجعه وزير الخارجية الأسبق والمحامي المعروف فؤاد بطرس وكان صلة الوصل أنطوان بريدي (توتو) الذي مثّل المرّ وبطرس من الروم الأرثوذكس. عندما جهز كل شيء، رأى حبيقة أن الوقت قد حان للإعلان عن الاتفاق فنظّم مؤتمراً حاشداً في كازينو لبنان بمناسبة تأسيس حزب الكتائب. وحضّر للحدث بتغطية شاملة. كان نهار أحد مشمس، أعلن حبيقة على الملأ أمام كل وسائل الإعلام المحلية والعالمية عن هذا الاتفاق ولم يراود أحد شك بأن معركة شرسه ستبدأ بين الكتل المسيحية ستؤدّي حتماً إلى أضعافهم وتفكيكهم في نفس الوقت. كان حزب الكتائب بقيادة الدكتور إيلي كرامة الذي خلف بيار الجميّل بعد وفاته قد حضّر لأحياء هذه الذكرى في المتن. وكان إيلي كرامة الحليف الدائم لأمين الجميّل. فقد كان من المقربين من أبيه. والكثيرون على استعداد ليساندوه. وعلم حبيقة بهذا اللقاء في المتن ولم يكن يريد أية منافسة من أحد. فأمر بتحضير سيارة مفخخة ووضعها على تقاطع نهر الكلب لتصفية كرامة لكن فرقة الأمن الخاصة للجميّل تنبّهت للسيارة المفخخة قبل انفجارها فأنقذ كرامي ظُهر الانشقاق بين حبيقة وأمين الجميّل وحزب الكتائب.

وكان الآتي أعظم. فزمن البراءة والشرف الذي ساد في حرب السنتين الذي تكلّل بانتخاب رئيسنا في أيلول ١٩٨٢ قد ولّى.

تبنى حبيقة شعار عبد الحليم خدّام «سيطر على الأرض تتحكم بالقرار». لهذا السبب اعترفت سوريا بحبيقة كزعيم مسيحي قوي يوثق به، وهو وحده يملك الحق التقرير عن المسيحيين، كان تعامل حبيقة مع سوريا سرّياً وكان كريماً في علاقاته إلى حد أنه أعطى القيادة السورية ما لم تكن تحلم يوماً بأن تحصل عليه. أحس سمير جعجع بالخطر، وبقي على حذر مستفيداً من الوقت. وبالاتفاق مع أمين الجميّل، أخذ ينظم، هجوماً مرتدّاً. وعلمت أوساط حبيقة بأن شيئاً خطيراً سوف يحدث. وللمرّة الأولى منذ بداية عملي مع حبيقة كمرافق رأيته مندمجاً جداً بتحضير مشروعه لدرجة ينسى كل ما يحيط به، من أحقاد.

في التاسع من أيلول ١٩٨٥، قام حبيقة بأول زيارة رسمية له إلى دمشق. وكان على رأس وفد مهم من القوات اللبنانية وأُستقبل من قبل عبد الحليم خدّام، صانع الاتفاق، في مكتبه حيث أمضى ساعات، أحسسنا بالمرارة كمقاتلين ولكن السماح لنا بإبقاء أسلحتنا معنا أعطانا شعوراً بأننا أقوياء ولا نهزم. بعد الاجتماع أحسست من ملامح وجوههم بأن الاجتماع سار على ما يرام، في ٢١ أيلول ١٩٨٥ زار حبيقة زحلة برفقة ميشال سماحة وقائد المخابرات السورية في لبنان غازي كنعان وكانت تحت سيطرة القوات الخاصة السورية وكان أول قائد مسيحي يطأ هذه البلدة المسيحية في سهل البقاع منذ عام ١٩٨١. وقد أُقيمت مأدبة غداء على شرفه وقدّمت القيادة السورية

مقر حزب الكتائب الذي كان السوريين قد احتلوه، له كعربون ثقة وكان هذا برهان آخر كرّس تمثيل حبيقة للمسيحيين. والتقى حبيقة المنسنيور حداد، إيلي الفرزلي وخليل الهراوي كما التقى وفود شعبية. وبعد أيام. انعقد اللقاء الثلاثي للأحزاب المتحاربة المسيحية، الدرزية والشيعية تحت إشراف خدام الشخصي. وفي خضم هذه المعمعة لم يعد حبيقة كثير الاهتمام للوضع المتردّي في المناطق الشرقية، الخوف عقد الألسنة. ولكن من لحظة الإعلان عن الاتفاق، زادت حدّة الانتقادات. لكن حبيقة بقي متحفظاً. في الرابع من تشرين الأول ١٩٨٥ اندلعت مواجهة بين جماعة جعجع وجماعة حبيقة، لكن هذا الأخير، والذي كان قريباً جداً من هدفه، لم يسمح بأن يعيقه أي شيء فغضّ النظر عن الحادثة وتابع عمله. وفي الثالث عشر من تشرين الأول أعلن حبيقة خطته علناً للمرة الأولى، حيث أعلن أن خياره هو إزالة الطائفية والعنصرية. اعتبر أمين الجميّل هذا الإعلان بمثابة إهانة شخصية وغطاء لحملة تهدف إلى تدمير مركزه على مستوى الدولة وضمن الصف المسيحي وكان لا بد له أن يتحرك. وعلم سمير جعجع أن جيش أمين الجميّل سيقف إلى جانب قواته اللبنانية هذا الجيش الخبير الوفي الرافض للقوات السورية لتدمير الاتفاق وحبيقة. في ٢١ تشرين الثاني، أعلنت الجبهة اللبنانية رفضها للاتفاق في اجتماع طارئ في دير عوكر. وشبّهوا حبيقة بالشيطان، واتهموه بأنه يريد أن يفرض حكم عسكري على المنطقة الشرقية في بيروت وأن أعماله وقراراته لا تخدم إلاّ مصالحه الشخصية وجاء ردّ حبيقة على تصريحاتهم واضحاً إذ تمثّل بشاحنة انفجرت في عوكر حيث الاجتماع ونتج عنها إصابة بعض أعضاء الجبهة لكن ذلك لم

يخيفهم. وعلى عكس ما توقع، أفقد هذا الاعتداء حبيقة شعبيته. لقاؤه بسفير الولايات المتحدة في منزل كريم بقرادوني الكائن في شارع عبد الوهاب الإنكليزي في الأشرفية كان عاصفاً. وكنّا نسمع شتائم حبيقة الذي خرج غاضباً مغلقاً الباب بقوة وراءه. وأكمل في السيارة شتم الأمريكيين وسياستهم وكنت أتساءل في قرارة نفسي عن الثمن الذي قبضه من السوريين لكي يلعن ويشتم الأمريكيين بهذا الشكل.

في ٢٧ كانون الأول دعا حبيقة إلى اجتماع مسيحي كبير في بكركي بإشراف المفوض البابوي المنسنيور حلو وقدّم حبيقة الاتفاق، كان إما أن يقبلوا به وإما أن لا يقبّلوا به. فلقد كان عازماً على تنفيذه ولكن الباقون قرّروا محاربته بضراوة. وحاول جعجع أن يماطل به ويؤخره ولكن بلا جدوى.

وبغضّ النظر عن المعارضة الشديدة للمسيحيين في أغلبيتهم الساحقة، تمّ توقيع اتفاق الذّل في ٢٨ كانون الأول ١٩٨٥ في دمشق واستقبل حبيقة استقبالاً حاراً من الرئيس السوري حافظ الأسد كعربون شكر على ما حقّقه فالرئيس السوري حاول على مدى عشر سنوات تدمير المسيحيين.

واتفق الأعداء الثلاثة على السلام في حين بدأت الحرب بين الحلفاء الطبيعيين. وحدث الخراب ولكن نحن رجال حبيقة لم ننتبه لذلك وفي طريقنا إلى دمشق لتوقيع الاتفاق، كنا في سيارة رانج روفر، سأل بقرادوني حبيقة: «ماذا تعطي سمير جعجع في هذا الاتفاق؟ وكيف ستتصرف سوريا معه؟ فأجابه حبيقة بكل ثقة بالنفس وأهمية: «لقد انتهينا من طوني فرنجية وإقطاعياته وتريدنا أن نعيق

أنفسنا بسمير جعجع وإقطاعيته؟ وعنى بذلك شعبيته في بشري مسقط رأس جعجع، وكان واضحاً لي بأن حبيقة كان عازماً على التخلص من جعجع. ولكن حبيقة لم يكن يريد أن يفهم بأنه هو أيضاً قد وقّع على حكم إعدامه، فقد جمع ضدّه بالإضافة إلى أمين الجميل حزب الكتائب الموالين لجعجع، القاعدة الشعبية والقيادين المسيحيين التقليديين الذين لم يرضوا بالتنازلات التي قدّمت للعدوّ السوري ولا بحكم حبيقة العسكري. ليلة رأس السنة من العام ١٩٨٦ قرر جعجع وأمين القضاء على حبيقة. وتفجّرت الكراهية والقساوة الدامية، في ٣١ كانون الأول ١٩٨٥ الساعة التاسعة والنصف تمّ تحضير كل شيء دون التفكير بالنتائج المترتبّة على أعمالهما. سيارتان مفخختان حضرّتا مع فرقة كوموندو لتنفيذ العملية. وكان معلوماً أن القضاء على حبيقة سيحتم خسائر فادحة في الأرواح البريئة. ذهب حبيقة مع رينيه ك. معوض وكنت معهما لتسجيل قطعة أرض تملّكها في جونية تأخرنا حتى الظهر فخرج أسعد شفتري جار حبيقة من منزله في نفس الوقت وسبقه إلى مكتبه في الكرنتينا قاطعاً نهر الموت على الخط الساحلي للمتن الشمالي في نفس الوقت توجهت حافلة من المسلحين لمواكبة حبيقة العائد إلى بيروت. إلاّ أنهم وقعوا في كمين، مات منهم ثلاثة وأصيب ثلاثة آخرون إصابات بالغة ومن بينهم أخي. في طريق العودة شاهدنا دخاناً كثيفاً فوق منطقة نهر الموت فاتصلت بفاديا، سكرتيرة حبيقة الخاصة لمعرفة ما حصل. فصرخت مذعورة «وقع إيلي في كمين» لم تكن تعلم أنني أكلّمها من سيارته وأننا بخير. بالكاد استطعت طمأنتها قبل أن تقفل السماعة بسرعة. فوراً غيّرنا اتجاهنا وذهبنا إلى البيت في أدما. وقد علمنا لاحقاً أن سيارة مفخخة

كانت ستنفجر قبل الهجوم المسلح والأخرى بعده حتى يتناثر إلى قطع هو وسيارته الـ بي أم دبليو المصفّحة. لكن العملية فشلت.

وبعد عودتنا إلى المنزل بدأ الناس يزورون حبيقة مهنيئنه بالسلامة. ومن ضمن المهنئين: الرئيس كميل شمعون، الأب بولس نعمان ولاحقاً في السهرة حضر سمير جعجع وكريم بقرادوني وحاول حبيقة الاستفادة من هذا الحادث لدعم موقفه. صديقه رفيق الحريري أهداه سيارة مرسيدس ٥٠٠ مصفّحة.

في الثاني من كانون الثاني وضع حبيقة يده على نسخات نشرة «المسيرة» الخاصة بجعجع وقام بإحراقها كلّها، كانت المسيرة قد وضعت على غلافها صورة لحبيقة بعد الانفجار مع عنوان مكتوب بالأحمر «الاتفاق الدامي» ومن الغريب فعلاً أن صحافيّ المسيرة قدموا إلى ساحة الهجوم بعد دقائق قليلة من الهجوم أو بالأحرى قبل الهجوم بدقائق قليلة. وردّ جعجع على حبيقة فاقتحم جريدته «الجمهورية» الواقعة في معقل أمين في المكلس في المتن الشمالي، في ١٣ كانون الثاني زار رئيس الجمهورية دمشق في زيارة رسمية. وكان الاجتماع مع الرئيس الأسد فاشلاً، لأنه لم يعد السوريين بحاجة إليه. في ١٥ كانون الثاني، وفي الصباح الباكر بدأت الانتفاضة المقرّرة من قبل أمين الجميل وجعجع في عشية اليوم السابق، وكانت الانتفاضة هذه المرّة ضد حبيقة. علم حبيقة أن هجوماً سيقع ولكنه كان واثقاً من نفسه. وفي الليلة ذاتها طلب من أخيه شارل الذي كان قائد جميع الفرق المخابراتية والعسكرية أن يرفع حالة التأهب وأن ينشر الشباب. عند بدء الهجوم كان حبيقة مع إلياس المرّ وأسعد

شفتري في مكتبه يأكلون مناقيش زعتر. كثّفت الحراسة ولكن مسؤول الأمن جوزيف الأسمر كان نائماً بعمق. عند الصباح قبض زهير صالح أحد رجالي على ضابط من ضباط جعجع المعروف باسم تشيكن وأخذه من بيته في عين الرمانة واقتاده جر بالقوة إلى مركز الأمن في الكرنتينا فاعترف تحت التعذيب أن الهجوم كان موعده في السادسة صباحاً، كان قد فات الأوان، لأن الهجوم قد بدأ وكان موعده قد قُدّم نصف ساعة. وفجأة بدأ وابل من القذائف ينهمر على مقر حبيقة. كان الهجوم أشبه بحرب تل الزعتر ضد الفلسطينيين وليس بين الأخوة الذي من المفروض أن يجمعهم خط سياسي وهدف واحد، هرع حبيقة والياس المرّ إلى الطابق الأرضي واختبؤوا بمكتب ماريو سيمونيدس. وصلتنا أخبار عن معارك ضارية تجري في طبرجا حول ثكنات القوات اللبنانية وقاعدة الجيش البحرية بالقرب من A.T.C.L في الكسليك. ووقع عدد كبير من الضحايا توما سويدان، قائد ثكنة أدما والمكلف بحماية منزل حبيقة استسلم هو ومائة وخمسين مقاتلاً بلا مقاومة. العملية شهدت خيانة وجبن وحسد وحسابات خاطئة. كنت في نفس الغرفة مع حبيقة المشتعل غضباً وقتها يائساً آمراً رجاله بالاستمرار في القتال مهما كانت النتائج. ولكن لم ينصاع أحد لأوامره. فالخوف من الموت تغلّب على خوفهم من قائدهم.

وانهار المقاتلون فتراجعوا وفرّ منهم من فرّ تاركين أسلحتهم، وآخرين تحت تأثير المخدرات بقوا يطلقون النار فمنهم من قُتل ومنهم من جُرح. كانت مجزرة حقيقية. كان حبيقة متأكداً أن قوات الأمن

التابعة له تحت قيادة أسعد شفتري قد خانته من رجالها: غابي بستاني، ماريو سيموندس، بيرسي كمب. كانوا يعرفون أن ساعة الصّفر كانت في ١٥ كانون الثاني السادسة فخبأوا المعلومات عنه. أما بيار رزق فقد تمكن من شرائهم. وقد استعملهم جعجع لاحقاً لفتح علاقات مع العراق والفلسطينيين وأصبحوا مستشارين في منظمة التحرير التابعة لياسر عرفات. حذّر حبيقة عدّة مرات من الخيانة لكنه لم يعمل بالنصائح ولم يهتم للأمر. لقد خانه تعجرّفه وقلّة تقديره لأمين الجميّل وسمير جعجع. قبل الهجوم بأسبوع حثّ عليه قاداته تحضير نفسه لعملية كبرى وكان يرّد عليهم: «لا يستطيع جعجع فعل أي شيء؟!

مع العلم أن منذ العام ١٩٨٤ كان حبيقة مهتماً بهدفه السياسي بل مهتماً باتصالاته السرية وجمع الأموال متناسياً الضرورات الأمنية وإتكل على رجاله كان قد سلّم شفتري مسؤولية الأمن وكان قد طلب منه قوة خاصة لاقتحام منازل كل ضباط أمين الجميّل الثلاث والعشرين وقتلهم جميعاً، جهزت قوة خاصة مؤلفة من ٧٠ رجلاً من الأمن و٣٠ عضواً من قوة الصدمة للتصفية في الليلة المرتقبة ولكن الشفتري تراجع في اللحظة الأخيرة؟

بالرجوع إلى نهار ١٥ كانون الثاني، وبينما كان حبيقة في فورة غضبه صامداً انفجر قتال على محور البدوي النهر حتى برج حمود بين ميليشيا المتن الشمالي بقيادة رشيد الجميّل ومقاتلي الأمن. ذهب عدد كبير من الضحايا وحاول ميشال زوين والذي كان قائد فرقة الدبابات

أن يفتح له طريقاً يهرب منه. لكن دباباته دمرت كلياً. ومرّة جديدة دفع مناصرو حبيقة ضريبة الدفاع عن طموحات رئيسهم.

وفجأة عند الساعة الثانية بعد الظهر توقف القصف. ترّجى حبيقة، توتو بريدي أن يوافق على طلب لوقف إطلاق النار واتصل مباشرة بالضابط في الجيش اللبناني ميشال عون لمساعدته. ولكن دون جدوى. وكان ميشال المرّ خائفاً على ابنه الياس، الذي كان صديق حميم لحبيقة وأراد إخراجه من هذا الجحيم مهما كلّف الأمر. وكان يعلم بأن لا جعجع ولا نادر سكر سيخرجا حبيقة حياً وبالتالي سيؤخذ ابنه على جريرته في هذه المعمعة. وبالفعل كانت الأوامر أن يقتل حبيقة داخل المبنى. وأخيراً تدّخل السوريون وفاوض حكمت الشهابي حول نقله إلى وزارة الدفاع سليماً مقابل نفيه خارج لبنان. مدركاً الهزيمة طلب مني حبيقة أن أحرق كل الملفات المستندات السرية في خزنته وفعلت ما أمرني به. وعلمت فيما بعد بأن أسعد شفتري كان قد وضع هذه المستندات في ميكروفيلم أودعه في أحدى مصارف لبنان.

ومع العصر أرسل ميشال عون النقيب بول مطر ودباباته لنقل حبيقة سليماً إلى وزارة الدفاع. لكن بول عندري، أحد رجال الثقة التابعين لجعجع والمكلّف بإخراج الأسلحة من المبنى هو الذي دخل وكانت أوامره صارمة: لا أسلحة تخرج سوى أسلحة مرافقي حبيقة الشخصية ومن ضمنهم أنا. وقف إميل عيد على المدخل يفتش جميع الخارجين، رؤوسهم إلى الأسفل، متعبين منكسرين ثم عمد إميل عيد إلى سرقة محفظاتهم التي تحتوي مالاً وأوراق. فيما بعد أصبح إميل

عيد قائد مكتب حزب الكتائب السياسي ولعبة في يد رئيسه جورج سعادة.

هل يعقل؟ حبيقة مهزوماً والشباب مهانون أو مقتولون؟ ولماذا؟ كانت حقاً حرباً قذرة. زعماء القضية المسيحية لم يجدوا أفضل من توجيه مدافعهم إلى أخوانهم وقتلهم دون وخز ضمير ودون رحمة. ولم تكن هذه إلاّ بداية التجربة القاسية والمريرة التي ستوصلنا إلى خسارة بلدنا وحقوقنا.

وصلت دبابات الجيش أخيراً. أتذكر ذلك كأنه البارحة. وفي لحظة تجلّي أدركت أن العداء بين الزعماء المسيحيين قد أضاعنا وسنكون تابعين تاركين وراءنا أهلنا وأصدقاءنا، أنا وإيلي حبيقة، أيلي المرّ وإيلي كرم صعدنا إلى الدبابة الأولى بمرافقة النقيب بول مطر. أصبحنا في أمان لكن متعبون ومسحقون أوصى النقيب مطر رجاله أثناء توجُّهنا من الكرنتينا إلى اليرزة بأن يراجعوه في أية مشكلة تعترضهم لم يشك أحد أبداً، بأن مارون مشعلاني قد اشتراه جعجع وبأنه حضّر لنا كميناً على تقاطع الحازمية الشفرولية. وكان هذا الخائن قد سرق محتويات منزلي لاحقاً معتقداً أنني أُخبئ فيه مستندات سرّية لحبيقة. أخيراً وصلنا إلى وزارة الدفاع. كنّا منهكين ومنهارين، بعض الشباب الذين قرّروا مرافقتنا كانوا قلقين والبعض منهم يبكي. أقتيد حبيقة، شفتري والمرّ إلى مكتب ميشال عون. وكان لحبيقة وعون اجتماع منفرد دام ساعتين. ثم انضم إليهما كريم بقرادوني، هذا الرجل الذي يلعب على الحبلين، حبيقة الذي كان معارضاً لجعجع والذي كان بقرادوني مقرّب منه استسلم لأوامرهم

وطلب إحضار زوجته وابنه من أدما قبل انقضاء الليل. ولاحقاً وصل كل من ماريوسيموندس، برسي كمب، جوزيف الأسمر وميشال زوين. وأمضينا الليل مذعورين لا نعلم ماذا سيكون مصيرنا بالنسبة لنا، كانت مأساة حقيقية بول عريس مسؤول المالية انضم إلينا. وبعد إجراء عدّة مكالمات هاتفية بعد ذلك وصلت حقائب مليئة بالمال في هذه اللحظة فقط تأكدنا بأن هذه هي النهاية. شفتري، كريس، ج. ملكو كمب، الأسمر وزوين فتحوا إحدى الحقائب، وللحظة اعتقدت أن هذا المال هو تعويض للعناصر التابعين لهم ولمساعدتهم على الفرار ولكن بدل عن ذلك صرفوهم قائلين لهم: «دبّروا أمركم يا شباب هذا نصيبكم». المال المخصّص للمسيحين والقضية المسيحية أخذته شلّة من الرجال المافيا لا يخافون الله ولا الإنسان.

مع أن حبيقة كان من المفترض أن ينفي نفسه إلى البرازيل ولكن المخطط السوري كان يقتضي إقامته في زحلة بالقوة وكان حبيقة يكذب كعادته. قتل المسيحيين مقاتلين ومدنيين، ليصبح محمياً من أبو جمال (عبد الحليم خدّام) الرجل الثاني في سوريا. واستمر الرجال بالتساؤل عمّا سيحل بهم، فأجابهم شفتري بثقة بأننا سنجتمع في زحلة جميعاً. في هذا الوقت حضرت طوافة تابعة للجيش اللبناني لتقلّنا إلى قبرص. على متنها كان إيلي حبيقة وعائلته، شفتري وعائلته ماريو سيميندوس وعائلته زهير صالح، فارس سويدان المدعو بورفيل وأنا شخصياً. حقائب مليئة بالأوراق النقدية والمجوهرات ومعاطف الفرو كانت ترافقنا. استقبلنا في المطار السيد دادا مستشار المالي للحريري وجبران تويني رئيس جريدة النهار ورفض حبيقة السلام على

التويني الذي اعتبره سعيداً بهزيمته بقي حبيقة وعائلته في منزل الحريري فيما ذهبنا إلى مكتب الدادا حيث طلب منّا عدم التحرّك لأن الفلسطينيين بانتظارنا ليثأروا لمجزرة صبرا وشاتيلا.

قليلاً قليلاً بدأ الرجال ينضمون إلينا أصبحوا حوالي أربعون ونزلوا في عدّة فنادق في باريس وضيق عليهم الخناق. بينما حصل آخرون على تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة. في هذا الوقت كان حبيقة يعمل مع الحريري للعودة إلى دمشق. وجاءت الأوامر بترك العاصمة الفرنسية ولم نعرف إلى أين حتى هبطنا في مطار دمشق الدولي وغادرت عائلة حبيقة إلى سويسرا حيث حلّوا ضيوفاً على الحريري في أحد منازله مع معاش شهري بقيمة مائة ألف فرنك سويسري.

أمّن الرئيس السوري حافظ الأسد منزلاً لحبيقة في الحيّ الفخم في المزة. نزلنا في الطابق الأرضي. وكان يسكن فوقنا في الطابق الأول إرهابي شقيق بنازير بوتو رئيس الوزراء الباكستاني المحمي من السوريين والذي ان قد خطف طائرة. وكان يعمل لحساب سوريا، وفي الطابق الثاني كان يسكن الدكتور جودت المرعي مساعد رفعت الأسد الذي بدّل موالاته، بالرغم بأنه كان يضمّ ست غرف، كانت هذه الشقة غير مرتّبة ومظلمة وغير نظيفة. وبقينا شهرين على أعصابنا. كان لدى حبيقة غرفة خاصة ومكتب. وكان أسعد شفتري وبرسي كامب يشغلان غرفة أخرى. بورفيل، إيلي سعادة وأنا كنا نتقاسم غرفة. وكان هناك أيضاً غرفة طعام وصالون. عند انضمام ٤٠ مقاتلاً إلينا في سوريا نقلتنا السلطات السورية إلى فندق المطار ثم

إلى فندق تشرين قرب منزل حبيقة. ووضعت الرئاسة السورية تحت تصرفه سيارتا بويك بارك أفينو له وأعطته الضوء الأخضر لعودته إلى زحلة، وهكذا فعل. وعدنا إلى زحلة لبنان في حين بقي هو في دمشق وقد أخلي فندق قادري في زحلة لينزل فيه الأربعون رجلاً الذين وصلوا أولاً وسمح لنا غازي كنعان بأن نحتل المنازل والشقق التي نختارها. وبدأ التحضير العسكري. وبقي الزعيم الأكبر في دمشق لدوافع أمنية حيث تولّى إعطاء الأوامر. وكنت أتنقل بين زحلة والعاصمة السورية، عيّن الشفتري مساعداً لحبيقة وفؤاد ناصيف المدير المالي وبقي بول عريس في باريس حيث بذّر أموال الأبرياء الذين سرقهم. لكن ناصيف، ولسبب أجهله، لم يعجب حبيقة فتم استبداله برينيه معوض الذي كان يصرف الأموال عشوائياً. كان المال بالنسبة له لإمضاء وقتاً جيداً مع النساء، خوفاً من تمرد ما، استدعى حبيقة بول عريس الذي اشتمّ رائحة المال وقبل اقتراح الحلول محل معوض. كل شيء في مكانه. وكلّف توما سويدان بالإدارة، أخ حبيقة شارل بالعسكرية، وجوزيف أسمر بالشؤون الداخلية ولويس أبو خليل الأخصائي بالتعذيب مسؤول السجون، جورج صبّاغ أبو أيمن بالتحقيق والاستجواب يساعده ميشال رياشي وجورج كفوري وسُلّم نقولا معكرون مكتب الكتائب في زحلة.

وعين والد حبيقة رئيس القسم الرابع وهو القسم المعني بالمؤن والمحروقات. وكان رجلاً مخادعاً بعكس ما وصفه حبيقة في إحدى مقابلاته على أحد المحطات T. Lumière بأنه قدّيس فقد كان يبيع المحروقات في السوق السوداء ويجبرنا على تحمّل برد الشتاء بدل أن

يؤمن لنا الدفء. كنا ٣٠٠ شاب بحاجة إلى تغذية وتدفئة ومعاملة حسنة فنحن من أنصار ابنه لكنه كان يردد أمامنا دائماً بأن واجبه المحافظة على أموال ابنه. هذا المال الذي سرق على حساب القضية المسيحية. كان رفيق الحريري رئيس الوزراء الحالي الذي كان يعمل بالخفاء، كان يرسل إلى حبيقة مبلغاً شهرياً وقدره أربعماية ألف دولار بداخل علب أفلام فيديو فارغة مخبأة بحقائب. كنت أحضرهم أنا شخصياً من أبو رمّانة. أما بالنسبة لميشال المرّ فقد كان يرسل مائة وخمسون ألف دولار شهرياً يسلمها لنا عبر وسيطه حنا موسى، كان الشباب بالكاد يكلّفونا ستون ألف دولار شهرياً. أما زوجته جينا كانت تحصل على خمسون ألف دولار شهرياً والباقي كان يودع في حساب خاص به في سويسرا. كنت أذكر رحلاته إلى جنيف وسويسرا وعندما لا يستطيع الذهاب بنفسه كان يرسل رينيه معوض عديله. أصبح يزداد جشعاً وكان عليه أن يشبع حبّة للمال والسلطة وكذلك غرائزه الشهوانية. ففي هذه الفترة كان بحاجة إلى عشيقات محترمات وعليه المحافظة على حساباته السرّية في البنوك السويسرية.

الفصل السادس عشر

«تمسّك جيداً! السوريون قادمون»

وجد حبيقة منفذاً من خسارته السياسية وذلك بملء جيبه وفراشه في معقله الجديد. في هذا الوقت في المناطق المسيحية التي طُرد منها كان جعجع ينظم القوات اللبنانية وفقاً لمعاييره. تصفية جديدة قد بدأت. أراد جعجع وضع جيشاً قوياً منظماً قادر على دعم معتقداته المسيحية الجديدة. جاء بموالين جدد وصرف بعض الموالين القدامى الذين حقدوا عليه كمارون مشعلاني وجورج قزي الذين كانا يتحضران للانتقام. ومرّة جديدة وقف المسيحيون وجهاً لوجه.

في ١٠ آب ١٩٨٦ وبعد سبعة أشهر من هزيمة حبيقة، حصلت انتفاضة صغيرة قادها مارون مشعلاني وجورج قزي بمعاونة فؤاد نصّار بالسر. بدأت الانتفاضة بمحاصرة المجلس العسكري لجعجع الكائن في ثكنة أدونيس في منطقة كسروان، اثنان من المخلصين له قتلا أحدهما خطّار أبو جودة. ولكن جعجع كان خارج العاصمة لا أحد يعلم مكانه. وقرّر أبو نادر الانسحاب من المعركة. ثم انسحب مشعلاني وقزي تاركين أتباعهم في المعركة. وتمّ توقيفهما واتهما

بالخيانة والعمل لصالح حبيقة. واتهمهم جعجع بنشر الرعب والخلاف، حُيد أبو نادر وأخمدت الانتفاضة.

في الليلة التي تلت الانتفاضة، عقد اجتماع طارئ في مركز حزب الكتائب بحضور جعجع، جورج سعادة، كريم بقرادوني، نادر سكر، جورج قزّي وفؤاد أبو ناضر. وبعد الاجتماع مباشرة كمن رجال جعجع لأبي ناضر وهو عائد لمنزله ونجا من الكمين وكانت الرسالة واضحة له ولخاله أمين الجميل. ولحزب الكتائب فهدف جعجع هو السيطرة على حزب الكتائب وتدمير حبيقة في زحلة. وتوالت الأحداث الدامية. بينما كان جعجع يبني امبراطوريته كان حبيقة يحاول التدخل.

كان يقول لي بأنه يريد أن يخرّب كل مخططات جعجع وأن يستعيد سلطته في المتن الجنوبي وخاصة في الأشرفية عاصمة المسيحيين حيث ما كان لا يزال لديه فيها أنصار كثيريين. خاصة في حي السريان وكرم الزيتون. إن صفعة ١٥ كانون الثاني لن تنسى ولن تغتفر. وعرف من بعض جواسيسه بأن سكان الأشرفية يخافون من جعجع وبطشه وكانوا على استعداد لانتهاز أي فرصة للتخلّص من جعجع.

مدفوعاً من حلفائه الجدد، السوريون، وعطشه للسلطة، قرّر حبيقة اجتياح الأشرفية لتحقيق انتصار عسكري، عودة سياسية. كان يردد دائماً بأنه يرفض أن يكون حنش جديد هذا المقاتل من الأحرار المبعد والمطرود من المناطق الشرقية عند مساندته للقضية الفلسطينية. وحدّد حبيقة موعداً لعودته إلى الأشرفية ٢٦ أيلول ١٩٨٦. مرّة جديدة

كان المموّل ميشال المرّ. وطيارته الخاصة هي التي نقلت رجال حبيقة من باريس إلى دمشق. أجرى ميشال زوين وخمسة من الخبراء العسكريين دراسات لمدّة شهر. بالتنسيق مع الحزب التقدّمي الاشتراكي التابع لوليد جنبلاط لتأمين ممرّ عبر سوق الغرب وصولاً إلى بدادون حيث ما زال لديهم موالين. في الليلة التي سبقت العملية ذهب سبعة مقاتلين بسيارتين إلى بدادون حيث التقاهم كشّاف ورافقهم إلى بناية الكمال في الجمّيزة كان هناك ثلاث وعشرين عنصراًتابعين لجعجع في مهمة تدريبية قام الرجال بمفاجأتهم وتجريدهم من السلاح وتقييدهم حتى يتمكّن رجال حبيقة من المرور. هذه العملية فتحت طريق تقاطع السوديكو ـ رأس النبع.

خلال الأربع وعشرين ساعة هذه وانطلقت أيضاً شاحنات محمّلة بحوالي ٣٠٠ رجل انتقوهم عشوائياً كان نصفهم في حالة جهوزية أما الآخرون فكانوا لملء الفراغ.

كان ينقص حبيقة رجال مدربين عسكرياً لكنه كان مصراً على متابعة خطته. وكان الشبان يعتقدون أنهم ذاهبون في مهمة تدريبية في تلال زحلة، وصلت الشاحنات القادمة عبر طريق الكرامة بتأخير ساعة عن الموعد أي عند الساعة السابعة بعد المشاورات تمّ الاتفاق على متابعة الهجوم من مكتب حبيقة الكائن في بيروت الغربية، كان حبيقة، أسعد شفتري، غسان مبيض، وغازي كنعان يديرون الهجوم بعكس ما صرّحت به وسائل الإعلام، وكذلك الأمر بأن حزب الله كان إلى جانب حبيقة والصحيح أننا اشتبكنا مع عناصر من حزب الله أثناء عبور رجال حبيقة في المنطقة الواقعة تحت سيطرة الحزب

الشيعي وقتل لنا رجلين. وقد أعلن حزب الله لاحقاً أننا لم نكن نملك تصريح بالمرور. متخطين الحاجز الثاني تابع الشباب تقدّمهم واحتلوا مواقع استراتيجية. معبر السوديكو كان خالياً. لا يوجد أحد في الطريق. وخلال بضع ساعات احتلّ رجال حبيقة المواقع الأساسية في قلب الأشرفية، كذلك إذاعة الكتائب ولكن الإذاعة التابعة لجعجع والتي يشرف عليها توفيق الهندي تابعت بثها من أماكن سرّية. أتوستراد مستشفى أوتيل ديو سيطر عليها أيضاً رجال حبيقة. كان البطلان المسيحيان بعيدان عن ساحة المعركة حبيقة في بيروت الغربية وتحت حماية السوريين وجعجع في معقله في جونيه بين مواليه، الشباب وحدهم في المعركة، كان القتال والدم والموت مسألة على الشباب أن يعالجوها حسب ولائهم.

عند الساعة العاشرة والنصف حامت طوافات تابعة للجيش اللبناني فوق منطقة الأشرفية، عند الظهر علمنا أن الجيش كان يساند جعجع بالرغم من الاتفاق ينص على عدم تدخّل الجيش اللبناني ولكن رئيس الجمهورية أمين الجميل كان مدركاً الخطورة التي يمثّلها حبيقة، أدار بنفسه العملية وأمر بالقصف. أحس قوات حبيقة أنهم عاجزون وأن المسألة أكبر من طاقتهم فبدأوا بالتراجع. في هذا الوقت، من بيروت الغربية حثّ غازي كعنان حبيقة على الصمود ساعتين حتى يتمكّن من إرسال فصيلة من الجيش السوري للمساعدة. لكن حبيقة لم يعد يستطيع السيطرة على مقاتليه. فقد قتل العديد منهم وأُسر عدد كبير أيضاً. والذي عاد كان أقلّ من نصف عدد المقاتلين التابعين لشارل حبيقة. تنفسّ حبيقة الصعداء عند رؤيته أخيه سالماً.

ميشال زوين أحد قادته الأكثر كفاءة والذي خدمته منذ عهد بشير الجميّل احترق في سيارته الجيب بعد إصابتها بقذيفة قرب مستشفى رزق. ولم يأبه حبيقة لموته. كان أبعده عن المقرّبين منه ولكن عندما احتاج إليه أعاده. وهذا كان خطأ زوين بالقبول بالعودة. مات من أجل حبيقة. الذي لم يقدّم لعائلته أية مساعدة. كان هناك ضحايا أخرى منهم إيلي عقل الذي سقط في الأشرفية والذي نشرت صورته مجلة المسيرة على أنه سوري. شارل قربان ولبنان كرم قتلا بعد دخولهما إلى المستشفى لإصابتهما بجروح بالغة. دفنا في الفيدار في منطقة نفوذ تابعة لجعجع:

فقد جعجع كل إنسانية ورحمة. فقتل كل من كان موالياً لحبيقة، بيار حدّاد، ميشال وطوني إسرائيلي، والكثيرين غيرهم لاقوا نفس المصير.

جوزيف الحاج، بطل زحلة سنة ١٩٨٢ المشهور بأبو حلقة خطف خلال عودته إلى منزله. ورمي في السجن وخضع للتعذيب لإجباره على إعطاء معلومات عن حبيقة لجعجع. وخضع لشتى أنواع التعذيب ونُقل إلى المستشفى بين الحياة والموت حيث خضع لعلاج، هرب على أثره واختبأ حتى استطاع يوم مغادرة الأراضي اللبنانية، في أحد الأيام أحد قادة القوات اللبنانية المدعو جوزيف أبي نادر مسؤول عن قطاع المتن الجنوبي انضم إلينا في بيروت الغربية.

عدنا إلى زحلة متعبين محطّمين. وذهب حبيقة إلى دمشق ونادراً ما قدم إلى زحلة حيث كان الوضع مأساوي. كان لدينا لائحة طويلة بأسماء المفقودين المصابين والمقتولين. ولم نستطع تهدئة نفوس

أهاليهم الذين كانوا يسألون عنهم، ومع هذا لم يأبه حبيقة كان يكتفي بتنفيذ أوامر السوريين خاصة تلك التي كان يصدرها عبدالحليم خدّام المجاز من جامعة سعسع حسب ما كان يقول الرئيس كميل شمعون استهزاءً به.

تمكنت أيدي جعجع من الوصول إلى زحلة. عملاؤه تسلّلوا إلى خطوطنا وزرعوا الرعب بقنابلهم الموقوتة والمواد المتفجرة. أبقونا يقظين أربع وعشرون ساعة على أربع وعشرون. في هذه الأثناء لم يكن حبيقة يأتي إلى زحلة إلا لحضور اجتماعات نادرة ومهمة مع خليل الهراوي إيلي الفرزلي والمنسنيور حدّاد. وكنا نذهب أنا وزهير لاصطحابه من دمشق في سيارة المرسيدس المصفحة التابعة لميشال المرّ، ثم نعيده ليلقى عشيقته مارلين المقيمة معه في فندق الميرديان في العاصمة السورية. هذه العلاقة كانت تكلّفه الكثير من المال والوقت.

أحد الأيام، كنت وحبيقة في باريس، دُمّر منزل من الحجر الصخري القديم كان يستخدم كقاعدة لفؤاد أبو ناصر. جرح فادي ساروفيم وعدد من المقاتلين. واستغلّ والد حبيقة هذا الحدث وباع الحجارة والأبواب وكل ما يتعلّق بهذا المنزل إلى سكان البقاع التابعين لسائقه نعيم صيقلي. وأخذ المال دون أن يعطي أي مبلغ للشباب الذين ساعدوه في مهمته. ونُقل مركز الأمن إلى مكان أكثر أمناً على تلال زحلة.

كان حبيقة يجمع ثروة طائلة بدعم من السوريين ومساعدة الحريري المادية. بالنسبة لجعجع أصبح سيد الامبراطورية المسيحية

المتقلّصة وكان يريد الحكيم أن يوجه ضربة إلى أمين الجميل لتعزيز موقفه. لكنه كان بحاجة إليه. ولسبب ما قرّر الحريري وقف إمداداته إلى حبيقة، فبحث الأخير عن مصادر أخرى تدرّ عليه الأموال فكانت المخدّرات وتزوير العملة والخطف، وطلب الفدية، قام بول عريس وأسعد شفتري بشراء مطبعة من النائب البعلبكي يحيى شمص، تاجر مخدّرات. وكانت مهمة عادل الأسمر وميشال الغاني، طبع العملات المزورة من الدولار الأمريكي والريال السعودي وكانا اختصاصيين. وبينما كان الكبار يملأون جيوبهم، كان الشباب وأنا بينهم، في حالة تعسة، لا نملك مالاً. فطلبت من بول عريس أن يدفع لنا لكنه أدار لي ظهره وأحسسنا أنا والشباب بأننا مُستغلين. فذهبت إلى دمشق لأعرض قضيتي على حبيقة فتظاهر بأنه لم يكن على علم وقال لي بأن أحلّ هذه المسألة وحدي. فقررنا أنا وبعض الشباب من عين الرمانة بأخذ معدّات المطبعة وبيعها وقد حصلنا على خمسة عشر ألف دولار أمريكي قسمّناها فيما بيننا. حين علم أسعد شفتري بالأمر استشاط غيظاً لكنه لم يستطع أن يقترب مني لم يكن أحد يطيعه أو يحترمه. كان بالنسبة لنا لصاً وجباناً. بعد أن توقفت طباعة العملات المزوّرة بحث حبيقة عن مخرج آخر للحصول على المال فكان دور المخدرات.

بول عريس ورينيه معوض كان لديهما صديق مشترك وهو عاصم قانصو النائب، الذي يملك معملاً في رأس بعلبك لتصنيع الهيروين. وكان ينفذ عمليات تهريب ضخمة بمساندة من السوريين. وأصبحت زوجته عشيقة حبيقة الحميمة الذي كان قد تخلى عن مارلين دون

تأنيب ضمير. وكانت مدام قانصوه تذهب إلى بيروت الغربية لتلقى حبيقة، وقلما اهتم قانصوه للأمر فقد كان مشغولاً بأعماله القذرة.

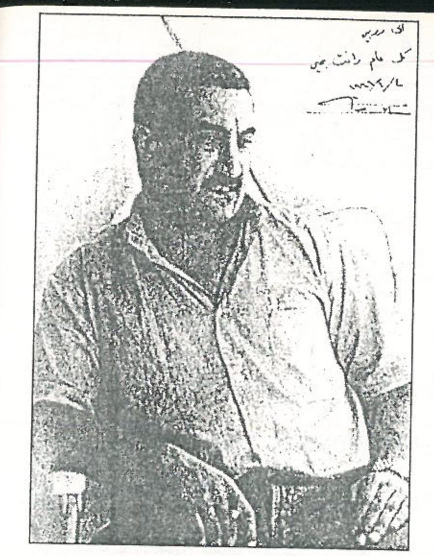
في هذا الوقت دخل رودي إدوار بارودي على الجوّ. بوساطة عمّه المعروف بشيكو الذي كان يتمتع بمعارف كثيرة في مختبرات أجنبية مكنّته من الحصول على كميات كبيرة من حبوب الكبتاغون من ثمانماية إلى تسعماية ألف كبسولة التي كان يتمّ تهريبها إلى السعودية وحصلوا من جراء ذلك على أموالٍ طائلة لكن المشكلة كانت في كيفية تقسيم الأموال فيما بين حبيقة ورودي بارودي، ورينيه معوض بول عريس وعاصم قانصوه وكبار المسؤولين السوريين علماً أن غازي كنعان كان ضابطاً سورياً.

في هذه الفترة، كان حبيقة بدأ يشك في كل ضباطه وأصبح هدفه القضاء عليهم. من جهة أخرى أحس ضباطه أنهم يستخدمون لأهداف غير سامية. فأخضعهم لضغوطات لدفعهم للاستقالة ثم قرّر إزاحة من لم يستسلم. أول ضحاياه كان طوني الزغبي، ضابط سابق في بحرية القوات اللبنانية. ثم جاء دور جورج ملكو، مسؤول حي السريان الذي تمّ سجنه في دمشق. ناجي نجار الذي وشم اسم حبيقة على ذراعه، وهو أسعد ملكو، تعرّض لمحاولة اغتيال. واستطاع الاثنان لاحقاً الهرب إلى قبرص. إيلي نعمة، إيلي كرم مسؤول الأمن جوزيف ناصيف (جعفر) ضابط سابق في ثكنة أدونيس، جوزيف أسطفان المدعو المارشال، ريمون حلو، ميشال زوين، جميل قصاف أحد حرّاسه الشخصيين كلهم كانوا ضحايا حبيقة. جلادو حبيقة كانوا فادي سادوفيم مدير مكتبه عندما كان وزيراً ما بين الغام ١٩٩٠

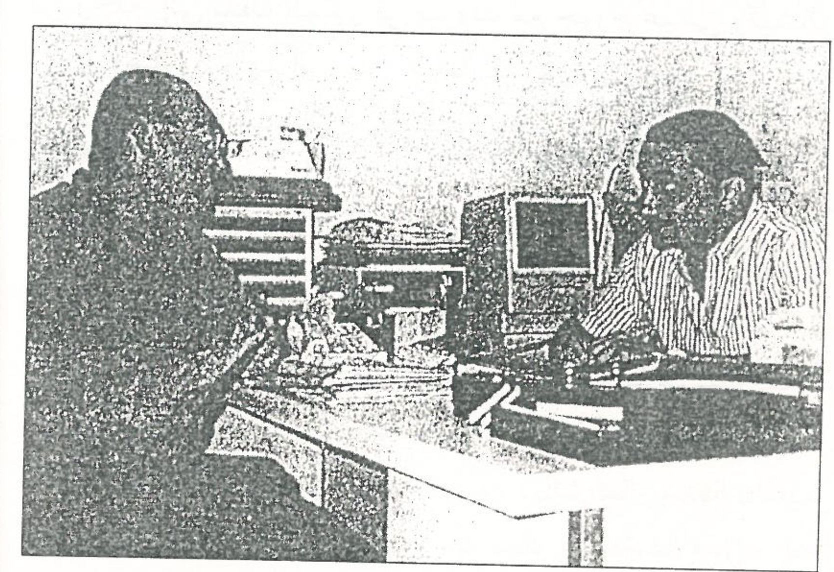
و١٩٩٩، جيلبير باز، الياس كريم جان عبد المسيح، الياس بوبا قاموا بقتل جورج مسعود وعصام عواد وجورج خوند وطوني حدّاد من الجديدة المدعو الأشقر. لتصفية مواليه الأوفياء في حي كرم الزيتون أرسل حبيقة زمرته لقتلهم ودفنهم في حفرة تقع على تلة في زحلة وراء مركز الأمن. عندما كُلفت بقتل بعض أصدقائي، دمي تجمّد. فحذرّتهم قائلاً لهم بأن جعجع يعتبرهم خونة وأنهم غير مرغوب بهم وعليهم بالاستسلام إذا لم يكونوا يريدون الموت وهم سامي زوهري فادي بيطار، طوني عديس. في هذه المرحلة كان العميل المزدوج إيلي أبو نادر، من بكاسين القريبة من جزين، ادعى أنه صديق جوزيف الأسمر مدّعياً بأنه على خلاف مع نادر سكر اليد اليمنى لجعجع، وكان ينتقل بين المناطق المسيحية وزحلة. وعندما أدرك الأسمر نية أعمال أبو نادر قرّر قتله بعد ليلة من القصف أخرجه من زحلة إلى نقطة العبور في بيروت مع جورج عيسى وميشال تنوري وعند وصولهم إلى سباق الخيل قتلوه وتركوا جثته ملقاة على الأرض. ونقلت جثته إلى مستشفى المقاصد. وكان أبو نادر هذا الضحية قريب مسعود أشقر وشقيق كلود أبي ناضر الزوجة الثانية لتوفيق الهندي المستشار السياسي لحبيقة وكانت تلعب لعبة مزدوجة ولم يكن يهمها سوى مصلحتها.



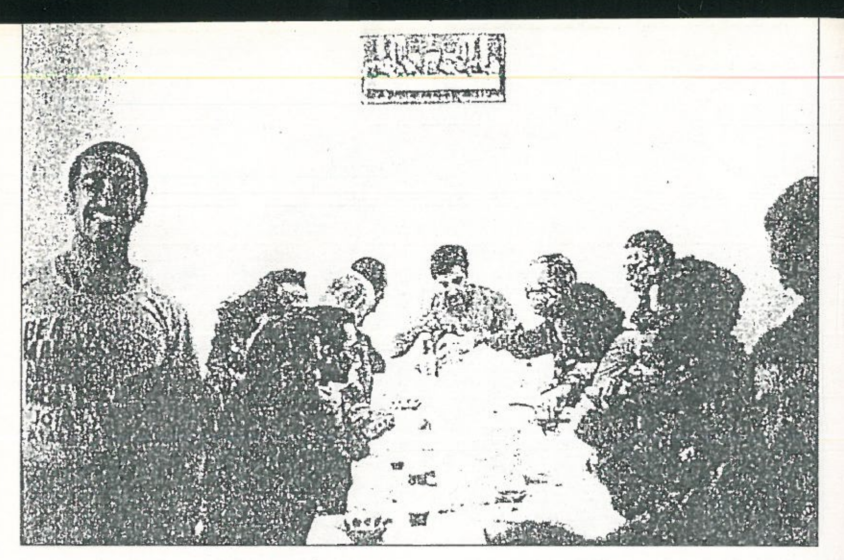
كوبرا وHK



إيلي حبيقة الملقب بـHK يرسل إلى الكاتب:
«إلى روبير. كل عام وأنت بخير. إيلي حبيقة»
(١٩٩٦/١/٤).



في مكتب HK حوار بينه وبين الكاتب روبير م. حاتم الملقب بالكوبرا



جلسة عمل، الرئيس بشير الجميل يترأس الطاولة،
في مكاتب سمير جعجع وبيدو قطارة، HK وكوبرا



HK مع داني شمعون



وحدة ١٠٤، التابعة لمنطقة فرن الشباك، باللباس العسكري الإسرائيلي
في معسكر تدريب في إسرائيل. ويبدو كوبرا في الصف الثاني



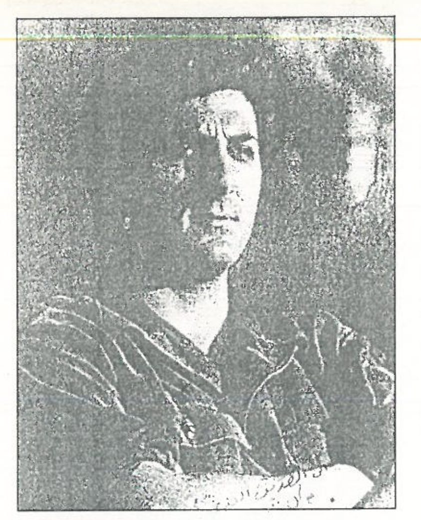
صورة تذكارية في معسكر تدريب إسرائيلي،
ويبدو في الصورة الثاني والثالث والرابع
ضباط إسرائيليين ومن اليسار
في الصف الأول كوبرا



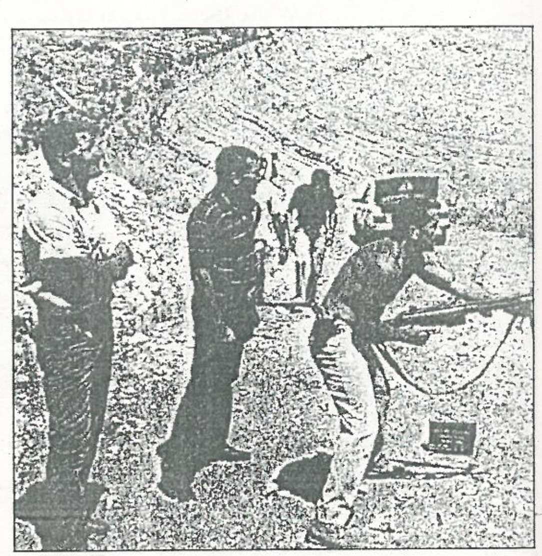
كوبرا تحت العلم الإسرائيلي في
١٩٧٧. وفي الخلف بورفيل
الذي قتل في كانون الثاني
٢٠٠٢ مع موكب إيلي حبيقة



من الأسفل كوبرا، ومن الأعلى إيلي حبيقة
والرئيس بشير الجميل في الكرنتينا



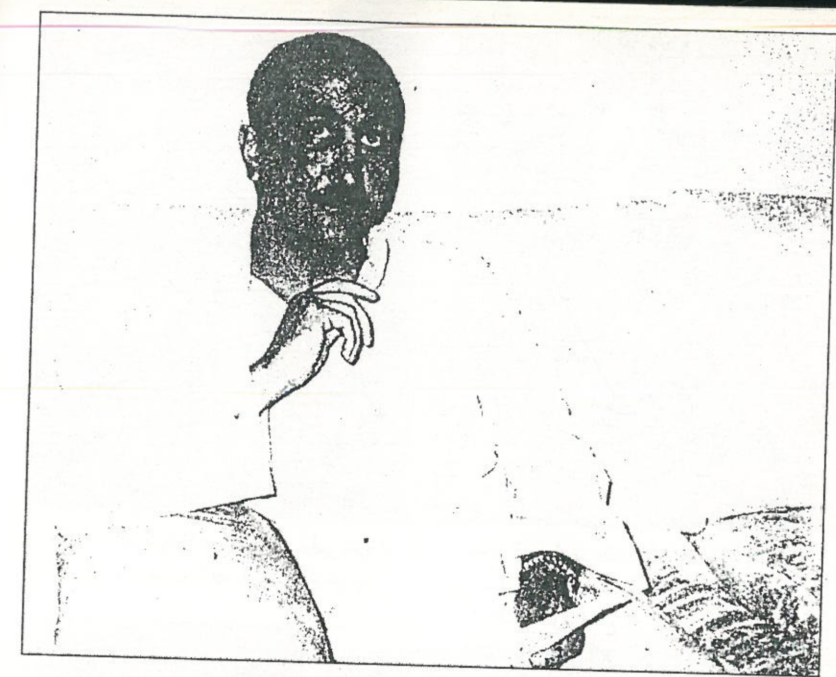
صورة للرئيس بشير الجميل قائد القوات
اللبنانية، يرسل إلى الكاتب: «إلى الصديق
القدير كوبرا مع كل تقديري لأعماله
وتضحياته في الخدمة» (٢٠/٢/١٩٨٠)



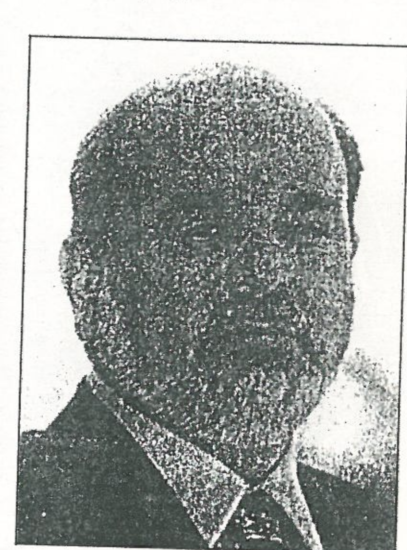
إيلي حبيقة في كسروان في حقل الرماية
بسلاح Heckler and Koch (HK) الذي لقّب به



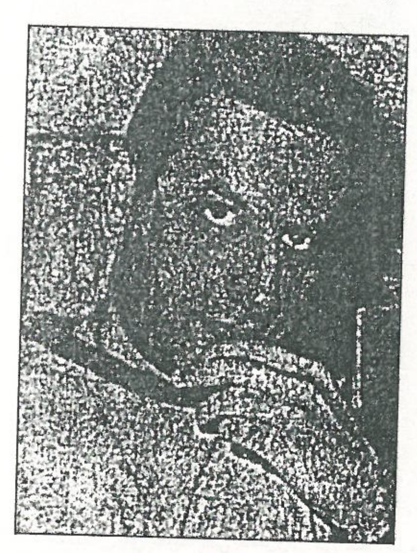
صورة لكوبرا مع حبيقة في
حقل الرماية في كسروان



حبيقة بعد محاولة اغتياله في زحلة عام ١٩٨٧



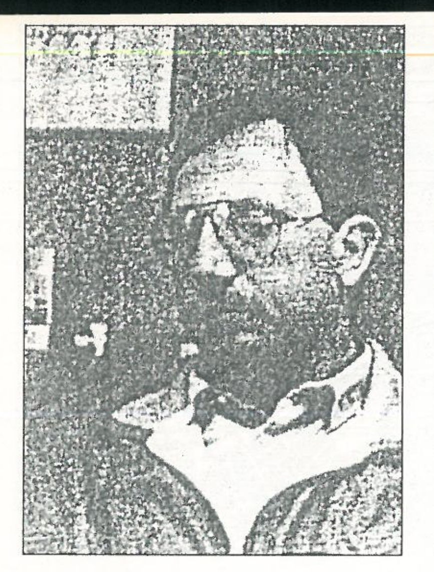
أسعد حردان قائد PSNS



حبيب شرتوني



الياس شرتوني



بول عريس

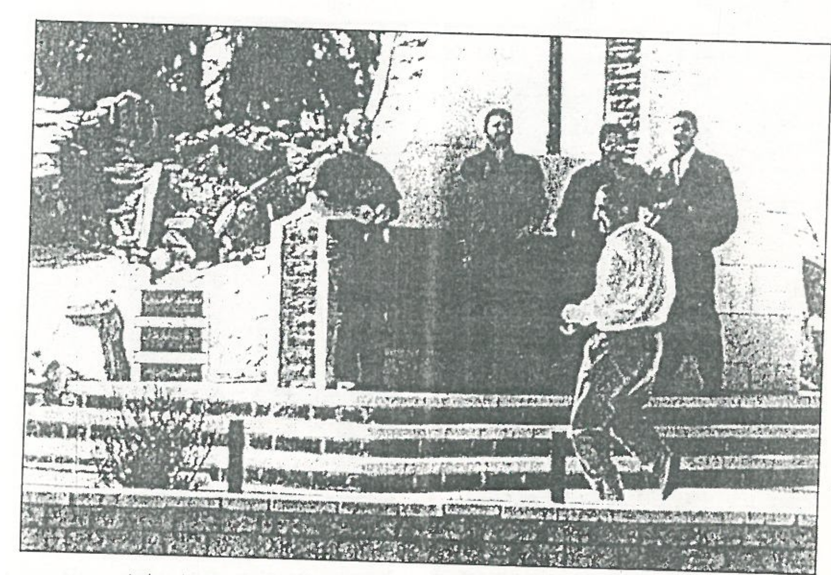


فادي ساروفيم الفلسطيني الأصل



روجيه كرم المسؤول في الشرطة العسكرية لدى HK

منظر من الجو لمنطقة بيروت والمخيمات صبرا وشاتيلا، ليلة المجزرة

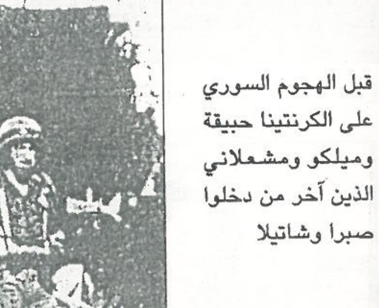


حبيقة يرقص عام ١٩٨٦ في الجولان بالقنيطرة المحتلة من قبل إسرائيل
ويبدو كوبرا وبورفيل وشقيق حبيقة



كوبرا وبطرس خوند
وبشير الجميل

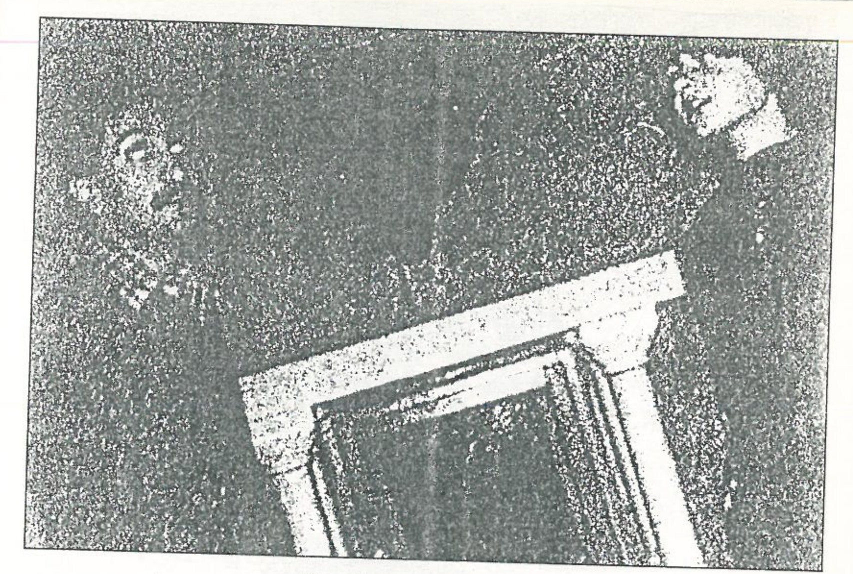




قبل الهجوم السوري
على الكرنتينا حبيقة
وميلكو ومشعلاني
الذين آخر من دخلوا
صبرا وشاتيلا



بطرس خوند، ميلكو
وحبيقة



حبيقة وجينا داخل الكنيسة في القدس



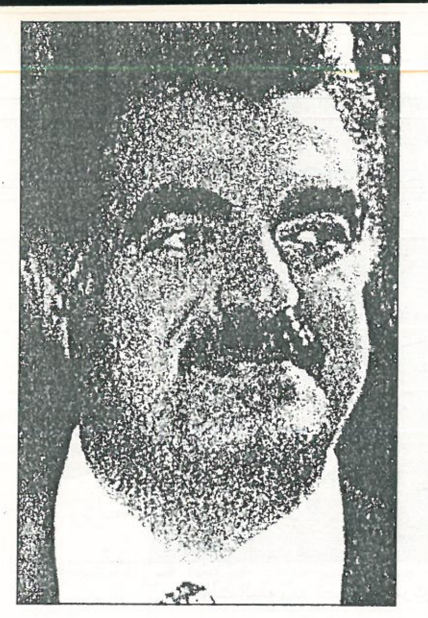
مارلين ب.



الراقصة سمارة



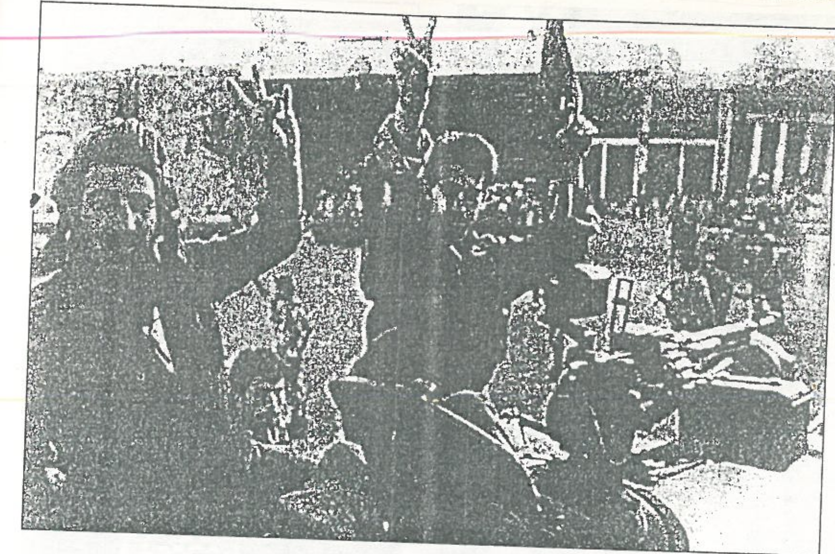
روجيه تمرز المصرفي الذي كان يسهل أعمال
حبيقة المصرفية



رفيق الحريري
رئيس الحكومة اللبنانية



الرجل الثالث عاصم قانصو عضو في الحزب البعث السوري ووالد نادين، شقيق حبيقة
وجانب الضابط السوري بورفيل وكوبرا



القوات السورية تصل وتتمركز أمام قصر بعبدا الرئاسي،
بعد حرب التحرير



مجزرة الجنود اللبنانيين اللذين قتلوا من قبل السوريين في تشرين الاول ١٩٩٠
أمام كنيسة في الحدث.

الفصل السابع عشر

«أنقذته من الموت»

تتابعت المعارك والمناوشات بين حبيقة وجعجع أو بالأحرى بين شباب حبيقة وجيش جعجع أملاً منهما بإحراز مزيداً من الأصوات والشعبية غير آبهين بالمجتمع المسيحي بشكل عام وبمواليهم بشكل خاص. في الأوساط المسيحية كان جعجع مقبولاً أكثر من حبيقة لأنه كان ضد السوريين واستطاع بجيشه المدرّب وجهاز استخباراتي منيع أن يمسك بأمن بيروت، لقد أمن خدمات اجتماعية أساسية منها الخدمات الصحيّة، المدارس، وظائف نقل عام وتعاونيات. أما حبيقة فقد كان محجوزاً بمعقله مع حوالي ثلاثماية شخص تحت إمرته بدعم من السوريين الذين ما انفكوا يزرعون المال في جيبه وأحلام السلطة في عقله، لكن شعبيته قلّت، لقد احتقره المسيحيون لأنه تجرأ ووقف مع السوريين ضدّهم لإزالتهم وسحقهم.

ذات يوم اقتنع غسان توما. قائد مخابرات جعجع، والأب سميع بزرع متفجرات في الكنيسة حيث كان حبيقة يجتمع مع حلفائه، فتمّ الاتصال بين توما وسميع بواسطة جهاز إرسال وعملاء سريين. عند

ساعة الصفر، كان لحبيقة اجتماعاً مع المنسنيور حداد وإيلي الفرزلي وخليل الهراوي في كنيسة زحلة رافقته من دمشق وكان زهير يقود سيارته المصفحة كالعادة قبل الاجتماع ذهبنا إلى بيتي للقاء سرّي مع السيّدة حبيب البريمو عقيلة السكرتير الخاص للكولونيل محمد الخولي زعيم المخابرات السورية، كانت نذواته الجنسية تزداد، فطلب مني تأجيل الاجتماع حتى الساعة السابعة مساءاً. عندما حان الوقت أوصلنا بورفيل إلى مكان الاجتماع بسيارة الغولف لأسباب أمنية. في الاجتماع تلقى المونسنيور حداد مكالمة هاتفية وأجاب: «نعم، أنه هنا». أحسّ حبيقة بعدم ارتياح وارتباك فسأل المونسنيور حدّاد عن المتّصل فأجابه أنه الأب سميع يسأل إذا كنت هنا. وانفجرت القنبلة. كان الانفجار قوياً جداً. أحسست بالسماء تسقط على الأرض، وطنين يدوي في أذني وكل شيء يدور من حولي. اندفعت إلى داخل الكنيسة ورأيت بورفيل وقد أصيب إصابة بالغة، خليل الهراوي واعياً لكنه مغطى بالركام، إيلي الفرزلي فاقد الوعي ووجهه ينزف من جراء جرح عميق بالقرب من فمه، المونسنيور حداد رأسه ينزف وهو يشير بإصبعه إلى المكان الذي وُجد فيها حبيقة مدفوناً تحت الركام. بدأت أحفر كالكلب المسعور حتى رأيت رأسه كان حيّاً لكنه يجد صعوبة في التنفس قمت وعماد قسيس أحد مرافقيه المقرّبين بتنظيف وجهه وترطيب شفاهه بقميصي حتى استعاد وعيه وبدأ يتنفس طبيعياً. أمسك بيدي ولم يتركها مطلقاً وطمأنته وقلت له أنني إلى جانبه وسأخرجه من المكان. زهير صالح، مرافق آخر أمسك برأسه. واستطعت بكثير من الانتباه والحرص أن أخرجه من بين الركام. وأبعد وليد شاتيلا الجميع بتعليمات مني شخصياً. بينما

كنت أسحبه خارجاً وما إن وصلت أخبار سلامة ونجاة حبيقة حتى علت صيحات الفرح وانطلق الرصاص ابتهاجاً. أخذته سيارة إسعاف إلى مستشفى تل شيحا حيث حرصت على عدم اقتراب أحد منه لا المسؤولين السوريين ولا عائلته ولا ضباطه. فقط اثنان من الصحفيين التابعين لنا سُمح لهما بالتقاط صورة له وسماع إعلانه بأنه بخير. لمزيد من التأكد من سلامته فقد قررت القيادة السورية وميشال المرّ نقله إلى مستشفى حافظ الأسد الخاص في دمشق.

وتمّ نقله برّاً من زحلة. سلكت ثلاث سيارات إسعاف ثلاث طرق مختلفة لأسباب أمنية، واحدة إلى شتورا وأخرى إلى الفرزل وثالثة عبر المصنع. وجاءت نتائج الفحوصات مطمئنة فلم يكن يعاني سوى من كسر في حنكه وجروح سطحية ورضوض. عندما وصل حبيقة إلى المستشفى أخبرني فوراً بمكالمة الأب سميع وقال لي «أقبض عليه قبل أن يهرب». فأرسلت بسرعة قوّة إلى الدير حيث هو وقبضت عليه. وأراده المسؤولون السوريون فسلمناه إليهم وأخذوه إلى عنجر حيث أمضى أصعب الأوقات، أُرعب، وعُذّب وذُلّ لدرجة أنه مات تحت التعذيب. كان يُعتبر شهيد القضية المسيحية. وأنني هنا لا أتباهى بنفسي ولكن لولا تحرّكي السريع لما نجا حبيقة من هذه الحادثة. أنه مدين لي بحياته. ولكن سرعان ما نسي هذا الأمر وأظهر لي عدم الامتنان وأراد أن يحمّلني مسؤولية كل أعماله القذرة. ولم يحتف معه إلا الجبناء، الأغبياء وعلى سبيل المثال استبدلني بجوزيف الأسمر الدمية المتحرّكة المكلّفة بحمايته عندما كان وزير للموارد المائية والكهربائية.

عبد الحليم خدّام مصدر كل الآلام

أصيب حبيقة بهلع، لكنه لم يسحق وقد كان مقتنعاً بأن شعبيته ستزداد وأن السوريين سيدعمونه ويساعدونه للانتقام من جعجع وبينما كان ما يزال في فترة النقاهة قرّر مواصلة الحرب: سيأخذ هذا وقتاً ولكن يجب أن يكون مؤلماً، هكذا قال لي.

وفي عام ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ كان حبيقة والسوريون يحضّرون وكان السلاح الأكثر شيوعاً والأكثر فعالية هو السيارات المفخخة وكانت كفيلة بإطاحة المجلس التنفيذي للقوات اللبنانية. الضربة ستكون ظهر أربعاء وقت الاجتماع الأسبوعي لكل قادة القوات. بعد شهر من محاولة الاغتيال الفاشلة في زحلة، استطاع حبيقة إيجاد عملاء بين شبكة جعجع في الكرنتينا. فبعد سقوط حبيقة بعض رجاله من الأمن التحقوا بجعجع. لكن الحكيم لم يكن ساذجاً ووضعهم تحت المراقبة ولم يكن يسلّمهم مهمّات مهمّة. وكان هؤلاء يراقبون من كانوا في المراكز العليا. وهكذا استطاع العملاء السريين لحبيقة المتعاملين مع جعجع تأمين تصريح مرور لسيارة بيجو ٥٠٤ حتى

تتمكن من الوصول إلى المجمع أثناء الاجتماع بدون شكوك، وتبرّع وليد الزين للاتصال بمساعدة طوني أبو جودة، المعروف بـ«زورو» لتأمين الترخيص، وهكذا كان لدينا سيارة نستطيع التنقل بها دون إثارة شكوك في الشارع العام من الكرنتينا. وكان لدينا سيارة أخرى وهي إسعاف تابعة للصليب الأحمر اللبناني والتي لم تكن بحاجة إلى ترخيص وهي تصل بعد الانفجار الأول وستكون مفخخة أيضاً ومزوده بسائق انتحاري من الحزب القومي السوري الاجتماعي أمّنه أسعد حردان. فخخت السيارة في فيلا مهجورة تحت تمثال مريم العذراء وزوّدت بمواد متفجّرة من T.N.T والأوكسجين ومادة والجيلجينايت ومسامير وقذيفة هاون ١٢٠ملم وقوارير غاز منزلي بالإضافة إلى بودرة الأرسنيك لتكون النتيجة مضمونة، وكان جهاد ابن عبد الحليم خدّام هو الذي زوّد حبيقة شخصياً بهذه المادة. وقمت أنا بنقلها من دمشق إلى زحلة وأعطيتها لأسعد شفتري. ولم يكن حبيقة الدموي يريد أن يقتل جعجع فقط بل أراد أن يموت معه على الأقل ألف شخص مسيحي. كل شيء أصبح جاهزاً. وكنّا بانتظار الضوء الأخضر لكنه تأخر. وبدأ السوريون وحبيقة يفقدون صبرهم. فقد كان ينقصنا الترخيص. دفعت الأموال للترخيص لكنه لم يصل. حدث خطأ ما. ولتوضيح هذا الأمر أوقف وليد الزين وبعد التحقيق اعترف بأنه لم يدفع للعميل وأن الأموال أخذها هو. وعلم جعجع بالعملية ووجود العميل المزدوج، ألغيت العملية أما وليد الزين فقد سُلّم إلى السجّان لويس أبي خليل الذي عذّبه لمدة عشرون يوماً. وجاءت أمّه مستنجدة بي شاكية حزنها وكرهها لحبيقة ولكن كنت في مهمة مع حبيقة في دمشق فاهتم بورفيل بها. وليد الزين الذي وعد بالبقاء

معكتفاً في بيروت الغربية أُخلي سبيله وعادت أمه إلى عين الرمانة لكي لا تثير الشكوك. وكان الزين يتبع تعلميات حبيقة حرفياً. وهكذا استطاع إعادة العلاقات مع حبيقة الذي يحبّذ التعامل مع أشخاص من طينة الزين شيئاً فشيئاً غدا وليد الزين شخصاً مهماً لا يستغني عنه حبيقة لأنه أدار جميع أموره السرية القذرة وأصبح سائقه ومرافقه وظلّه في أوائل التسعينات اعتنق وليد الزين المسيحية وتزوج في الكنيسة وكان اشبينه حبيقة.

شهد عاما ١٩٨٨ و١٩٨٩ الحقبة الأخير من الصراع المسيحي - المسيحي عنف، خيانات وموجات اغتيال وقع ضحيتها المدنيين المسيحيين. وحدثت مواجهات بين القوات اللبنانية والجيش اللبناني، أي بين الحكيم وميشال عون. لم يكف المسيحيون ما حصل معهم خلال خمس عشرة سنة من الحرب من تفكيك وتقسيم لمجتمعهم وآخر هذا كان الثالث عشر من تشرين الأول ١٩٩٠ قبل انتهاء مدّة رئاسة الجمهورية بالنسبة للرئيس أمين الجميّل أمست العلاقة بينه وبين جعجع معلّقة بخيط رفيع جداً ومتوترة. ولعبت سوريا على ذلك. أرادت سوريا أخذ الثأر من فشل الاتفاق الثلاثي ولمحاولة اغتيال حبيقة الفاشلة فوجهت ضربتها. بقي حبيقة رجل سوريا الأول وحاول الجميّل التقرّب من سوريا لتمديد فترة رئاسته وكذلك فعل سليمان فرنجية بترشيح نفسه للرئاسة والجنرال عون حذا حذوهما وكان يلعب دور الوسيط ألبير منصور وزير الدفاع في حكومة الحص، وفايز قزي رجل أعمال مسيحي الذي لعب دوراً أيضاً بنقل رسائل بين الجنرال عون وحلفاء سوريا المسيحيين. وسمير جعجع

رشّح زاهي بستاني فماطلت سوريا وكان مرشحها هو النائب ميشال الضاهر. وهكذا كان على القادة المتحاربين الثلاثة أن يتحدوا ليتخلصوا من منافسهم ثم التنكيل ببعضهم البعض وقتل المسيحيين معهم سياسياً وجسدياً. مباحثات ومشاورات دون جدوى. في ٢٢ أيلول ١٩٨٨ انتهى حكم أمين الجميل وكان عليه أن يسلم الحكم ولكن لم يكن هناك مرشح إلا ضاهر. فما كان من أمين إلا أن أعلن عند منتصف الليل أنه سيسلم الحكم إلى الجنرال ميشال عون. جعجع الذي كان في قصر بعبدا لعب ضمن القوانين وصرّح بأن ميشال عون هو رجل المرحلة. وأن حكومة الاستقلال كانت حكومة عسكرية وخيار عسكري. كان أمين الجميّل يدرك مدى خطورة عمله لكنه لم يأبه لأي شيء. وعلم المسيحيون ابتدأ من هذه اللحظة بأن مصيرهم بات معلّقاً.

تحت الضغط السوري رُفض هذا النظام العسكري من قبل المسلمين. علم جعجع أن الحكومة العسكرية ستقضي على القوات اللبنانية وتمنعهم من الاستيلاء على حزب الكتائب فتحرّك بسرعة. في ٣ تشرين الأول ١٩٨٨ اقتحم رجال جعجع المتن الشمالي معقل أمين الجميّل الحصين واحتلوا جميع المراكز العسكرية وحاصروا بيت الرئيس كان عون يتفرّج ولا يحرك ساكناً. فاضطر أمين الجميّل إلى مغادرة البلاد. وبقي الرجلان عون وجعجع وجهاً لوجه. وكان حبيقة ينتظر فالأسوأ آتٍ.

كان الصراع سياسياً واستراتيجياً واقتصادياً. كان الحكيم دائماً وراء إنشاء فدرالية في لبنان يحكمها هو بيد من حديد. وكانت عنده

الإمكانيات وما على الشعب المسيحي الذي أحكم السيطرة عليه إلا اتباعه. كان طموح ميشال عون كبير لا يرتوي فهو كبشير الجميل يبحث عن السلطة، أراد دولة موّحدة وشعب واحد وهدفه تمثيل لبنان على مساحة ١٠٤٥٢ كلم^2. كانت استراتيجيته مثل استراتيجية شمشون هذا القاهر اليهودي الذي هدّ المعبد، فكان همّه السلطة. فأصبح بمثابة الروح للمقاومة ضد القوات اللبنانية وأراد عون الاحتفاظ بالسلطة وليقطع الطريق على جعجع، أصدر أمر بإغلاق جميع المرافئ الغير شرعية. ثم جعل دفع ضريبة المرور على المعابر للقوات اللبنانية غير قانونية، كمعبر المتحف والبربارة والمونت فردي. وطلب إلغاء كل الضرائب المفروضة من القوات اللبنانية، دون الأخذ بالحسبان ردّة فعل غريمه، فجعجع لن يتردّد بإحراق الأرض والشعب من أجل الاحتفاظ بمصادر أمواله. كان حبيقة ينتظر وقد حانت الساعة.

وفي ٤ شباط ١٩٨٩ اشتعلت أولى المعارك بين القوات اللبنانية والجيش اللبناني بعد عشرة أيام وُقّع اتفاق بضغط من الولايات المتحدة، فرنسا، الفاتيكان والعراق، وافق جعجع على ذلك لتحضير نفسه لمواجهة عون وبدأت عائلات مسيحية تنتقل إلى بيروت الغربية هرباً من العنف. كانوا عائلات أثرياء ورجال أعمال منهم روجيه تمرز الذي لم يتردد في وضع أمواله في خدمة القضية المسيحية وضمان الدعم لقوات جعجع اللبنانية.

بقي حبيقة، في هذه الفترة، مستتراً وانتقل ليعيش في بيروت الغربية بصورة دائمة متنقلاً بين الحين والآخر إلى دمشق. كان بحاجة

للمال وهدفه كسب المال وقرر اللجوء إلى الخطف وأخذ الفدية.

وكان هدفه روجيه تمرز صديقه القديم الذي استطاع بناء علاقات وطيدة مع القادة السوريين والدروز مع عبد الحليم خدّام ووليد جنبلاط.

الفصل التاسع عشر

عندما كان روجيه تمرز رهيناً

اعتقد روجيه تمرز أنه عرف إيلي حبيقة جيداً لكنه في الحقيقة لم يعرفه كفاية، لقد أصبح بينهما أعمال ومصالح مشتركة. لكن حبيقة كان مخادعاً وجشعاً بينما تمرز محتال لكن مخلص. أستطيع التحدّث عن قضية تمرز بأدق تفاصيلها، كان عبد الحليم خدّام منذ بداية الحرب يريد تصفية المسيحيين وكان حبيقة يساعده على ذلك وأصبح حبيقة رجله وعندما قرّرا الاختطاف والابتزاز كان تمرز هو الضحية الأنسب: أقام تمرز علاقات ودية مع وليد جنبلاط والحزب الاشتراكي واتصالات حميمة مع رجال سوريين ذوي نفوذ مثل طلاس وزير الدفاع والقائد العام للجيش السوري الذي سهّل له المرور على الحواجز السورية. وكشف حبيقة ضابطان في القوات السورية كان تمرز يمرّر عبرهما أعمال مهمّة هما عدنان رامحمداني وأياد محمود. وأصبح حبيقة يبتز تمرز ويضغط عليه. وكان ردّ تمرز على حبيقة عندما طُلب منه دفع ١٢ مليون دولار. «إيلي أنا قلبي ضعيف منذ طفولتي وأنه كان يغمى عليّ في الكنيسة. لم أعد أستطيع أرجوك أن

تعطيني فرصة ثانية للحياة وسأكون ممتناً لك. فأنا لا أملك سيولة ولكن أملك عقارات ومشاريع فأنا أطلب مساعدتك وأن الله أرسلنا لنكون سوياً ولتساعدني وأساعدك». هكذا نستطيع أن نختصر حياة تمرز الذي قضى تسع سنوات في المناطق الشرقية تحت رحمة جعجع والآن عام ١٩٨٩ وقع تحت يد حبيقة ولتسهيل معاملات حبيقة المالية أوجد نوعاً من مصرف مركزي، «المصرف المركزي اللبناني» الذي كان تحت يد السوريين وحلفائهم.

ولد وترعرع في القاهرة، هذا اللبناني عاد إلى بلده الأم، في بداية عام ستين. واستطاع إنقاذ بنك إنترا من الإفلاس. كان شاباً كريماً مثقفاً، مدافعاً عن القضية المسيحية، أعطى الكثير من المال لقادتها. طلبات جعجع دفعته للجوء إلى بيروت الغربية. وأقام علاقات عمل مع جنبلاط الذي اشتراه بإعطائه أسهم في شركة T.M.A فأمّن له وليد جنبلاط حماية خلال إقامته في فندق السمرلاند مع بداية الثمانينات كان تمرز له علاقات متينة مع أمن حبيقة بفضل رينيه كعدو معوّض نسيب حبيقة وأعطاه حصة في كازينو لبنان تساوي مئة سهم وحساب دائم في البنك بهدف توطيد علاقته مع حبيقة الذي له اتصالات وطيدة مع السوريين. كما أهداه بواسطه رينيه معوض رانج روفر بيضاء مصفّحة للغاية نفسها. وافق حبيقة على استقبال تمرز بدافع من الجشع والطمع. وقرّر أن يكون اللقاء في دمشق ليريه مدى تقرّبه من خدّام. ذهب تمرز إلى العاصمة السورية ونزل في فندق الشيراتون. وفي اليوم المحدّد ذهبت لاصطحابه إلى شقة حبيقة الذي كان يشغلها في الحيّ الراقي من دمشق المزة. تباحث الرجلان طويلاً

وبعد أربع لقاءات متتالية عاد تمرز إلى لبنان. بعد أسبوع طلب مني حبيقة تحضير مخطط سريع لاختطاف تمرز.

مخلصاً ومطيعاً، عدت إلى بيروت الغربية. أطال حبيقة إقامته في دمشق كنت أراقب تمرز كنت أدرس عاداته وتنقلاته وعلاقاته. وأدركت بأن القوّة لن توصلني إلى شيء وعليّ اللجوء إلى الحيلة. كان محمياً جيداً من حارسه وسائقه وكان يتنقل دائماً بسيارته المرسيدس الكحلية المصفّحة. قرّر حبيقة أن يجرّه إلى فخ بعد معرفته بالتفاصيل التي قدّمتها له. فاقترح عليه لقاء بابن حافظ الأسد باسل الأسد. وقال له بأنه لدوافع أمنية سوف يرسل له حرّاسه الخاصين الذين سيأتون لاصطحابه من فندق السمرلاند إلى البقاع. والعملية تمّت. ذهبت إلى السمرلاند مع رجالي وقلت لتمرز بأن اللقاء سوف يكون عند السابعة وهو ليس بحاجة لا لسائقه ولا لحارسه الخاص حسب التعليمات. فقاد زهير سيارة المرسيدس التابعة لتمرز الجالس بقربه بينما صعد ثلاثة حرّاس إلى المقعد الخلفي. بالنسبة لي كنت أتبعهم برفقة عسكري يدعى بوب. عند وصولنا إلى شقتي في زحلة، وبعد تناول القهوة كالعادة، كشفت له بأنه سجين لدينا. في هذه اللحظة أدرك أنه وقع في الفخ. أمرته بخلع ثيابه كلّها والبقاء عارياً. كان الطقس بارداً جداً في الشقة التي كانت بدون تدفئة بسبب والد حبيقة الذي كان يحرمنا من الفيول. سجنته في الحمّام بعد أن أخذت منه أوراقه الشخصية ووضعتها في مغلّف ووضعت حارسين على الباب «لا يدخل أحد أو يخرج من الشقة». وعدت إلى دمشق لأعطي حبيقة التقرير.

حبيقة الذي كان يضع كل ثقته بي. كلّفني الاتصال ببول عريس
وأسعد شفتري اللذين سيتعاملان مع رهينتنا. وصلا عند الساعة
العاشرة وأخبرهما تمرز وهو يرتجف من البرد والخوف بأنه على
خلاف مع حاكم مصرف لبنان إدمون نعيم وأنه لا يملك سيولة لكن
دون جدوى. طالت المفاوضات والغرض كان تلبية طلب المال.
ومنع عنه الأكل، عارٍ حبسته من جديد في الحمام في الصقيع.
استدعاني حبيقة إلى دمشق من جديد وأعطاني رسالتين عليّ
تسليمهما إلى تمرز. الأولى كانت بحاجة لردّ سريع وبالنسبة للثانية
فهو يمهل الرهينة يومين. خلال الثمان وأربعون ساعة، أخضع
شفتري وعريس الرهينة إلى تحقيق صعب حول أمواله. وكان تمرز
يردّد بأن أمواله في الاستثمار ولا أملك سيولة، ١٢٠ مليون دولار
مبلغ كبير لا أستطيع جمعه واقترح عليهم تمرز تمويل مشاريع كبرى
تردّ عليهم مالاً وفيراً. وإعطاء وظائف لجميع الشباب لكن دون
جدوى، الهدف كان الحصول على ١٢ مليون دولار نقداً. طلب منّا
حبيقة استعمال جميع وسائل الضغط وأساليب التعذيب فحرمناه من
الطعام والماء، شارف على الموت مرتين على يدي. كان قوي البنية
وخلال تعذيبه كان تمرز يردّد هامساً: «كوبرا هؤلاء لا يكترثون سوى
لمصالحهم الخاصة، ويقول لي «كوبرا مشكلتي مشكلتين الكبرى هي
مع أدمون نعيم اطلب منهم أن يجدوا مخرجاً معه لأن أدمون لا
يكترث لبنك المشرق أو غيره كل ما يهمه هو تدميري». هذا الرجل
الصلب القوي ما لبث أن انهار تحت ضغط التعذيب ووافق على دفع
خمسة ملايين دولار مدركاً بأنه لا يستطيع الاتكال لا على وليد
جنبلاط ولا على أصدقائه السوريين. لأن حبيقة أفهمه بأن لا أحد

سيتدخل لمصلحته وبأن موته لن يؤثر على أحد فلقد أفهمنا الجميع
بأنك جاسوس إسرائيلي. وهذه الجملة هي التي قطعت كل آمال
تمرز. فادي ساروقيم أعطاه رقم حساب مصرفي تحت اسم مستعار
في بنك ويدج فرع شتورة وهاتف خليوي للاتصال بعائلته وأصدقائه.
فاتصل أولاً بزوجته في نيويورك ثم بسكرتيرته نهى في باريس
وصديقه فيليب تابت من شركة T.M.A وعندما بدأ المال يصل، طلب
مني حبيقة تخفيف الضغط عن تمرز، نقلت إلى حبيقة ما قاله لي
تمرز عن خلافه مع إدمون نعيم ولكنه لم يهتم بذلك فكل ما كان يهمّه
هو معرفة إذا ما وصل مال الفدية إلى البنك. فأعطيته رسالة من عدّة
صفحات حيث كان تمرز قد اقترح فيها إعطاءه شركات له. فذكّرني
حبيقة بأن أوامر خدّام واضحة، إنه يريد ١٢ مليون دولار نقداً
ومعلومات عن علاقات تمرز بالضابطين السوريين عدنان راحمداني
وأيّاد محمود. وكان تمرز قد ردّ عن هذا الموضوع كتابة بأن إيلي
بيطار رجل أعمال هو الذي عرّفه عليهما وكان هدفنا إنشاء مشروع
زراعي في سوريا ورأس المال المقترح للمشروع كان خمسة ملايين
دولار والأرباح ستكون مقسّمة بين الحكومة السورية وبنك المشرق.
فسوريا ستقدّم المال والأرض والبنك المعدّات التقنية بمساعدة خبراء
أمريكيين. وكان الخبير الأمريكي جون هيلكن معه فلقد ساهم في
مشروع مماثل في مصر من قبل وهو محاسب من بنك إنترا. بيطار لم
يحضر أي من الاجتماعات الرسمية لكنه دبّر لقاء مع رئيس الوزراء
السوري عبد الرؤوف الكسم ووزير الاقتصاد والمعادن ووزير الزراعة
الذي كان من أصل كردي وهذه الاجتماعات كانت حصلت ثلاث
مرات، بمعدل اجتماع واحد كل شهرين. في النهاية تمّ التوقيع على

بروتوكول وكانت مسألة واحدة عالقة وهي إصرار تمرز على نقل المواد الزراعية بواسطة الـT.M.A وأصرّ السوريون على الشركة الطيران السورية.

وصل المال أخيراً إلى البنك سحبه ساروفيم ووضعه في حقائب وأعطاه لحبيقة لكي يوزعه. شارل أخوه وزوجته جينا وبيار يزبك حصلوا على مبلغ مئتا ألف دولار، وأتذكر بأن زوجته كانت قد سافرت بعد هذا إلى باريس للتسوّق. ورينيه كعدو معوض حصل على مبلغ خمس مائة ألف دولار وكل من بول عريس وأسعد شفتري على مبلغ ثلاث مائة ألف دولار. ولإرضاء وإسكات وليد جنبلاط موّل تمرز تلفزيون المشرق الذي كان يمتلكه مع زاهر الخطيب. وعلمت لاحقاً بأن كل من غازي كنعان وأسعد حردان قد قبضا مبلغ وقدره مليون دولار أمريكي.

وبعد خمس وعشرين يوماً، كان مبلغ الفدية قد قُبض بأكمله. فطلب مني حبيقة أن أُعيد تمرز إلى بيروت الغربية. وفي طريقنا أخبرني هذا الأخير بأن حبيقة لا يفكّر أبداً برجاله ولكن بنفسه فقط، لأنه إذا كان يفكرّ بهم لكان وافق على المشاريع والاستثمارات التي قدمها لتشغيل شبابه. وأخبرني لو كان في أوروبا لما سمح لأدمون نعيم بتدميره عبر إفلاسه. وبعد فترة سمعنا أن تمرز غادر لبنان.

اتهمني حبيقة بعملية الاختطاف وحملني المسؤولية الكاملة ولكن بالرغم من كل شيء احتفظت بعلاقة صداقة مع تمرز الذي أرسل إلى بوب وسمّور وزهير مبلغ خمسون ألف دولار ولكن ساروفيم أخذ المبلغ ولم يعطينا شيء منه.

في صيف ١٩٨٩ رودي بارودي الذي أصبح مستشار حبيقة عندما عُين وزير عام ١٩٩٠ عاد إلى بيروت وطلب حصته من الفدية. فأعطاه حبيقة سيارة المرسيدس الخاصة بتمرز والتي كان قد وضعها باسم أخيه شارل. ثم بيعت السيارة لجوزيف أنتيبا بوساطة جينا زوجة حبيقة التي حصلت على مبلغ خمسون ألف دولار كعمولة. وحصل أيضاً رودي بارودي على شقة تمرز في شارع فردان ثم تركها لصاحبها الأصلي مقابل خمسون ألف دولار.

في نفس المرحلة، أرسلني حبيقة إلى ميامي فلوريدا في الولايات المتحدة لشراء برامج كمبيوتر له ولكن أوقفت هناك وحوكمت على أنني إرهابي وأودعت السجن. فدفع حبيقة مبلغ عشرة آلاف دولار لمحامي أمريكي للإفراج عني. وخرجت من السجن وبسبب حبيقة لا زلت حتى الآن على اللائحة السوداء ولا أستطيع الهجرة إلى أمريكا للانضمام إلى عمي هناك كان يأخذ الشهرة والمال وكنّا نحن نتحمّل نتائج أعماله القذرة. فكان ينتظرنا مستقبل مظلم والوحدة والجراح.

اختطافات وابتزازات

بعد صفقة تمرز الناجحة طلب مني حبيقة وضع لائحة بأسماء رجال ممكن ابتزازهم وكنت قد خرجت من السجن في الولايات المتحدة ووضعت على اللائحة السوداء بسببه. ولكن لم يكن بإمكاني الرفض فلقد اشتراني بدفعه لمحامي ليفرج عني. كان عليّ دين تجاهه. كان عليّ تنفيذ كل ما يطلبه مني وإلا الموت. وكان هدف حبيقة هذه المرة ماريو سيموندس. كان مقاتل سابق وأحد المقربين منه منذ تأسيس جهاز الأمن. ترك القوات ولكنه احتفظ بعلاقة جيدة مع حبيقة. حتى أطلق على ولديه اسميّ إيلي وجينا. كان ماريو يعمل مع إميل معوض والد رينيه ويزوره دائماً في زغرتا. وهذا ما كان يغيظ حبيقة. كان لا يحتمل فكرة أن يغتني أحد غيره وكان يعتقد بأن ماريو وغابي هما سبب فشل الاتفاق الثلاثي.

جينا لعبت دوراً في هذه العملية. كانت تزور دائماً أختها ماري ـ جان وزوجها رينيه وكان حرّاسها يرافقونها دائماً، بوبا، كريم جان زركيدي والحاج نفّذوا معاً مخطط الاختطاف. وجاء اليوم الموعود،

وأرسلت الحرس المرافقين لجينا إلى زغرتا ولم يجدوا أية صعوبة للإيقاع به موهومين إياه بأنهم يريدون إعطاءه طرد من حبيقة بسرية تامة فخرج من المنزل واثقاً منهم وعند وصوله إلى السيارة ضربوه ووضعوه في الصندوق الخلفي وسلّموني إياه في زحلة حيث وضع تحت حماية فائقة. ورضخ لدفع مبلغ ٢٥٠ ألف دولار بعد القهر والتعذيب. وقد قبض أسعد شفتري حصة من هذا المبلغ بعد أن ضغط على حبيقة. احتفظ سيموندس بعلاقاته مع أسعد شفتري وبول عريس بالرغم مما حصل. كان يحضّر لعملية تهريب مخدرات كبيرة من اليونان ولكن بسبب الخلاف الذي وقع على تقاسم الحصص، أفشى بول عريس بالعملية للشرطة التي أوقفت سيموندس. اتهم بتهريب مخدرات وأسلحة، سجن سيموندس لأعوام طويلة بخطأ من حبيقة الذي دمّره.

شارل شالوحي، رجل أعمال غني تعامل مع حبيقة. بنى شالوحي، مركزاً تجارياً كبيراً في سن الفيل أطلق عليه اسم إحدى بناته ميرنا الشالوحي وفي سنة ١٩٨٣ كانوا الشالوحي، حبيقة، ورينيه معوض شركاء في شركة استيراد وتصدير مهمة، وطلب مني حبيقة أن أغرق إحدى السفن التي تحمل بضاعته وذلك لقبض التأمين. كانت السفينة راسية مقابل مرفأ جونيه وقد قمت بمساعدة شابين على تفجيرها وإغراقها في أحد الليالي المظلمة بعد الوصول إليها بزورق وبالتفاهم مع القبطان والطاقم وضعت أصابع من الديناميت في المحرك، وفي الصباح انفجر المركب في عرض البحر. دفعت شركة التأمين الخاصة بإبراهام ماتوسيان مبلغ مليون دولار لحبيقة دون

تحقيق أو تأخير. وأنا لم أقبض مبلغ الخمسين ألف دولار التي وعدوني به. علماً بأن مراكز القرصنة هذه ظلت تعمل حتى بعد انتخاب حبيقة كنائب ووزير العام ١٩٩٠.

خلال الحرب بين عون وجعجع انتقل شارل شالوحي إلى السمرلاند. كان يزورنا دائماً مع صديقته. حاول رينيه معوض الضغط على شالوحي الذي كان يعلم من أهداهما سيارة B.M.W 735 المسروقة من روجيه كرم، لهذا لم يبال بهما. حبيقة قرّر إذا اختطافه. ذهبت إليه وطلبت منه مرافقتي إلى حبيقة الذي يريده في أمر طارئ. بكل براءة اعتقد شالوحي بأنني سأصطحبه إلى الرملة البيضاء عند حبيقة ولكن الأوامر كانت باقتياده إلى بيتي في زحلة. وما أن عرف أنه مقتاد إلى البقاع انهار وابتدأ بالبكاء. كان عليّ أن أحتجزه في بيتي.

اختطاف شالوحي شبيه باختطاف تمرز. جرد من ملابسه ووضع في الحمام وبعد التعذيب والتهديد اتصل بأخوانه لدفع مبلغ مئتان وخمسون ألف دولار.

من قطع صغيرة ٥٠ ومائة دولار بعد قبض المبلغ تركته يذهب وبعد أن عرف حبيقة ذلك ثار غاضباً وبدأ يشتمني وهدّدني بالقتل. لم أره يوماً فاقداً أعصابه كهذا اليوم. في العام ١٩٩٢ أعلم رينيه معوض حبيقة أن الشالوحي سحب مالاً من الشركة فأمرني حبيقة باختطافه مجدداً وتعذيبه وسحب المال منه وقتله إذا دعت الحاجة ولكن الشالوحي علم بالأمر وأخبر أمن الدولة بذلك فكبرت المسألة. كان لا بد أن نحافظ على صورة حبيقة نظيفة إذ كان في ذلك الوقت وزيراً

وكان عليّ القيام بالأعمال القذرة عنه فهدّدت الشالوحي بطرق أخرى وفجّرت السوبر ماركت Italy Moll الذي يملكه في سنتر ميرنا الشالوحي في سن الفيل ووافق الشالوحي على الدفع لكن ليس نقداً. أعطانا الطابق الثالث والخامس عشر في السنتر الذي يقع فيه السوبر ماركت أي ما يوازي ٨٠٠ ألف دولار.

عام ١٩٩٦ وفي معمعة الانتخابات قرّر حبيقة ومعوض الاستيلاء على سنتر ميرنا الشالوحي بأكمله. فذهبنا إلى بيته في دار بشتار وأطلقنا عليه ثلاث رصاصات أصابته بجروح خطرة. اعتبرت الحادثة سوء تفاهم خلال الانتخابات النيابية ولامت السلطات فرنجية. هذه المحاولة الفاشلة جعلت حبيقة غاضباً جداً وقال لمعوض بحضوري: «سننتظر الفرصة المناسبة لننتهي منه نهائياً».

مدعوماً بحصانته النيابية، وبرجاله وحلفائه السوريين، مارس حبيقة جميع الأعمال القذرة من اغتيالات وتفجيرات وابتزازات وعمليات اختطاف.

خلال فترة خلاف جعجع وعون الذي أعلن نفسه قائداً على مناطق واسعة من المنطقة الشرقية، عاد حبيقة مع الوقت إلى المناطق التي كان مبعداً عنها، أعطانا عون حق التجوّل بحرية في كل مناطق نفوذه. في هذه الفترة العصيبة، كان حبيقة يوسّع نشاطه الإجرامي إذ كان واثقاً بأنه لن يلام بسبب الفوضى العارمة في المنطقة.

أستطيع أن أتحدّث بتفاصيل كثيرة حول عمليات الاختطاف التي قام بها بهذه الفترة فقد كنت ساعده الأيمن والمنفذ وكاتم أسراره. عون كان بحاجة إليه، والسوريون يدعمونه. سكن حبيقة في بيروت

الغربية في مبنى السرابي وكان جاره رستم الغزالي الذي أقام معه علاقة صداقة وهو ضابط في المخابرات السورية ظن حبيقة أنه يملك العالم.

أراد حبيقة أن يختطف رفيق أبو صالح وهو رجل غني جداً صاحب أملاك من كسروان. عند وصولنا إلى منزله في أدما وكنا نرتدي ثياب عسكرية للجيش اللبناني كان أبو صالح قد علم بالأمر وهرب إلى قبرص قبل ساعتين.

وجاء دور أدمون عساف رجل غني أيضاً وكان يغدق علينا الهدايا حين كنا معه في الأشرفية ولكن حبيقة قال لي أن أدمون عساف يدين بمبلغ كبير من المال لرينيه معوّض وبعد الضغط عليه وإرعاب عائلته.

والتعذيب دفع مبلغ ٢٠٠ ألف دولار، وأعيد إلى رينيه معوض في منزل وجدي معوض واستولى حبيقة على يخته Cigarette وكتب عليه H.K.

طلب معوض من حبيقة اختطاف صاحب محلات Le Baron وهو مواطن أرمني من برج حمّود الذي كان يملك عدّة محلات تجارية في الكسليك، بالمشاركة مع مايك نصّار فاختطفته وكالعادة دفعت الفدية.
وكان حبيقة كلما أراد ابتزاز أحد أمرني بالقيام بالواجب وتمّ اختطاف روجيه كرم وهو ضابط في شرطة القوات اللبنانية وهو صديق لحبيقة عندما كان حبيقة قائد الأمن والمخابرات في القوات، والذي أصبح غنياً ويملك عدة شاليهات في منطقة فقرا اختطفناه من منزله في الربوة النقاش إلى زحلة حيث ضغطنا عليه كثيراً وأطلقنا النار عنيه إلى أن أغمي عليه فطلبنا الطبيب الذي نصحنا بضرورة نقله إلى المستشفى

قبل أن يموت في هذا المكان عند سماع هذا الخبر ذعر حبيقة فأمرني بتركه على حالته فتعافى وهو يعيش الآن في الأشرفية وكان حبيقة قد خطط للاستيلاء من روجيه كرم على أكثر من مليون دولار بعد هذا الفشل. أمرني حبيقة باختطاف إبراهيم أبو ديوان الذي يملك محطة للوقود في سن الفيل مقابل بن نجار وكان يتاجر بالأسلحة أوكلنا مهمة المراقبة إلى سمعان حبيقة قريب العائلة الذي كان ضابطاً في الأمن العام ولكن هذا الأخير أوقع بنا. فطوّقتنا شرطة عون ومخابرات الجيش لأني أملك رخصة لتسهيل المرور منه شخصياً وقد استعملت هذا الترخيص لخطف المواطنين. على أثر ذلك الحادث اختفيت فترة عن الأنظار بقي أبو ديوان تحت المراقبة من قبل السوريين ثم وفي أحد الشعانين عندما كان أبو ديوان في كنيسة مار تقلا في الحازمية اختطف من قبل مجموعة سورية بقيادة الضابط درغام ونقل إلى الشام وسجن لمدّة سنة ونصف ثم أطلق سراحه بعد أن دفع مبلغاً كبيراً من المال.

أحداث كثيرة توالت تؤكد مدى العلاقات الحميمة التي كانت تجمع معلّمي والسوريين. الضحية التالية كان رأس المجمّع اليهودي في لبنان ألبير طنبلاي وهنا أيضاً وصل إليه السوريون قبل حبيقة وخطفوه في ضهور الشوير تحت مراقبة أسعد حردان والحزب السوري القومي الاجتماعي وبعد أن اقتيد إلى الشام دفع أكثر من مليون دولار فأطلق سراحه وهو نصف ميت. واستولى جوزيف الأسمر على سيارته المرسيدس 500 المصفّحة ومن ثم بيعت إلى أسطفان الدويهي بواسطة جو عقل. وحُملت مسؤولية هذا

الاختطاف. هكذا كانت مبادئ حبيقة يجعل غيره يقوم بالأعمال القذرة عنه دون أن يلطخ هو صورته ودون أي مقابل لا بل كان يهدّدهم بالقتل. صحيح بأن حبيقة كان حليف السوريين ولكن في جميع أعماله كان عدد من الضباط والمسؤولين اللبنانية يدعمونه مثل الضابط بشارة سالم والتي كانت مهمته تغطية كل الجرائم، الضابط عصام أبو زكي الذي كان يرأس مكتب مكافحة المخدرات وسليم سليم ضابط آخر. والقضاة منيف عويدات وسعيد ميرزا.

حبيقة يخون عون

العديد من الزعماء المسيحيين ارتكبوا أعمال إجرامية ويحملون مسؤولية أضعاف المجتمع المسيحي ولكن حبيقة كان البطل دون منازع لهذه الأعمال الإجرامية وهذا ما يفسّر اختيارنا مقاطعة التسلسل الأحداث لجمع أحداث متشابهة كالاختطاف.

ولنعود الآن إلى المرحلة العصيبة والمؤلمة من الحرب اللبنانية وهي الحرب بين جعجع من جهة وعون وحبيقة من جهة أخرى. ثلاثي شيطاني حوّل الأراضي اللبنانية إلى مثلث برمودا حقيقي، تقاتلهم الضاري كان كارثة على القضية اللبنانية.

في الرابع عشر من آذار العام ١٩٨٩ أعلن الجنرال ميشال عون حرب التحرير ضد السوريين بدعم فلسطيني وعراقي. لكنه لم يأخذ حذره من جعجع. القتال ضد سوريا واضطر جعجع اتباعه رغماً عنه. كأن يأمل الحكيم بالاستفادة من هذه المعركة للتخلّص نهائياً من عون. كان متأكداً من خسارة هذا الأخير في المعركة التي سوف تدمره. وكان حبيقة ينتظر الوقت المناسب ليضرب. ومرّة جديدة كان

المسيحيين بين زعيمين يتقاتلان للسيطرة. تكتيك جعجع كان بسيطاً:
سوف يجعل الجميع يعتقد بأنه سيشارك في حرب التحرير، بانتظار أن
يقوّض طموحات عون. كان الرأي العام يدعم قرار عون الذي
استطاع إرغام الجيش السوري على التراجع في معركة سوق الغرب
في ١٣ آب ١٩٨٩ وازدادت شعبيته.

وحظي الجنرال عون بأكثرية المجتمع المسيحي وكان ذلك على
حساب جعجع الذي تخلى عنه بعض أنصاره. وفاز عون بدعم
الشعب المسيحي وبدعم قادة أمثال داني شمعون فؤاد أبو ناضر الذي
دعموا في فترة ما جعجع رغماً عنهم. الكلّ دعمه حتى عائلة الجميّل
وذهبت أرملة الشيخ بيار الجميّل جنفياف إلى بعبدا للتعبير عن
مساندتهم لعون. مما دفع جعجع إلى تغذية حقده على أخيه الذي
اعتبره عدّوه ولم يحاول إخفاء هذه الكراهية وقرّر عدم المشاركة في
معركته ضد السوريين. وكان الردّ الإجرامي لدمشق سريعاً. فتعرّضت
المناطق المسيحية لقصف عنيف. الخطر والموت عمّا جميع
المناطق، الملاجئ عجّت بالمدنيين مستمعين إلى الإذاعات التي
كانت تبث موسيقى عسكرية تقطعها من حين لآخر ملحقات إخبارية
تتحدّث عن تطوّر الوضع والخسائر المادية والإنسانية. وتناسى الناس
أخطاء عون فكانوا يعلنون: «صحيح أننا نختبئ كالفئران ولكن فليحيا
الجنرال عون الذي يدافع من أجل سيادتنا الوطنية ومن أجل تحريرنا.
قتل في هذه الحرب أكثر من ألف مدني أكثر من عشرون ألف منزل
دمر وغادر معظم سكان المنطقة إلى قبرص. واستمرت الحرب
وارتفعت ضحاياها وفي هذا الإعصار قدّم حبيقة خدماته لعون، الذي

قبل خدماته دون أن يشك للحظة بأن السوريون هم الذين أعطوه
الضوء الأخضر لينقض عليه.

في منتصف صيف ١٩٨٩، في عز الجحيم، اقتاد الأمريكيون
النواب المنتخبين من حوالي ٢٣ سنة إلى مدينة الطائف كان النواب
الموارنة المرتشون والمستفيدون من تسليم لبنان إلى سوريا هم أول
من وقّع على اتفاق الطائف ثم حذا حذوهم النواب المسلمون.
مصدمون من استسلام الموارنة اضطروا هم أيضاً للاستسلام فمدافع
السوريين الموّجهة عليهم. آخر حلقة من المؤامرة وتحت ستار الإنقاذ
كان قد وحوكم عون.

بعض المسيحيون أدركوا بأن سقوط عون معناه عودة الميليشيات
والعصابات. فخاف المسيحيون على مصيرهم. أحس جعجع بالقوّة
وكان يملك كل شيء في المنطقة ويلزمه منصب وزاري في النظام
الجديد فبعث نادر سكر للقيام باتصالات سِرّية مع غازي كنعان لتأمين
ذلك. وبدل أن يكون جعجع في المعركة مع عون ضد السوريين كان
يطلق من حين إلى آخر مدافعه ولكن ليس على السوريين.

ومن ٢٣ تشرين أول ١٩٨٩ لغاية ٣١ كانون ثانِ ١٩٩٠ أصبح
عون قوي بالمساندة الشعبية استطاع الصمود. لكن المؤامرات كانت
تتوالى. مدفوعاً من الأمريكيين والسوريين ابتدأ سمير جعجع هجومه
واندلعت إحدى أشرس المعارك في صفوف المسيحيين. كان جعجع
منتصراً في البداية إذا كان جيشه قد استولى على مراكز الجيش اللبناني
في عمشيت وصربا وصفرا وحالات وجونية.

على أثر ذلك قتل مجموعة كبيرة من الضباط في الجيش خاصة

في مركز عمشيت. في المقابل استولى عون على عين الرمانة. قلعة
الصمود، اسم أطلقه عليها بشير الجميّل. في التاسع من نيسان أعلن
جعجع بأنه يؤيد الطائف وأنه سيسّلم كل مؤسساته إلى السلطات
الدستورية وكان الياس الهراوي قد أصبح رئيساً للجمهورية. وكان
للخبر وقع الصاعقة ووقع عون في فخ واستنجد بحبيقة وحتى بوليد
جنبلاط. وأحكم السوريون الفخ. وهنا تدّخل حبيقة وقدّم للسوريين
خدمة كبيرة جداً. خلال فترة حرب الإلغاء قام حبيقة بدور فعّال إذ
كان عون يثق به وكان حبيقة يريد إقامة علاقات أفضل مع سوريا فقام
بالاتصالات كل من جان غانم وفايز قزي. فبعث الجنرال ثلاثة من
ضباطه إلى منزل حبيقة في الغربية ثم اقتيدوا إلى منطقة تحت حماية
سورية لتصوير المناطق العسكرية التابعة للقوات اللبنانية في السوديكو
والأشرفية وفي ضهور الشوير إلى القليعات في كسروان. وكان حبيقة
يمدّ الجنرال بالوقود وصواريخ ١٣٠ملم والمضحك في الأمر بأن
عون الذي كان يريد طرد المحتل السوري تعاون معهم بوساطة حبيقة
لإلغاء القوات اللبنانية. وحبيقة مع أنه ماروني كان يخطط لإرسال
عون إلى الغربية وكان حبيقة يتردّد كثيراً إلى بعبدا ليجري لقاءات مع
الجنرال. أتذكر عندما مررنا بمعبر الدوار إلى بعبدات بمرافقة العقيد
شهاب. وكنا نمر عبر بيت مري، عين سعادة والحازمية. بالنسبة لي
كنت مندهشاً من رؤية مقاتل على رأس جيش نظامي، كيف يضع
حياته وحياة كل المسيحيين في يد حبيقة هذا الرجل الذي لم يكن
لديه لا مبدأ ولا إيمان.

لم يكن الجنرال عون موفقاً بضباطه، لقد خانوه فقد غُدر من

أقرب الضباط المقدم جورج حبيقة قائد المصالح في بدارو وهو قريب
إيلي حبيقة قدّم معلومات لوجستية عن جيش عون إلى السوريين عبر
غابي نصار الذي كان يتسلّل من ممر عسكري يدعى سكة المصالح
ويسّلم المعلومات إلى الجنرال علي ديب، موظف القوات السورية
في لبنان وإلى غازي كنعان. قائد فوج المغاوير جهاد شاهين تخلّى
كذلك عن عون والتحق بحبيقة وأعطاه معلومات عن قاعدة رومية هذه
الخرائط والمعلومات سُلّمت فوراً إلى علي ديب واستقدم حبيقة أحد
ضباطه السابقين على حريّك الذي كان قد هاجر إلى الولايات
المتحدة. وهو المهندس الذي ضبط المدفعية لإصابة عدّة مواقع
حيوية لعون وجعجع مثل خزانات الوقود في الدورة. وغطت سحابة
سوداء العاصمة بيروت.

وابتدأت مخططات حبيقة تعطي ثمارها. وأمر إبراهيم حدّاد
المعروف بـ«بوبا» مرافق جينا زوجة حبيقة استقدام صواريخ ميلان من
زحلة. وفجرّ هوائي القناة الخامسة لتلفزيون عون في برج رزق كما
فجرّ هوائي صوت لبنان. خلال هذه الفترة، كنت وحبيقة والعميد
علي ديب نراقب المعارك من برج المرّ من خلال مناظير خاصة ومن
هنا ازداد شغف حبيقة بالمنظار والتليسكوب الذي يستعمله للتلصص
على النساء وكان يرسلني إلى فرنسا وأمريكا لشراء الأحدث.

اليوم هنا في منفاي ووحدتي، أحمّر خجلاً من فكرة أننا خدمنا
حبيقة وجعلناه يمرغ القضية المسيحية في الوحل. بعد كل اجتماع مع
عون كان يسرع إلى منطقة المشرفية لإعطاء علي ديب تقريره. ومن
هنا قاد الهجوم الأخير على عون وعلى الشعب المسيحي.

على السوريين ودون أي شك أن يرجعوا انتصارهم في ١٣ تشرين أول ١٩٩٠ لحبيقة هذا الماروني اللبناني الذي لم يكن يعمل إلاّ من أجل مصلحته الخاصة. بالنسبة لنا لم نكن سوى أدوات. تلقينا غسيل دماغ وأصبحنا دمى وكنا ننفّذ دون أن نعترض.

«كونوا خونه لكي تدافعوا عن حقوق المسيحيين». كانت هذه هي الأوامر الجديدة وداعاً أيتها الديمقراطية، أيها الشهداء أيتها الحرية. كنا نشمّ رائحة الخيانة مصطفى طلاس أخذ النصر والرئيس الهراوي كان صداه. وأدرك الشعب المسيحي بأن جعجع خانهم. وعلم حبيقة بأن ساعة القطاف قد حانت.

في ١٣ تشرين الأول العام ١٩٩٠ في تمام الساعة السابعة وخمس دقائق قام الطيران الحربي السوري بواسطة طائرات سوخوي الروسية الصنع بغارة جوية على وزارة الدفاع وقصر بعبدا فيما قصفت مدفعية القوات اللبنانية من الأشرفية قواعد الجنرال عون والمناطق الآهلة بالسكان. أيقن عون خسارته للمعركة. ضوء أخضر أمريكي هو الذي سمح للمحتل السوري بالقيام بمثل هذه العملية. المجال الجوي اللبناني منذ ١٦ سنة مراقب من الإسرائيليين. السوريون تحرّكوا بناء على مباركة دولية. دامت الغارة ١٣ دقيقة. وطلب حبيقة من علي ديب القيام بغارة ثانية ولكن هذا الأخير رفض. بعد ساعة من بدء الغارة كان الجنرال قد غادر القصر إلى السفارة الفرنسية في آلية مصفحة حيث كان ينتظره رينيه آلام. ثم تبع الغارة توّغل قوات حافظ الأسد الخاصة إلى قصر بعبدا. سبق دخول هذه القوات العسكرية دخول رجال حبيقة بثياب مدنية حاملين شارات بيضاء عليها دائرة

صفراء وذلك لتأمين دخول حبيقة والسوريين. في الساعة العاشرة اتصل النقيب رياض قائد هذه القوات المتوّغلة إلى القصر بالعميد علي لتأكيد وصوله إلى القصر حيث كان جالساً في مكتب عون وعلى كرسيه الخاص. عند ذلك أعطاه فرصة حتى الثالثة من بعد الظهر لنهب كل ما يستطيعه من القصر. خلال هذه الفترة كنت وحبيقة في مقر الجيش السوري حيث سمعت العميد يقول له. «لولا الرجوع إلى التوقيت الشتوي، لما استطاع الجيش السوري بكامله الدخول إلى المناطق المسيحية ثم وتعليقاً على هذا الموضوع سمعت إشاعات مفادها أنه لو بقي الجنرال عون صامداً في القصر لمدة ساعة إضافية لكان تغيّرت موازين القوى في المنطقة وتغيّر مدّ الهجوم السوري لأنه في ضهر الوحش حصلت هناك مجازر كبيرة في صفوف الجيش السوري لأن ضباط جيش عون أكملوا المقاومة بالرغم من أمر الجنرال بوقف إطلاق النار. في الساعة الثالثة كنت وإيلي حبيقة والعميد علي في المصفحة على رأس القافلة المتوجهة إلى القصر وكان معنا كابي وبوبو في هذه الدبابة على طريق الحدث رأينا مجموعة من حزب الله جاهزين للدخول إلى المناطق المسيحية وسرعان ما سمعنا أن أحد ضباط حبيقة وهو عبدو سعادة المعروف بكرهه للمسلمين والسوريين كان قد التقى بمعركة دامية مع هؤلاء المسلمين في منطقة الحدث مما أدّى إلى قتل ١١ مقاتلاً منهم. عند ذلك أمر حبيقة سعادة بوقف إطلاق النار وإخلاء المنطقة بأمر من السوريين.

عند وصولنا إلى القصر أمرني حبيقة بكشف المبنى. حيث جلس

مع العميد في أحد مكاتب القصر للتحدّث وأثناء قيامي بالكشف
سمعت صراخاً من أحد المكاتب وعند دخولي رأيت زوجة الجنرال
عون وبناتها وزوجة عصام أبو جمرة والنقيب أبو رزق محتجزين
داخل المكتب وكان رجال محسن سلمان يحاولون اغتصاب النساء.
عندما رأت ابنة الجنرال عون ثيابي المدنية الغربية وسلاحي الغربي
علمت أنني لبناني فهرعت لطلب النجدة مني. عندئذ أمرت السوريين
بمغادرة الغرفة. وأقفلت الباب ووضعت عليه حارساً وركضت نحو
حبيقة والعميد علي للإفادة. وفي الغرفة تعرّف هؤلاء على حبيقة
وطلبوا منه المساعدة فهرع العميد علي وقال: «أن الجنرال عون رجل
شريف وسرعان ما ستنقلون إليه» عندئذ عرفت بأن العميد علي يتمتع
بشهامة وشرف أكثر من الرئيس حبيقة. نقلت عائلات الضباط إلى
السفارة الفرنسية بسيارتين رانج روفر واحدة (لويس كرم والأخرى
لإيلي حبيقة) الذي أوصلهم شخصياً أما أنا فبقيت في القصر لمتابعة
كشفي. كان هذا مروعاً رأيت أكثر من ٥٠ ضابطاً في الجيش اللبناني
مقتولين عراة على الأرض وفي غرفة أخرى وجدت أربعة نساء وكانت
بينهم «كندا الياس» الناطقة باسم عون ومعها رجلاً بحالة صدمة
فأمرت أحد رجالي المدعو يويو بنقلهم إلى عين الرمانة ثم وجدت
النقيب عبد النور النقيب البطل الذي وبالرغم من وقف إطلاق النار
كان يحارب ببطولة فأخذته أيضاً إلى عين الرمانة.. في هذه اللحظات
تذكرت أنه قبل هذه الحادثة بثمانية أعوام وخلال مجازر صبرا وشاتيلا
كان حبيقة رجل الإسرائيليين وأنا كوبرا الصديق الوفي للجنرال
شارون. عندئذ احتفظ المسيحيون بالرغم من خسارة بشير برأسهم
عالياً. كانوا يبكون زعيمهم الكبير، الرئيس المنتخب الأمل والحلم،

هكذا كانوا يحبون مناداته. وقد بقيت مناطقهم محرّرة من كل تواجد
سوري فلسطيني أو مسلمين أجانب كحزب الله الإيراني يا لهذا
التحوّل؟ لم أستطع أن أتمالك نفسي أن أتساءل حول مصير
المسيحيين هل هذه هي نهايتهم؟ سيصبحون ممسحة تحت أقدام
الغزاة السوريين للحصول على السلطة؟ كنت متعباً كثيراً، وليس
عندي القدرة على إيجاد الأجوبة. ولكن بعد مرور أعوام وجدت
الأجوبة وتلقيتهم كالصفعة.

بعد عدّة ساعات، وجدت نفسي أمام ضابط سوري يفتش في
حقيبة موضوعة على مكتب الكابتن أبو رزق فاقتربت وعند رؤيتي
لأوراق نقدية لبنانية على الأقل خمسة أو ست مليون ليرة أي ما يعادل
سته وعشرون ألف دولار فقدت أعصابي وصرخت في وجهه: «لا
تلمس شيء، ابتعد» وعندما حاول أن يهجم عليّ، أخبرته بأنني
أعمل تحت أمرة علي ديب مباشرة. خافَ وأعطاني الحقيبة التي
سلّمتها لاحقاً إلى الجنرال ديب. نزلت إلى المرآب حيث السيارات
وبحوزتي كل المفاتيح والتي أعطاني إياها ميشال أبو رزق. وبعكس
ما اعتقدت لم يختبأ أحد فيه، لا يوجد سوى سيارات جديدة أغلبيتها
مصفّحة وتولّيت مهمة نقل هذه السيارات من القصر الجمهوري إلى
مبنى الذي يتواجد فيه السوريون الكائن مقابل شقة حبيقة في بيروت
الشرقية كنت الوحيد المسموح له بقيادة هذه السيارات المسروقة من
القصر وإيداعها في هذا المبنى. وفي هذه الأثناء كان أحد رجالي
يقود سيارتي

أتى اقتسام الغنائم لاحقاً تحت إشراف إيلي حبيقة وكان على

الشكل التالي: سيارة عون المصفحة B.M.W كحلية أصبحت لأسعد شفتري سيارة مرسيدس رصاصية اللون ومصفحة لرودي إدوارد بارودي، سيارة رانج روڤر بيضاء وسيارتي bloger مصفحتان سلّمتا للعماد إميل لحود في المسبح العسكري في الروشة، سيارتيّ رانج روڤر للعميد علي ديب. وبوڤريل حصل على B.M.W ٥٢٨ رصاصية اللون أما الأوراق الثبوتية الجديدة لهذه السيارات المسروقة فاهتم بها ضابط سني في الجمارك في مطار بيروت يدعى كمال تنير. وبقيت هذه الأوراق المزوّرة معي. بعد إيداعي للسيارات التسع في مكان آمن عدت إلى بعبدا وانتظرت حبيقة الذي عاد فجراً من السفارة الفرنسية فرافقته إلى منزله في بيروت الغربية. منهكاً من التعب، غفوت بينما كنت جالساً على مقعداً في الصالون. وعندما استيقظت طلب مني حبيقة تحضير متفجرات لفتح خزنة عون، وعند وصولي إلى بعبدا وجدت عقيداً مرسلاً من قبل الجنرال لحوّد، والذي أخبرني بأن قصر بعبدا أصبح بعهدة الجيش اللبناني. اتصلت فوراً بالجنرال علي ديب الذي قال أن السلطات السورية لم تعط إذناً للعماد لحود بالدخول إلى قصر بعبدا ولا لوزارة الدفاع إلا بعد ٤٨ ساعة. وكان هذا الوقت كافياً لإخلاء المضبوطات والمعلومات الضرورية. لم يستطع حبيقة فتح الخزنة. ولكن الجنرال علي ديب سمح له بأخذ كل أجهزة الكمبيوتر الموجودة في القصر ونقلهم إلى زحلة. وعند وصولي إلى الصالة، أدركت بأن العسكريين السوريين الجهلة والأغبياء، ارتكبوا غلطة خرّبت هذه الأجهزة وأدّت إلى حرقها.

ذهبت في جولة استطلاع مع حبيقة إلى بلدات كفرشيما وبعبدا

حيث اكتشفنا ٢٠٠ عسكري من قوات جعجع كانوا قد أُسروا ووضعوا في أحد المدارس فاستفاد حبيقة من الفرصة وأخرجهم وطلب منهم مرافقتنا لكنهم رفضوا وطلبوا منه السماح لهم بالعودة إلى عائلاتهم في المناطق التي تحت سيطرة الحكيم هويات ضباط الجيش اللبناني التابعين لعون والذين قتلوا عُرفت. علمت لاحقاً بأن ضابط اللواء العاشر مخول حكمة كان قد قاوم بشجاعة مما دفع السوريون للقول بأنهم يريدون قتله حتى لو استسلم. ولم يستسلم وقتل معظم جنوده، كما قتل النقيب بيار طنوس ومائة من رجاله في ضهر الوحش والملازم الأول سرحال ورجاله عند كنيسة الحدث والضابط جورج زغرب وأربعة من رجاله. كان إيلي حبيقة مستمتعاً برؤية هذه المجازر، أخذته نشوة النصر والسلطة أعتقد بأنه سيبقى خالداً.

الفصل الثاني والعشرين

داني؟ وعائلته أيضاً؟

اتضح لي مرة أخرى، أنه ما من مجزرة في لبنان إلاّ ولحبيقة اليد الطولى بها، لم يكترث يوماً لأحد كلّ همّه كان مصلحته الشخصية وربما تحت هذه الحجة قُتل داني شمعون وعائلته. داني الابن الثاني لكميل شمعون، شخصية موهوبة ومدعومة من عون كان زعيم مسيحي أراد التخلّص منه. فقبل يومين من المجزرة في تشرين الأول ١٩٩١، طلب مني حبيقة التوّجه إلى منزل داني شمعون في بعبدا في سنتر شاهين وآخذ موعد لمقابلته. فاستقبلني سكرتيره الخاص جورج سرسق طلب مني الانتظار ريثما ينزل داني من الطابق الرابع الذي يسكن فيه لأنه يفضّل أن يلتقي بي في الطابق الأول مع مرافقه بوب من عين الرمانة، جريح حرب، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يدحض أقوالي بأن داني شمعون لم يطلب أن يقابل حبيقة. وكان حبيقة حاول أن ينشر هذه الإشاعة. وافق شمعون على مقابلة H.K في اليوم التالي في الساعة العاشرة. وكنت قد دّونت ملاحظات عن كيفية تأمين حراسته. ولم يخفِ حبيقة سروره عند معرفته بأن لا يوجد لديه سوى

أربعة حرس ثلاثة عند المدخل وآخر في السيارة معه دون سلاح ظاهر. في اليوم التالي، ذهبنا أنا وحبيقة إلى الاجتماع وقاد السيارة حالاجيان، جلس حبيقة في المقعد الإمامي بينما جلست مع بورڤيل في المقعد الخلفي أسلحتنا في يدنا. استقبل حبيقة ببرودة، ثم دخل الرجلان إلى المكتب ودام اجتماعهما حتى العاشرة والنصف في هذا الوقت كنا نراقب. وتأكدنا من عدد الحرس ومواقعهم. بعد انتهاء الاجتماع عدنا إلى بيروت، وتوّجهنا فوراً إلى مكتب الاغتيالات الكائن قرب فندق بوريفاج بقي حبيقة في الداخل لمدّة ساعة ثم خرج، بينما كنا ننتظر في السيارة.

في اليوم التالي سمعت الخبر من الإذاعة بنشرة الساعة السابعة والربع بأن داني شمعون وعائلته قد قتلوا. هرعت إلى حبيقة وقلت له بأن داني شمعون قد اغتيل هو وعائلته. فسألني حبيقة ثلاث مرات متتالية وعائلته أيضاً.

كان يعلم بأن داني شمعون سيقتل مع عائلته لأنه هو الذي وضع المخطط من مكتب الاغتيالات السوري وأذكر أن حبيقة لم يغادر المنزل ذلك اليوم إلا بعد الظهر حيث غادر إلى مقر قيادة السوريين في الرملة البيضاء خلف فندق البوريڤاج والسمرلاند المنطقة كانت مجاورة للقصر الرئيس الياس الهراوي والذي كانت تملكه بهية الحريري. نشرت إحدى الصحف الفرنسية عن عون بأن مرتكبي هذه الجريمة هم رجال مدعومين من سوريا وحدّد بأن الضابط السوري جهاد صفاطلي من مكتب الجريمة هو الذي نفذّ هذه المهمة مع مجموعته إنطلقت من فندق كومفورت في الحازمية.

أزيح داني شمعون لأنه كان القائد الوحيد والأخير الممكن أن يتابع مسيرة عون. سمير جعجع أصبح خارج اللعبة لقد خسر شعبيته. أن تصفية داني خدمة للسوريين الذين أرادوا بذلك أن يخضع المسيحيين وخدمة حبيقة لأنه لم يعد له منافس.

جهاد صفاطلي هو المسؤول عن اغتيال الرئيس رينيه معوّض الذي رفض الخضوع لسوريا وخاصة لمطالب خدّام وبعد عملية الاغتيال حضر إلى بيروت خبراء ألمان سنة ١٩٩٥ يفحصوا بقايا السيارة المرسيدس المصفحة لكنهم لم يجدوا أي أثر محي كل شيء لإخفاء الجريمة.

أعلن بعد إظهار كل هذه الحقائق الواضحة، لدوري شمعون الذي اتهمني، فأنا لم أكن سوى منفذ لأوامر أسيادي. وبدل أن يتهمني عليه طلب أعادة التحقيق وخاصة هو الذي عنده ثقة بالعدالة اللبنانية، عليه أن يسأل:

- هل من المنطقي بأن مجموعة من القتلة لديهم أجهزة وأسلحة متطوّرة بهذا الشكل أن تنسى جهاز اللاسلكي في مكان الحادث؟
- من أعطى أوامر إبعاد الحرس عن المنزل.
- من كان يستطيع الدخول إلى بعبدا فالقوات السورية كانت تحاصر المنطقة ولا أحد يستطيع التنقل في المتن الجنوبي سوى رجال حبيقة الحاصلين على تصاريح مرور من السوريين؟

هل يعلم رئيس بلدية دير القمر بأن رجال حبيقة باستطاعتهم الحصول على لباس الجيش وتنفيذ عملياتهم على أنهم من الجيش

والعديد من العمليات تمّ تنفيذها هكذا فلخطف رفيق أبو صالح، ألبس شارل حبيقة رجاله اللباس الرسمي للجيش اللبناني وكان السائق يضع على كتفه إشارات ضابط.

هل يعلم دوري شمعون بأن السوريين يملكون العديد من الأسلحة التي حصلوا عليها من ثكنات القوات اللبنانية وباستطاعتهم استعمالها والقول بأن القوات هي التي اقترفت هذه الجريمة.

والبرهان على ذلك العملية التي قمت بها ضد ميشال المرّ بطلب من حبيقة وقد استهدفته بعبوة في اليرزة، وكل ذلك لكي يُتهم القوات.

لست من مناصري ولا المدافعين عن جعجع الذي اقترف جرائم عديدة ضد شباب الأمن. ولكن هل أستطيع أن أسأل دوري شمعون لماذا أخذ القاضي منيف عويدات مبلغ ٢٠٠ ألف دولار من حبيقة قبل صدور حكم الإعدام على جعجع. رينيه كعدو معوض قال لي بأن هذا المبلغ هو لحفر قبر سمير جعجع وإبقاءه في السجن.

الفصل الثالث والعشرون

حبيقة يختلس من أجل السوريين

الحرب انتهت. حكومة جديدة وُلدت من الحطام والدمار والجثث. أصحاب اللعبة وأسياد الحرب حصلوا على ما يريدون حقق حبيقة للسوريين حلمهم كما حقق هو أحلامه بالسيطرة والقوة. أصبح حبيقة وزير دولة في حكومة عمر كرامي وسرعان ما أصبح رفيق الحريري رئيس حكومة وبقي حبيقة في الحكومة كوزير للشؤون الاجتماعية. بعد ذلك أصبح حبيقة يهتم بشؤون كبرى من تزوير واختلاس أموال وكنا نحن ننفّذ أعماله. وأصبح تزوير واختلاس أموال شركات التأمين عمل حبيقة واختص بذلك لأنه كان لديه معظم الوقت. إذ كان نادراً ما يذهب إلى الوزارة أنا الآن أعلن على هذا لأنني أريد للعدالة أن تأخذ مجراها.

فحبيقة لديه مخططات أكبر وهي الوصول إلى رئاسة الجمهورية وحذف ما بقي ممن المجتمع المسيحي في لبنان أما نحن رجاله لم يكن بوسعنا الاعتراض كنا نرى ما يحصل لكنه كان قد ربطنا به فكلما أردنا الهروب كان يهددنا.

بعد أن أزاح عون وجعجع وبقي هو القائد المسيحي، رجع إلى المنطقة الشرقية واستأجر له رودي بارودي مرافقه وصديقه، شقة فخمة في مارتقلا الحازمية في نفس البناية مع العميد السوري علي ديب ولكن سرعان ما بدأت المشاكل بينهما بعد أن بدأ حبيقة يأخذ راحته مع العميد علي بالكلام والشتم، معتقداً بأنه يستطيع فعل وقول ما يريد فشتم في إحدى المرات باسل حافظ الأسد الذي توفي لاحقاً بحادث سيارة والذي كان أحد ضباط الجيش السوري فغضب العميد وطرده وطلب من حبيقة عدم العودة فهم حبيقة الرسالة ونقل سكنه. دفع ثمن المنزل من مال الوزارة على اسم فادي سعد ساروفيم. عام ١٩٩١ عندما كان حبيقة وزير دولة طلب مني تسجيل يخت «هوك» باسم أخي وكان هذا اليخت قد أُخذ من جعجع في الانتفاضة. بعد ذلك طلب من أرمني تأمين اليخت على يد ريشار سرور في شركة أنكوم للتأمين. ومن ثم طلب افتعال حادث حريق. قبض من خلاله مبلغ مائة وخمسون ألف دولار أهداهم لزوجته جينا. وهكذا كانت مافيا حبيقة ورينيه معوض تتوسّع بمساعدة وسيط ثالث هو ريشار سرور.

عندما كان في بيروت الغربية، أراد دخول عالم السياسة فاستحدث حزب الوعد قائلاً: «إنه وطني علماني وديمقراطي يشمل جميع اللبنانيين». ولكن هدفه كان الاستيلاء على حزب الكتائب فسرق منهم عقاراً في جبيل ومالاً من صندوق الحزب وأقيم أول اجتماع للحزب في منزله انتخب نفسه رئيساً وأسعد شفتري نائب الرئيس. أما أعضاء المجلس السياسي للحزب كانوا: أحمد مطر، ميشال رياشي، نقولا معكرون، حسان قانصوه، ريدا ياغي، أحمد

حجيلي، جورج كفوري، وحمزة أبو زيد بقي فادي ساروفيم خارج العضوية لأن حبيقة أراده ليقوم بأعماله القذرة. فساروفيم هو فلسطيني الأصل. وأتى به حبيقة ليقوم بكل الأعمال القذرة. نقطة ضعف حبيقة هو خوفه من الرأي العام وكان يهرب من كل سؤال عن ماضيه. وضحاياه صمتوا خوفاً من السوريين. ابتدأت الحملة الانتخابية سنة ١٩٩٢، إيلي حبيقة كان واثقاً من نجاحه لأن سوريا ستدعمه.

كنت أرافقه في كل الأماكن حتى الخاصة منها. كان يمضي وقته بين التشمّس أو مع النساء. ونجح حبيقة في الانتخابات كما توقّع وأصبح نائب في البرلمان اللبناني الذي كان مؤلفاً من رجال أعمال على شاكلة رفيق الحريري. وبعد خلافات داخل حزبه غُلقت الاجتماعات والجلسات ولم يبق من الحزب سوى الاسم. ظن حبيقة أن المجتمع المسيحي سينسى ماضيه الإجرامي بحقهم فأقام في الثاني من شباط ١٩٩٧ في بيروت هول مهرجاناً خطابياً لدعم سياسته لكنه لم ينجح فالمجتمع المسيحي لم ينسى بعد أفعال حبيقة وإجرامه. حلّ رفيق الحريري كرئيس للوزراء بعد عمر كرامي، وابتسم الحظ مرّة أخرى لحبيقة وعين وزيراً للشؤون الاجتماعية، عيّن نعمة كنعان وهي امرأة جميلة في منصب المديرة العامة للوزارة وكان لديه وقت فراغ كبير فعمد إلى إرضاء جميع نزواته. وكان من وقت لآخر يذهب إلى مهرجانات افتتاح جمعيات خيرية فقط لتحسين صورته ولسماع التصفيق، وعين وزير للمهجرين، وهذا ما شكّل له مصدراً جيداً لزيادة أمواله. وعيّن كمال غغالي مديراً عاماً لوزارة المهجرين ليقوم من هنالك بسرقة أموال هذه الوزارة.

كمال فغالي هذا كان عضواً فعّالاً في الحزب الشيوعي وكان وراء مقتل العديد من الأبرياء المسيحيين وكان فغالي قد سرق مطبعة جديدة لابن الجميّل وباع محتوياتها. وكان حبيقة يوهم المهجرين بأنه يسعى لحلّ مشاكلهم وبأن الجميع سيقبض في أقرب فرصة.

أربعون شخصاً من أصل ألف، حصلوا على حقوقهم. زوّر كمال فغالي تواقيع تسعمائة وستون شخصاً بمساعدة وزير الداخلية ميشال المر وحصل على مبلغ مئتان وثمان وعشرون ألف دولار.

وكان فادي ساروفيم يراقب فغالي ويريد أن يحصل على حصة حبيقة وبعد جهد جهيد استطاع حبيقة أن يأخذ حصته وفتح حساب سرّي في سويسرا لا يستطيع الاستفادة منه سوى ابنه جوزيف.

الفصل الرابع والعشرون

كهرباء لبنان البقرة الحلوب

الهيمنة، الاختلاس، المال، الأكاذيب بكل ما تعنيه هذه الكلمات تصرف حبيقه. أصبح وزيراً للكهرباء والموارد المائية عين فادي ساروفيم مديراً عاماً للوزارة وحينها ولدت عمولة العشرة في المئة. طموحاته لا تعرف حدود ولا حواجز. وتحوّل مكتبه في شركة كهرباء لبنان إلى مركز معاملات قذرة وابتزازات وكذلك إلى مكان لقاءاته مع النساء لإشباع رغباته. كان ساروفيم يسانده في كل أعماله وأعطاه حبيقة حرّية التصرّف. وكان له شريكاً جديداً وهو فادي رومانوس الذي كان يعمل مع معوض. ثم عيّن ساروفيم رئيس مجلس الإدارة وكان مؤلفاً من جان نعيمة، نزيه بريدي سايد اسطفان غيلي مغبغب وإيلي معلوف أما سمير فقد بات المدير المتقاعد. كان يتصل به يومياً ليعلّمه كل الحيل في هذه الإدارة. فادي ساروفيم تجنس مؤخراً بتوصية ميشال المر وكان على رأس كل من الاغتيالات التالية عصام عواد جورج مسعود طوني حدّاد وجورج خوند أما الآن فقد أصبح مدير عام وزارة الموارد المائية والكهربائية. ويملك عدّة

عقارات وشقق في الحازمية والتحويطة وبعبدات وكسروان والمكلس ولديه أيضاً حسابات مصرفية في بنك عودة ومصارف أخرى وقد وضع جورج بعقليني ليقوم بأعماله في شركة الكهرباء حتى العام ١٩٩٧ أصبح لساروفيم حسابات سرية في سويسرا لكنه كان يقول أن كل ذلك لعمّه في الأردن. وكذلك أصبح جورج حبيقة المدير المسؤول عن إدارة مياه المتن. أما شارل حبيقة فقد امتلك مشروعاً بقيمة سبعة ملايين دولار في عكار أما رودي بارودي فعمل في البترول مع زياد غندور مالك شركة نفطية كبرى توصل الفيول إلى معمل الذوق الحراري أما رينيه معوض فقد ترأس مع كمال فغالي سلسلة اختلاسات من شركات التأمين.

كما إنهما يملكان الشركات التالية تحت أرقام التسجيل التالية في غرفة التجارة:

٢٨٩٤٧ فغالي	٣٦٤ معوض	١٢٧٦٠ معوض
٤٦١٨٠ معوض	١٦٦٥٧ معوض	٢١٢٢٣ معوض رميشال نصّار
٥٢٥٤١ معوض وفغالي	٦٥٠٨٥ معوض	

كل شركات معوض هي لحبيقة فهو يعمل كشريك مع جورج الحاوي أمين سر حزب الشيوعي السابق وريشار سرور ممثل شركة «مارك لارنيس» للتأمين.

وفيما يلي أمثال على أعمال التزوير والاختلاس من شركات التأمين سيارة ميشال عون المرسيدس احترقت ودفعت الشركة اللبنانية السويسرية للتأمين مبلغ ١٧٠ ألف دولار وقد أحرقت أنا بنفسي مخزناً

ومستودعاً في الزلقا وقبضنا مبلغ سبعماية ألف دولار من شركة الكمال للتأمين. أما أكبر عملية من هذا النوع كانت عندما احترق مستودع الذوق الذي كان يحتوي على ألعاب بقيمة ١٧٠ ألف دولار. لكن رينيه معوض وريشار سرور زوّرا الفواتير وقبضا مبلغ مليوني دولار من شركة سابا نادر للتأمين اتصلت بشركة لويدس العالمية طالباً منهم إلغاء الدفع لأنني كنت أملك برهاناً أن الفواتير مزورة فوعدتني شركة لويدس بمبلغ عشرة بالمائة إذا اتضح الأمر. وعلم حبيقة بالأمر فأعطاني مشروعاً بقيمة ٣٥٠ ألف دولار كي أسكت وفعلت لكنني لم أحصل سوى على مائة ألف دولار. وحصل حادث، وضع حياتي في خطر لهذا هربت بعد ٢٠ عاماً من الخدمة مع حبيقة «ليسيطر كلياً على الوزارة ولإسكات الجميع استعمل حبيقة المال والنساء. فرمى فتاة اسمها دورا في أحضان جورج معوض. ومن ثم إذلال مهيب عيتاني، الذي كان يقيم علاقة مع سكرتيرته وهي صديقة مرافق حبيقة الذي فاجأهم في وضع مشبوه وأطلق النار عليهما واستطاع حبيقة إغلاق القضية.

مارون الأسمر وجوزيف حوّا طردوا من الوزارة لأنهم اعترضا تصرّفات حبيقة وأصبح الوضع سيئاً فسرقت أموال الوزارة. وكان الغطاء الهرواي والحريري وجهاد خدّام وأتذكر عندما دخل هذا الأخير في إحدى المرات قائلاً أبي يرسل لك تحياته ويسأل إذا كانت هناك مشاريع بأربع أو خمسة مليون دولار».

مدار ابن رفعت الأسد وفوّاز ابن جميل الأسد كان يديران عمليات تهريب عبر مرفأ بيروت.

الكل كان يستفيد. رينيه معوض بدأ يلعب البوكر مع العقيد مصطفى طلاس ومحمد الخولي وعدنان بلّلو، للاستفادة من بعض خدماتهم. في بلد يعاني من فقر أكثر من نصف شعبه، كان ثروة حبيقة الطائلة تزداد يوماً بعد يوم. من غير أن نتحدّث عن الأموال المودوعة في مصارف سويسرا وموناكو وحتى في أمريكا.

الفصل الخامس والعشرين

من أين هذه العبقرية؟

من أين هذا النفوذ؟

إيلي حبيقة لم يشبع أبداً، ثروته الضخمة لم تكفيه. النهب كان متعة ومفخرة بالنسبة له، الحصول أو لتملّك علاقة قوّة. هكذا هو تاريخ حياته مختارات من الفساد. كل الذي حصل عليه هو عن طريق التهديد، السلب الاحتيال أو مُنح له بعنوان رشوة. بعد عودته من رحلة شهر العسل في إسرائيل، سكن إيلي حبيقة وزوجته جينا ريمون نشاتي في شقة جديدة مقدّمة (مهداة) من الياس شرتوني. على أساس أن يكون منزل السعادة. لكنه أصبح جحيم. أمّه، بدر الريف حبيقة، وزوجته كانتا على خلاف دائماً، لا تطيق الواحدة الأخرى ومع ولادة طفلهما الأول وكانت فتاة سُميت سابين، زاد حدّة التوتر بين المرأتين. فقرّر حبيقة الانتقال ومرّة أخرى دفع الياس شرتوني نصف ثمن المنزل الجديد. واستقر الزوجين بداية في الطابق السادس من مبنى كائن خلف الملهى الليلي أكينوكس في المعاملتين. لكن سرعان ما قرّر H.K تغيير الديكور والانتقال إلى جونيه. وهنا حياته وحياتي وُصمت بعمل مخزٍ، حدث لا يحتمل ومأساوي عندما أصبح عمر

سابين سبعة أشهر مرضت. في البداية، اعتبر الأمر عادي لا أهمية له، لكن الحمى لازمتها. في هذه الأثناء كانت خادمة تهتم بها أي مدبّرة المنزل. كانت أمّها وجدّتها نادراً ما يرونها وفي كل مرّة كانتا تتشاجران.

في هذه الأثناء كان وضع سابين يزداد سوءاً. في ليلة، كان علينا نقلها إلى طوارئ مستشفى الأرثوذكس في الأشرفية. الجسم الطبي كان مشهوراً ومعدّاته حديثة ومتطوّرة. لكن البروفسور أرنت مجدلاني لم يستطيع إيقاف المرض. سابين شُلّت كلياً، كانت تحتضر مع معاناتها لآلام فظيعة. الأطباء فقدوا أي أمل بإنقاذها، وكانت الآلات والأنابيب الموصولة بجسمها الضعيف هي التي تبقيها حيّة وكان أبوها الضعيف يعبّر عن ضيقه بفورات غضب. كان حبيقة يهاجم زوجته وأمّه اللتان لا تكفّان عن المشاجرة. ولا يتوقف عن تكرار لي «علينا الصلاة لكي لا تعاني أبداً». وفي يوم وبعد شجار عنيف بين الامرأتين، أخذني على جنب وأعطاني أمر وضع نهاية لآلام ابنته. وفي المساء نفسه: نزعت عنها الآلات التي تحافظ على حياتها، كنت أطبّق القتل الرحيم، عمل إجرامي مدان من ديني والمجتمع وحدهم رينيه ك. معوض، توما سويدان وزهير صالح علموا بهذا السّر رودي بارودي لم يعلم به إلاّ عندما كنّا في زحلة.

بعد هذه الحادثة اللاأخلاقية، أكمل حبيقة حياته كأن شيء لم يحصل. تصالح مع جينا ووافق على الانتقال إلى كفرحباب حيث سكن في نفس المبنى مع ماريو سيموندس. وهنا وُلد طفله الثاني، صبي سُمي جوزيف.

ولكن منطقة كفرحباب تقع في نطاق غزير والتي يُمسك بزمام الأمور فيها رجال الياس وجوزيف الزايك مناصري أمين الجميّل وحزب الكتائب أعداؤه فشعر بعدم الأمان. فقرّر شراء شقة كبيرة في أدما من أموال القوات اللبنانية.

وهكذا يبقى قريباً من عديله رينيه. ك. معوض أسعد شفتري، رجل ماكر وبعيد النظر (ذكي) وكان حبيقة يريد وضعه تحت المراقبة فأسكنه في نفس المبنى. أتذكّر جيداً المشاجرات العنيفة بين حبيقة وبول عريس حول موضوع دفع ثمن منزله في أدما وكذلك حول قطعة أرض في جبيل مساحتها ١١٨٠٠م٢ والتي تعود ملكيتها لحزب الكتائب والمستولى عليها من القوات اللبنانية، وكذلك حول مبنى قريب من سكن كريم بقرادوني حيث يوجد فيه الصندوق الوطني للقوات اللبنانية في الأشرفية والذي كان حبيقة ينوي استعماله كمركز لحزبه «الوعد». رفض بول إرضاء رئيسي حبيقة الذي أعطاني الأمر بممارسة الضغط عليه. لم أُتعب نفسي كثيراً، أخذت سيارة بول عريس إلى مصلحة دائرة السيارات في الدكوانة وفجّرتها خوفاً من الآتي، رضخ عريس لمطالب حبيقة. نزاعات حبيقة وشفتري، كبش المحرقة، تعود إلى فترة زحلة. انتبه الشفتري بأنه مستّغل ومُبعد من قبل إيلي حبيقة، فادي ساروفيم وبول عريس، ثار لفترة وقرّر الانتقام ولكنه لم ينفّذ مع أن هذا الثلاثي عملوا ضدّه. عندما كنّا في زحلة، استطاعوا الحصول على حصص في مستشفى خوري ولكن عندما باعوها بثمن مرتفع رفضوا إعطاء الشفتري حصته. وكذلك بالنسبة لتلفزيون المشرق المموّل من روجيه تمرز والمدار من قبل زاهر

الخطيب عندما تمّ بيعه بمبلغ ٤٥٠ ألف دولار، كان حينها الشفتري يريد وضع يده على أرشيف حزب الله لبيعه لجهة غير معروفة تضع هي الثمن، فطالب بحصته. ولكن مرة أخرى جوبه بالرفض وعاد خالي الوفاض. فادي ساروفيم جمع ثروة عندما أعاد لأصحاب الملك شققهم بعد أن سلمها لنا السوريون ومن ضمنها شقة أسعد الشفتري الذي لم يحصل على أي شيء بالمقابل. تخلّى حبيقة عن مركزه في زحلة لأصحابه الأصليين مقابل ٧٥ ألف دولار. هذه التسوية توّصل إليها ساروفيم وشفتري ولكن وحده ساروفيم حصل على المبلغ ومجدداً أُبعد شفتري لم يستطع القيام بأي عمل. وهنا أدرك بأن حبيقة يستغّله ولكن لإنقاذ نفسه فضّل عدم قول شيء والتنحي جانباً. وهكذا حقق حبيقة ما كان يسعى إليه. واستطاع التخلّص من الشفتري الماكر (الفطن) دون إثارة شكوك ولم يبق إلى جانبه سوى الأغبياء (نافخي المزمار) رجال من طينة فادي ساروفيم وجان غانم يناسبونه لأنه يستطيع تملّكهم واستغلالهم والسيطرة عليهم كان يقول لي مازحاً: «إذا كان رجالي يملكون المال لن أستطيع التغلّب عليهم ولا إخضاعهم» عرف حبيقة عصره الذهبي عندما أصبح وزيراً للموارد المائية والكهربائية. فتوسعت أعماله الخاصة وخاصة مع عمولة ١٠٪ اشترى منزل مع مستودع بمساحة ٨٠٠م^2 بمبلغ مليوني دولار من ضمنه أعمال الديكور الداخلي. ما أن انتقل إليه حتى شبّ حريق في غرفة التلفزيون وسرعان ما امتدّ إلى سائر المنزل دون أن يستطيع التدّخل. لا أستطيع التأكيد إذا كانت واحدة من ألاعيب التأمين التي كان يقوم بها أو كان الأمر عرضياً. لم يهتم كثيراً للأمر، كان لديه أماكن أخرى للإقامة بها، منهم يخت ماغنوم الذي

يقدّر بـ٣ ملايين دولار راسي في A.T.C.L في الكسليك، شاليهين فخمين في فاريا المزار بقيمة ٣٠٠ ألف دولار الواحد. شاليه آخر في حالات أهداه له مايك نصّار بدفعه مبلغ مليوني دولار رهن لبنك المشرق التابع لروجيه تمرز. صرفت جينا حبيقة مبلغ ٣٠٠ألف دولار لإعادة ديكوره وهندسته الداخلية بما يرضي ذوقها. هذا ليس كل شيء إيلي حبيقة كان المالك لقطعة أرض كبيرة في بسكنتا شبروح، وكان ينوي تحويلها إلى مجمّع سياحي وقد استعملت حديثاً لإنشاء سدّ للطاقة المائية. الأرض التي يملكها في فتقا أدما تساوي مليون دولار على الأقل بالإضافة إلى ٥٠٠٠م^2 في فاريا المزار مركز للتزّلج. المليونير H.K هو شريك لطوني زغيب في شركة كمبيوتر في سان فرنسيسكو كاليفورنيا ولديه ٤٠٠ ألف دولار كأسهم في شركة تزّلج على الماء كان مايك نصار قد أعطاه إياها وهو طبيب أسنان مليونير من بلدة كفركترا في الشوف وقريب لأنطوان لحد ضابط في الجيش من جنوب لبنان.

نصّار قاتل إلى جانب سمير جعجع في حرب الجبل ولكنه تخلّى عنه بعد أن تمّ إبعاده من قبل الحكيم. واستقر في جنوب لبنان المحتل من إسرائيل وحصل على ثروة من فتحه لشركة استيراد وتصدير تهتم بتجارة الدخان والخضار والفواكه، وخاصة بتهريب الأسلحة من رومانيا. اشترى قصر كميل شمعون القديم في دير القمر، ولديه ٣٥ مليون دولار كأسهم في سوليدير مما يجعله ثالث أكبر المساهمين بعد رفيق الحريري ونبيل بستاني في هذه الشركة الموكلة إعادة إعمار بيروت مع نصّار، حصل حبيقة على الربح الكبير.

أحد معاونيه اتصل بي من سويسر ليعلمني بأن رئيسه يريد فتح علاقات مع حبيقة الذي كان وقتها وزير للمهجّرين سرعان ما اشتم حبيقة رائحة المال. ولكنه كالعادة كان حذراً، وأراد برهان على حسن النية فأرسلني لأطلب منه مبلغ ٢٥٠ ألف دولار كراتب شهري لرجاله. أعطاني مايك المبلغ نقدي وبدوري سلّمته لحبيقة. دامت هذه اللعبة ثلاثة أشهر: أخذ حبيقة المال ولم يصل ليدنا أي قرش. بالنسبة لنصّار كان ينتظر رداً من حبيقة فهو لا يريد العودة إلى لبنان خوفاً من السوريين فأعطاني أرقام الهاتف الخاصة به وبمعاونيه في سويسرا وفرنسا حيث يستطيع حبيقة ملاقاته. وذهب حبيقة لرؤيته وبعد عودته صرّح لي: «مايك لي وسأعمل على أن لا يقرب منه أحد غيري». كان عندي إحساس بأنه يتحدّث عن حيوان أو عبد. في كل الأحوال نجح حبيقة بالحصول على ما بين عشرة وخمسة عشر مليوناً منه. كالعادة لا شيء لخدّامه الأوفياء. رأيت مايك نصّار لآخر مرّة مع بداية عام ١٩٩٧، مباشرة بعد محاولته الفاشلة في أن يكون نائباً في انتخابات ١٩٩٦ وكان قد قرّر الهجرة إلى البرازيل بعد تهديد وليد جنبلاط له بالقتل إذا لم ينسحب من لائحة منافسه طلال إرسلان.

وكان قد جاء لزيارة بيروت وكالعادة ذهبت لأصطحابه من المطار إلى بدارو حيث يقيم. وفي اليوم التالي قرّر حبيقة اصطحابه إلى دمشق للقاء نائب الرئيس عبد الحليم خدّام وذلك بهدف التلاعب به. ولأول مرّة منذ خدمته، طلب مني حبيقة عدم الصعود معهما في السيارة. انزعجت وساورني الشك والريبة. كان عبد الحليم خدّام

وحبيقة قد خططا للتأثير عليه، وإظهار بأن حبيقة هو رجل الثقة لدى سوريا. عند وصولنا إلى ڤيلا خدّام في بلودان، دخل حبيقة وحده إلى المنزل. ثم خرج الرجلان بعد عشر دقائق وتمّشيا في الحديقة خدّام مرتدياً عباءة بيضاء كان يتحدّث مع رئيسي. في هذه الأثناء انتظر مايك نصّار في السيارة. لم يقابل خدّام. وعاد إلى بيروت تحت حماية حبيقة الذي أودعه بعهدة رينيه. ك. معوّض وفادي ساروفيم اللذان عملا على سلبه ماله. هذا الشخص الذي قدّم الكثير في منطقة الشوف من مساعدات للمهجّرين والمنكوبين بإعادة بناء عدّة كنائس هُدّمت خلال حرب الجبل، أصبح هو أيضاً ضحية من ضحايا حبيقة.

كان الوزير الكبير مشغولاً باقتناء السيارات ومغامراته العاطفية. كان حبيقة يملك مجموعة رائعة من السيارات الفخمة. السيارة الوحيدة التي دفع ثمنها، غير سيارة الفيات التي أهداها لجينا، كانت جاكوار جديدة والتي سّجلها باسم زوجته ودفع ثمنها بالتقسيط ليُظهر بأنه مواطن شريف (مثالي).

لكن مرآبه كان يضمّ: جيب هامر هدية من زياد غندور، أوستن مارتين موديل ١٩٨١ أهدته إياها صديقته رندة زكّا والتي استعملها رينيه. ك. معوض وكانت أوراقها المزوّرة تحمل تاريخ ١٩٨٦، جيب شيروكي أهداه له مايك نصّار، وأخيراً المرسيدس السوداء المصّفحة المسروقة من جوني عبده والتي سلّمه إياها رودي بارودي.

أعرف جيداً وعندي البرهان على ثروة حبيقة عندما كنت لا أزال أعمل معه. ولكن الذي حصل عليه بعد فراري لا أستطيع أن أضمنه أو أعرفه. رواتب رجاله الأوفياء، الذين كانوا يضحون بحياتهم في

سبيله، لم تتجاوز الـ٤٠٠ دولار شهرياً أي ما يعادل ٢٤٠٠ فرنك.
هذا هو ثمن وفائنا وتضحيتنا بنظره.

إيلي حبيقة وأمثاله الذين ساهموا في ضياعنا يعيشون حياة مقرفة تليق بمليارديري هوليود. ولكن نحن لم نكن نملك ما يعيننا لإيجار سقف لإيوائنا، ولا لنرسل أطفالنا إلى المدارس ولا ما يسّد جوعنا ولا حتى ما يساعدنا على الاستشفاء. ونسأل من أين حبيقة يملك القوّة والعبقرية؟ من الآخرين طبعاً. المعلومات، والتنسيق والعمليات العسكرية كانوا من اختصاص زاهي بستاني وجوني عبود. عندما كنّا في المناطق الشرقية، استمّد حبيقة قوّته في الشباب الأوفياء والشجعان كمارون مشعلاني ميشال زوين وجوزيف الحاج (أبو حلقة) خطبه الحماسية والمنطقية صاغها له جورج كفوري وميشال رياشي.

لو سار حبيقة بحقٍّ على خطى بشير الجميّل لما وقع لبنان تحت حكم الغريب.

القائد المحترم (الشريف)

حبيقة كان جشعاً، وليس لجشعه حدود. لذته هي في سحق كل ما يعترضه، وكلما ازداد طغيانه ابتهج كان بحاجة دائماً إلى الكثير من المال، الكثير من النساء والكثير من السلطة كان معتدي على خادمات البيوت ويسعى لتخريبها حافظ حبيقة على زواجه المتأزم منذ وفاة ابنته كواجهة. لم يكن يريد أن يخالف تقاليد المجتمع اللبناني الذي كان يعتبر أن الطلاق عار (فضيحة) خلال فترة التفاهم القصيرة التي سادت بينه وبين زوجته، أنجبت له جينا جوزيف ابنه، ولكن بعد ذلك، عاش H.K حياته الخاصة وعلاقاته العاطفية على هواه دون أخلاق ولا قيود (ضوابط) وبلا حب ولا ضمير.

كان يطلق العنان لكل رغباته خاصة بعد هزيمته سنة ١٩٨٦. استفادت جينا من هذه التسوية التي حصل عليها بعد انتصار جعجع وأقامته الجبرية في فرنسا فعاملها جيداً وجمعت ثروته من خلال تقديم بعض الخدمات له. ولكن الحكومة الفرنسية لم تكن تريد لحبيقة البقاء على أراضيها بسبب صراعاته مع الفلسطينيين وهو أيضاً كان متحمساً لإعادة نشاطاته المثمرة (المربحة) لهذا فإن إقامته لم تدم أكثر

من أسبوع. بالنسبة لجينا وابنها حلّوا بداية ضيوفاً على الحريري في سويسرا ثم عادا إلى لبنان وسكنا في زغرتا مع ماري جان معوض. لا أدّعي بأنني الوحيد الذي أعرف خلفيات هذه الحرب. ولكن الكثيرين يخافون ويتكتمون، بالنسبة لي أنا مصمّم على قول كل الحقيقة بصدق وضمير وبحوذتي صور ورسائل لإثباتها وأمام إظهار الحقائق وإفشاء أسراره وقع حبيقة في الفخ، فلم يجد مهرباً له سوى القول بأنني أمّي (جاهل) ومدمن. أنا بعيد كل البعد عن أن أكون أمّي حتى لو كنت أجهل اللغات الأجنبية. وبالنسبة لإدماني فأنا لم أتعاطى أبداً هذه القذارة التي كانت ستحرمني بالتأكيد من صفاء ذهني وحيويتي وقوتي. ولم يكن H.K سيؤمن على حياته معي لو كنت كما قال «مدمن».

كنت أتمتع بكامل قواي العقلية والجسدية كنت أرى وأسمع وأفهم كل شيء. أنا لا أصنّف بل أؤدي شهادة.

من حق المواطنين اللبنانيين معرفة كل الحقيقة عن حبيقة مهما كانت قاسية والتي تشمل حتماً النساء اللواتي أقام معهن علاقة وكما أنها تشمل الفسوق الذي تمرّغ فيه. المغامرة الدمشقية التي عاشها حبيقة مع مارلين ب. كانت مكلفة جداً. لحسن الحظ كان رفيق الحريري هو المتكفّل بدفع فاتورته في جناحه بالميريديان. لكن حبيقة ذهب في علاقته معها بأن وعدها بالزواج. ثم بدأ يجمع أكبر عدد من العشيقات، المحبّات للمال، فكنّ يرتمين بين أحضانه لأجل سحب المال منه. لم يكن يبحث سوى عن الرغبة الجنسية وجاهزاً لدفع أي ثمن دون حساب أو تقدير. لكنه لم يتعلّق أبداً بواحدة هو صاحب

القرار: يختار ومن ثم يكف عن الاهتمام بهن. لم تقاومه امرأة أبداً ولا نبذته. وأنا أبوح بهذه الأمور لمعرفتي بها. فهو استخدم شقتي الخاصة لتكون مرتع للهوه. كنت أؤمن له غالباً ما يحتاجه لإرضاء شهوته. كان يستخدمني كغطاء له ومراقب لأعلمه في حال وصول مفاجئ للزوج. ولعه برنده زكا، آخر مغامراته قبل فراري دامت ما بين سنتين أو ثلاث. وهذه المغامرة كانت فريدة من نوعها. رندة زكّا، امرأة جميلة، شهوانية، مغرية ذات شخصية قوية نجحت بجذب غاوي النساء.

متزوجة من راغب علامة، مطرب لبناني على الموضة (مواكب للعصر) جميل ومغرور، والمقيمة في أغلب الأوقات في منزلها في نويلي في فرنسا، حيث كان الوزير حبيقة يلتقي بها كل عطلة أسبوع تقريباً. الكلّ كان يعلم ويهمس بأن مسؤول لبناني بارز يهدر أموال الدولة بمغامراته في باريس. لكن لم يتجرأ أحد على تسميته. أعاد حبيقة ترميم وهندسة شقة لها في الحازمية مارتقلا والتي يملكها أصلاً زوجها.

مهندس الديكور الشهير والباهظ الثمن الذي كُلّف بإعادة فرش المنزل وهندسته قبض مبلغ ٤٠٠ ألف دولار.

أخوها، صاحب شركة بناء تحت اسم زكّا للتعهدات، يستحصل على كل العروض المربّحة. عندما بدأ زوجها، المغني، ينشر الإشاعات ويثرثر حول العلاقة التي تجمع العاشقان، أرسلني حبيقة لأصفي الأمور معه. قوي ومدعوم من شهرة معلّمي، أكتفيت بالقول له: «إذا لم تصمت، سوف أدعك تبتلع لسانك وهكذا لن تستطيع

الغناء مجدّداً». وقف شاحباً من الخوف لم يستطع حتى الرّد.
واعتبرت بأنه ليس بحاجة لأكثر من هذا التهديد ليسكت. لكن علامة
المرعوب التجأ إلى السوريين واشتكاني متجنّباً ذكر حبيقة. كان عليّ
مرّة أخرى دفع ثمن تصرفات .H.K لحسن الحظ، توقّف الموضوع
هنا دون أن أعرف كيف؟. كلّف حبيقة محاميه بالاهتمام بمعاملات
طلاق رندا في دفع كل التكاليف التي تعادل ملايين الدولارات في
لبنان.

كان حبيقة يجمع النساء كما يجمع المناظير والتليسكوبات.

لفترة من الزمن، أصبح حبيقة يواظب على التردّد على
العاهرات. الأولى كان اسمها نانا، التي أشبعت رغباته. لكنه كلّفني
أنا ورينيه. ك. معوض بإيجاد المزيد. أتذكّر علاقته مع مغنية لبنانية
مثيرة. أمضى بعض الوقت مع راشيل، راقصة شرقية، وذلك عندما
كان وزيراً للموارد المائية والكهربائية. ثم جاء دور راقصة شرقية
أخرى، داني، المثيرة جداً وكانت متيّمة به وكان سخياً معها. وعندما
قطع علاقته بها حاولت الانتحار. القصة بدأت تثير ضجة. فالرئيس
كان قد استسلم لرغباته دون تقديم النتائج. لستر الموضوع، أرسل
فادي ساروفيم إلى داني مع حوالة مصرفية كبيرة وإنذار لإبقائها
صامتة. بعدها جاء دور لولا، أوليت ش.، شوزيانا ن.

ثم بحث عن شيء مختلف وانتقل إلى سيدات الطبقة العليا
المتزوجات. وهذا كان تحديه الجديد، كان يجد لذّة في تدمير
العلاقات الزوجية. في كل الأحوال فهو لم يكن يهتم سوى بإشباع
رغباته وكان يردّد أمامي في أغلب الأحيان: «ما عليّهن سوى حسن
التصرّف». ماري كلود كانت مفتونة به لدرجة أنها لم تبالي بأخذ

الحذر. وعلم زوجها بيارو. خ. بهذه العلاقة وأصبح ضحيتنا.
ورضي بهذه الإهانة ولم يستطع فعل شيء فقد كان مكتوف الأيدي.
ميرنا المرّ، ابنة وزير الداخلية، وقعت في غرام حبيقة وتحطّم
زواجها. فزوجها جبران تويني اختار الطلاق على أن يتحمّل ضغطي
وإهاناتي وخاصة تعرّض اسمه للعار. فكان الوحيد الذي أبقى رأسه
مرفوعاً وعالياً.

مجون حبيقة مع اثنتان من الدروز أشعلت النيران داخل هذه
العائلة الكريمة.

الجنس والسلطة أصبحا في المستوى نفسه، لهذا لم يتردّد حبيقة
بأن يكون عشيق لنساء قبيحات لالتقاط منهن معلومات مفيدة. وهكذا
كان الحال مع نسرين محمد الخولي ابنة عقيد في القوات السورية
الموجودة في لبنان. تجرأت وسألته ممازحاً: كيف تحتمل النظر إليها
ولمسها، فأجابني بفتور وبابتسامته المتهكمة: «أنها تعطيني معلومات
عن أبيها» كان لديه علاقة أيضاً مع زوجة سكرتير محمد الخولي ومع
عشيقة غازي كنعان.

عمّ والدته، جوزيف الريف الذي كان لديه صالة عرض
للمفروشات في بدارو تزوّج من شابة جميلة تدعى مارلين، راقت
لـH.K، فلاحقها باستمرار حتى توّصل لإغوائها. العاشقان لم يحرصا
على إخفاء أمر علاقتهما والزوج هو رجل محترم وفخور عندما علم
بالعلاقة طلّق زوجته، لأنه لم يكن يريد فضائح أو إراقة دماء. ولكن
لم يلبث أن ضجر حبيقة من مارلين فتركها باحثاً عن أخرى.

إيلي حبيقة تلّذذ بمضاجعة عشيقات وزوجات أفضل أصدقائه أو معاونيه معتبراً ذلك وسيلته لإذلالهم.

وله بهذه المناسبة مسألتين قذرتين. الأولى مع أخت زوجته والتي كانت زوجة أفضل أصدقائه. ماري جان نشاتي والتي كانت آنذاك متزوجة من رينيه ك. معوّض والذي طلّقها منذ بضع سنوات. الأختان ورثتا عن أمهما الإيطالية عادات طائشة وعن أبيهما وهو لبناني من أصل مصري، عدم الأخلاق. ماري جان كانت تجذب وتثير H.K. وعندما يرغب بها لا يستطيع أي أحد أو أي شيء أن يقف بوجهه.

كان لا يتردّد في إيقاظنا لمرافقته إلى زغرتا حين يكون زوجها رينيه غائباً.

ذات مرّة، وقعنا في كمين نصبه الفلسطينيون بالقرب من مخيّم نهر البارد القريب من طرابلس في شمال لبنان. ولا زلت حتى اليوم أتساءل كيف استطعنا النجاة. كنّا نتعرّض لنيران رشاشات أعداؤنا المفروض أن نقاتلهم وكان الرصاص ينهمر علينا كالبَرَد. كنّا مُشرفين على الموت ليس دفاعاً عن القضية بل لإشباع الرغبة الجنسية للزعيم.

في لحظات كهذه، كان هيجانه ينسيه الأخطار المحدّقة بنا. المسألة الأكثر قذارة هي علاقته بزوجة «د. هـ» سياسي عريق من شمال لبنان. كان الزوجين غالباً ما يزورانه في بيروت الغربية لتناول الطعام معه.

الزوجة كانت تحضر له معها طبقه المفضّل «الفوارغ» بعد الطعام والشراب، وبعد أن تتحضّر السيدة لتلبية رغبات حبيقة المتأججة يأتي

دوري للاهتمام بتنويم الزوج الذي كنت أقدّم له كأس من الويسكي مضيفاً إليه جرعة ڤاليوم فيخلد بعدها إلى نوم عميق يستغرق عدّة ساعات تقضيهما الزوجة في أحضان حبيقة في الغرفة المجاورة. كنت أمضي ساعات بالقرب من الزوج المخدوع أشاهد أفلاماً بوليسية. وعند انتهاء لهوهما، يخرجان من الغرفة وكأن شيئاً لم يحصل ويتمتّعان بإيقاظ ضحيتهم بينما أنا جالس منفرداً في زاويتي انتظر الأوامر.

عندما اختطفنا شارل شالوحي من زحلة، أمضى حبيقة وقت لا بأس به برفقة عشيقة رهينتنا الجذّابة. كانت اللقاءات تتمّ في بيته في بيروت الغربية. كذلك أغوى دون تأنيب ضمير زوجة مستشاره وصديقه المفضّل رودي. وكلما كان بارودي خارجاً في رحلة، كان حبيقة يأتي بها إلى الشاليه في السمرلاند وكنت أقف على الباب حارساً ومراقباً لعدّة ساعات. واليوم يراودني شك بأن ربما كان بارودي على علم بهذه العلاقة ولكنه سكت عن هذا الموضوع بهدف الاستفادة مادياً أكثر من حبيقة. مهى مكتبي هي أيضاً راق لها حبيقة الذي كان يسكن نفس المبنى معها. زوجها تاجر سجّاد غني وشعبي محترم ومنظور. اشتمّ رائحة العلاقة بالرغم كل التدابير التي اتخذتها زوجته لإبعاد الشكوك. الفضيحة انتشرت، والزوج المهان لم يلبث أن طلّقها ولكن لسوء حظّها، حبيقة ملّ منها وتخلى عنها. وهكذا دفعت ثمن عدم إخلاصها غالياً. دُمّرت حياتها بسبب H.K الذي لم يكتف بها وكان عنده غيرها لتدفئة فراشه. في نفس المرحلة، كانت راقصة شرقية تسكن في الطابق العاشر من المبنى المقابل لمبناه،

كانت تزوره مساءاً أو صباحاً في شقته. مع العلم من أنها عشيقة غازي كنعان أيضاً. وكانت تأتي بابنتها البالغة من العمر ١٦ سنة لمشاركتها في علاقتها الماجنة من أجل إرضاء عربدة حبيقة (مشاركة من أجل ممارسة جنس جماعي).

هذا الأخير ضاجع فتاة درزية جميلة تدعى هدى والبالغة من العمر ١٦ سنة وكانت تتدّبر أمرها للقاء عشيقها بالرغم من مراقبة والدتها لها والتي كانت تشعر بالخطر المحدّق بابنتها.

كذلك عرض حبيقة نفسه على أغلبية الصحافيات اللواتي جئن لإجراء مقابلات معه في مكتبة في الوزارة. قليلاً ما كان يهتم إذا كنّ جميلات أو قبيحات جذّابات أو شاحبات مثال على ذلك: سكارليت، أخت زوجة بيار يزبك، المقرّب جداً من حبيقة والذي توفي من السيدا منذ عدّة سنوات وكان قد تزوّج من أخت سكارليت وهي أكبر منه بمرتين لتكون غطاء لشذوذه الجنسي المستبعد في المجتمع اللبناني. كذلك ثريا عاصي، راوية بعلبكي من محطة الـ أم - تي - ڤي، ندى الحسيني، رولا موفق والكثيرات غيرهن. حبيقة دلّل كل هؤلاء الصحافيات بهدف التأكد بأنه سيحسنّون صورته أمام الرأي العام من خلال كتابتهن لمقال عنه أو إذاعتهن لمقابلة متلفزة له. كان بحاجة إليهن كثيراً هو الذي كان يبحث عما يمحي ماضيه ويغطيّ حقيقته الآنية في مكتبه في وزارة الموارد المائية والكهربائية أرضى حبيقة العنان لملّذاته. فكان يعطي عقود التأمين للواتي يستطيع أن يطالهم ويستفيد منهن في مشاريعه. لهذا وبين ليلة وضحاها ماري - جو وميشا أصبحتا عميلتين في شركة تأمين وحصلتا على عقود بمبالغ

خيالية مقابل مجونهما مكتب H.K كان الشاهد أيضاً على علاقته برندا التي كانت تتحمّل نزواته بسبب حبّها للمال وليس له.

هلا وتالا عشيقتاه أيضاً وكنت أجلبهما معاً إلى الوزارة وكان يضاجعهما معاً في مكتبه، ثم أعيدهما إلى منزلهما الكائن في فُردان أحد أحياء بيروت الغربية. رندا قصّار كذلك كان يلتقيها في مكتبه الوزاري ولكن سرعان ما انتشر خبر علاقتهما الجنسية مما دفع زوجها إلى أن يطلقها لعدم احتماله هذا الوضع.

كان يوجد بين كل عشيقاته البعض ممنّ أثّرن فيه. هكذا كانت حالة ڤيڤيان روحانا، مالكة محل Zilli «زيلي» محل فخم لبيع الألبسة الرجالية في السمرلند.

كانت جميلة، مثيرة وراضية لهذا كان حبيقة كريماً معها. بالرغم من هذا لم يكن مكتفِ. فأقام علاقة مع طبيبة والتي تسكن في بلدة المنصورية في المتن والتي كانت تعبر خطوط التماس وتجازف لكي تكون في أحضانه وعرفت كيف تجني منه بعض المال. بالنسبة لكارولين كان يستدعيها في حالة واحدة وهي عندما يكون ماراً بزحلة وبحاجة لتسلية كنت أحضرها له إلى منزلي في زحلة. كان دائماً يستعمل شقتي لنزواته. شقتي التي في فرن الشباك كانت مجهزة لهكذا لقاءات فهي عبارة عن نادي ليلي فخم (ماخور) وهناك كان حبيقة يقابل سكرتيرة نبيه برّي رئيس مجلس النواب وزعيم حزب مسلم «أمل».

كان حبيقة يتشاطر هذه العلاقة مع عديلة رينيه. ك. معوض.

وكذلك فعل مع سكرتيرة هذا الأخير، فاسقة جميلة. دفعها رينيه الرضوخ لكل نزوات حبيقة الجنسية من أجل مكاسب مادية. ومن بين النساء التي أراد حبيقة الحصول عليها العارضة الرائعة المشهورة هامو والتي دعاها إلى شقتي في فرن الشباك ولكنه ما لبث أن ضجر منها. وقد أوصلت لها بنفسي مبلغ خمسة آلاف دولار لتبتعد عنه. ومن ضحايا حبيقة، فتاة فلسطينية مسكينة، سلّمته نفسها مقابل أن يعطيها الجنسية اللبنانية ولكنها لم تحصل سوى على أوراق مزيّفة، وتدعى فريال بجّاني.

هنا أيضاً مضيفة في طيران الشرق الأوسط الجميلة ميراي والتي سرعان ما حصل عليها. ولكنها لم تتقبل قطع علاقته بها، وبقي غابي أحد حرّاس حبيقة الخاصين، يزورها في منزلها الكائن في برمانا حاملاً إليها الزهور.

وليحصل على غادة وهي فتاة جميلة في السادسة عشر من عمرها والمقيمة في عين الرمانة، أهدى حبيقة أمّها المعروفة بالشيخة سيارة ب.أم.ف جديدة ٣١٨ سوداء. وللقاءاته بـ ترايسي ش. استعمل يخته الراسي في الكسليك. رحلاته وجولات في التزلج المائي التي كان يقوم بها مع زوجة وزير سابق كانت تنتهي في شاليه حالات. زوجة أحد أبناء عبد الحليم خدّام كانت تلاقيه هي أيضاً، في حين كان زوجها يلاحق المطربة الشعبية الجميلة داليدا رحمة.

أمل زوجة عادل أبو حبيب المسؤول الحالي في الكتائب، وزوجة عاصم قانصو وابنته نادين كانت لهم علاقة حميمة بـH.K علينا

معرفة بأن هذه اللائحة غير مبالغ بها. H.K كان يحتقر كل عشيقاته ولكن ولا واحدة منهن استطاعت أن تتحدّاه.

التحدّث بتفصيل وذكر هذه اللائحة من مغامرات حبيقة العاطفية هي ضرورة حتمية لاكتشاف ومعرفة شخصية H.K الخفيّة: وصف حياته الخاصة، هنا، هي عنصر مهم لفهم القصة وتاريخ هذا الرجل.

المنفذّون الخاضعون

لبنان، كان لا يزال مسرح للمؤامرات وحروب الغدر في الشرق الأوسط، والضحية المستهدّفة.

الحرب التي دمّرته سمحت لسوريا بتحقيق حلمها القديم. لم يكن باستطاعة قادة دمشق تحقيق انتصارها الباهر لولا وجود خونة وجواسيس في الصف المسيحي. كان شعار الخونة المجرّدين من الوطنية: (الخضوع أمام المال). باعوا لسوريا بلدهم مضحّين بشهدائنا الذين سقطوا في ميدان الشرف من أجل قضية مقدّسة والتي لم تكن تعني لهؤلاء الزعماء شيء. وإيلي حبيقة، الذي يداه ملطختان بدماء أفضل رجاله، هو رمز لهذه الخيانة التي أدّت إلى إبادتنا.

أعتقد بأن واجبي تجاه رفاقي أن أذكر أسماءهم لتبقى ذكراهم حيّة في قلوبنا وأرواحنا. الشباب الذين (قضوا) عندما كان إيلي حبيقة رئيس الأمن والمخابرات في القوات اللبنانية هم: عزيز عبد الله، ميشال أبو غانم، جورج وسمير شديد، عادل ريّا، حنّا سرّوجي، بولس كرم، جورج حاج دون أن ننسى ذكر الشباب الأبطال في منطقة

كرم الزيتون وحي السريان، المعروفة (قطاع الشهداء) بمهد الشهداء في سبيل القضية اللبنانية الشباب الذين قضوا على الجبهة أو قتلوا في ٢٧ أيلول ١٩٨٦ خلال محاولة حبيقة السيطرة على سمير جعجع وأمين الجميّل وهم: إميل عسّاف، زياد قصّاص، إميل عازار، ميشال وطوني إسرائيلي، موريس فاخوري، سمير والعريس، خليل فارس، إيلي عقل، شارل قربان، لبنان كرم، فؤاد جمعة وطوني سعادة الذي أصبح مشلولاً، كذلك علينا تذكر كل المخلصين لحبيقة لدرجة أنهم تخلّوا عن كل شيء ليتبعوه في منفاه في زحلة في حين كان المجتمع المسيحي يتهّمه ويقف ضدّه نيقولا معكرون، ميشال رياشي، جورج كفوري، بدري عبد الدايم هؤلاء تركوا عائلاتهم وأصدقائهم ليكونوا معه. عبد الدايم هذا الذي باع كل ما يملك من أجل ترشيح نفسه في انتخابات ١٩٩٢ مدفوعاً من حبيقة الذي أبعده في آخر لحظة.

ميشال زوين الذي كان يعبده كما لم يفعل أحد. نسي نفسه من أجل راحة رئيسه. كان كالأم الحنونة متيقظاً دائماً من أجل حمايته. وفي كل مرّة كان حبيقة يذهب بمهمة، كان زوين يضيء شمعة ويصلي من أجل عودته معافى وسالماً. كان حبيقة عرّاب ابنه الأولى والذي أسماه بشير. أرملته وابنه يعيشان اليوم على الحضيض في باريس. لم يحرّك حبيقة ساكناً لمساعدتهما مادياً حتى لو كانت هذه المساعدة مقابل ذكراه. زوين هذا الرجل الذكي النشيط القادر، لكن حبيقة أراد التخلص منه. ذكاؤه كان يخيف حبيقة. ترك زوين زحلة وهرب إلى باريس حيث بقي فيها إلا أن استدعاه ميشال المرّ، عرّاب الانتفاضة، لكي يدير له الشق العسكري من الانتفاضة. زوين وشارل حبيقة هما اللذان قادا الهجمات على الأحياء المسيحية في الأشرفية.

شارل نجا بفضل أخيه إيلي وكان زوين قُتل أمام مستشفى رزق. العديد من الشباب تركوا كل شيء لخدمة حبيقة: جومانة سويدي، سكرتيرته، بول عريس، أسعد شفتري والكثيرين غيرهم لم أذكر أسماءهم ليس لأنني نسيتهم بل لأنني لم أعد أتذكّر سوى ألقابهم العسكرية، عندما أصبح إيلي حبيقة وزير تخلّص من كل الرجال الأذكياء أو الأقوياء الذين كان من الممكن عدم الامتثال لأوامره أو معارضته فهو بحاجة إلى أشخاص خاضعين ومطيعين. ومن أمثال هؤلاء سامي خوري طوني وزوجته ضاهر، لويس كرم، سجعان قزّي كذلك الأمر بالنسبة لـ إيلي أسود وشارل غوسطين الذين تركوا حزبهم، حزب الأحراء، ليتبعوه.

كان يمارس إيلي حبيقة أقسى أنواع الضغوطات على رجاله المخلصين، الذين حسب تفكيره ممكن أن يعرقلوا نشاطاته أو أن يوقظوا البقية الباقية من ضميره هذا إذا كان لديه ضمير، في رأس اللائحة جوزيف الحاج، المعروف بأبو حلقة، بطل معركة زحلة عام ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ وأحد العسكريين الذين وضع بشير الجميل ثقته به. ثم ريمون حلو، إيلي سعادة المعروف باسم «مشكل» جوزيف أسطفان المدعو «مارشال»، طوني زغبي، جوزيف ناصيف، ناجي نجّار طوني فنّا، إيلي حويّك، إيلي نعمة (أبو ماهر) يوسف حدّاد، بول كريم، فؤاد قرقور، وليد شلّيطا، وليد بستاني، سمير ثابت، ملحم رزق، روبير عواد، متري سيمون والعديد غيرهم من الذين نسيت أسماءهم.

الخلاصة

المعركة مستمرة

لبنان والحق يقال لا يزال مسرح الغدر والخيانة في الشرق الأوسط، أنه أحد رهانات الصراع العربي الإسرائيلي الذي باستطاعة أي شخص أن يحكم فيه ويتحكم ويتركه متقلباً وسوريا على رأس القائمة التي هزت أسس هذا البلد واستطاعت أن تحقق هدفها الأوحد وهو تحويل لبنان إلى دولة تابعة. كان هذا هدفها من أوائل السبعينات لم يكن بوسع الديكتاتوريون السوريون تحقيق هذا الانتصار لولا الخونة والعملاء المسيحيين الذين لم يستطيعوا أن يحافظوا على العلاقات وكان من الواضح أن شعارهم كان الخضوع أمام المال، بلا روح وطنية وبلا ولاء إلاّ لجيوبهم لهذا السبب وبالرغم من معارضة قوة القاعدة المسيحية باعوا لسوريا كل شيء مضحين بأرواح الشهداء الذين سقطوا صرعى في ميدان الشرف مدفوعين بقضية مقدّسة وأفضل مثال على ذلك إيلي حبيقة الذي سجّل أعلى رقم في الضحايا رجال علّقوا آمالهم عليه ووثقوا به واتبعوه وخدموه وماتوا من أجل لا شيء أو فُرض عليهم أن يعيشوا بعزلة محرومين من كل شيء.

قرّرت وأنا بكامل وعيي أن أحطّم قانون الصمت للمافيا اللبنانية الذي يفرض إخفاء كل شيء وعدم التكلّم فجأة فتحت عيناي، وأدركت بأن كل زعمائنا المسيحيين وقادتنا قد استغلّونا لقد بنوا امبراطورياتهم بالقتل والتدمير. بعد مرور سبع وعشرين سنة على اندلاع الحرب في لبنان، هذا البلد الصغير والتي تبلغ مساحته ١٠٤٥٢ كلم[٢] ما زال يرزح تحت الاحتلال الأجنبي.

هذا البلد الساحر الذي كان سابقاً أرض الخيرات، الرخاء والضيافة هو اليوم يعيش محبط ومنكوب. حكومته، برلمانه، جيشه، شرطته، قوى أمنه، مخابراته وعائداته تسيطر عليها سوريا كل زعيم من زعمائنا، لديه ضمن أتباعه قرصانه المموّن (نصّابه الرسميّ). مع بشير كانا جان بسمرجي وجان عسّاف، مع فادي إفرام طوني بريدي وزاهي بستاني، مع فؤاد أبو ناضر إيلي وزّان المعروف باسم «عباس». جورج أنطون، بيار ضاهر ألفرد ماضي نادر سكّر وأنطوان شويري هم لصوص فاعلين لحساب سمير جعجع. وقد نجح جورج سعادة دون مساعدة أحد ولوحده أن يضع يده على الثروة المتبقية لحزب الكتائب. بالنسبة لإيلي حبيقة فقد تغلّب عليهم جميعاً وضرب رقماً قياسياً، فلصوصه الرسميون هم بول عريس، رينيه. ك. معوض وفادي ساروفيم. كان H.K أكثرهم جشعاً ووحشية وبالتأكيد الأكثر خيانة، فقد أحصى أكبر عدد من الضحايا من كل جانب. عدا عن الأثرياء الذين ابتزّهم هناك الشهداء الذين ضحّوا بكل شيء من أجله. فقد ماتوا من أجل لا شيء أو عاشوا في فقر مدقع محرومين من كل شيء.

العميد ريمون أدّه، سياسي مسيحي، زعيم كبير في الكتلة الوطنية، معروف باستقامته ونزاهته، وهو مبعد يعيش في باريس منذ أكثر من ٣٠ عاماً كان يرفض أن يكون شاهد زور لهذا كتب في كتابه «الموساد»: «إيلي هو قوي لكنه دموي وانتقامي. لقد زرع الرعب بحقّ في لبنان عند قطعه لإذن عدو سوري أو مسلم كان يضعها في حبل كذكرى. كان عميل مهم للموساد مما يدفعني للتساؤل بأية طريقة ماكرة استطاع حبيقة أن يصبح معاون للسوريين بحيث تفرضه دمشق كوزير فعّال في كل حكومة. كيف يمكن لرجل مثله أن يكون وفيّ تجاه وطنه لبنان؟ وكيف يستطيع أن يعارض أمر يصدر من دمشق؟ في كتابي المطبوع باللغة الإنكليزية والمنشور سنة ١٩٩٩ في الولايات المتحدة صرّحت بأنني جاهز للمثول أمام العدالة في بلد القانون وقد صرح الرئيس إميل لحود بأن القانون فوق الجميع وسيطبّق على الجميع. قدّمت المستندات وجهزّت الأدلة وأعطيت كل الأسماء والتفاصيل واحتفظ كذلك بجزء لإيداعه للعدالة. وها أنا لا أزال أنتظر، آملاً أن لا يكون شعار بلد القانون هو فخ على غرار «إعادة الأعمار».

أقام إيلي حبيقة ورودي بارودي دعاوى بحقيّ مطالبين بسجني وتغريمي بدفع عطل وضرر جسيمين كردّ اعتبار، لكرامتهما المهانة! ولم تأخذني الدهشة حين صدر حكم العدالة التي يقال أنها نزيهة لمصلحتهما، وكنت أنا الضحية المسكنة، المحكوم عليه. لبنان، بلدي أصبح بقرة حلوب بين أيدي المسؤولين والذي لكل واحد منهم معلّم سوري يدعمه ويدفعه لاستنزاف البلد والشعب تحت غطاء إعادة الإعمار.

خلال حرب المئة يوم، بينما كانت المدافع السورية تقصف بوحشية منطقة الأشرفية، ألقى الرئيس كميل شمعون كلمة تاريخية محذّرة عن عبد الحليم خدّام:

«هذا الجاهل يريد الاستيلاء على لبنان لكي يفرض عليه هيمنته». لكن لا أحد أخذ بها.

- لماذا القضاء النزيه صرف النظر عن كاتب «الأيادي السوداء» للنائب نجاح واكيم، المال عندما يحكم لهنري إدّه، رفيق الحريري لرينيه نابا وغيرهم؟
- لماذا لم يحقّق القضاء مع إيلي حبيقة حول الجرائم التالية:

١ ـ محاولة اغتيال مصطفى سعد عام ١٩٨٥.

٢ ـ اغتيال طوني سليمان فرنجية وعائلته عام ١٩٧٨.

٣ ـ محاولة اغتيال الدكتور سليم الحص عام ١٩٨٤.

٤ ـ محاولة اغتيال الوزيرين الدرزيين وليد جنبلاط ومروان حمادة عام ١٩٨٥.

٥ ـ اغتيال داني شمعون وعائلته في تشرين الأول ١٩٩٠.

٦ ـ مجازر صبرا وشاتيلا ١٩٨٢.

٧ ـ اختطاف وقتل الدبلوماسيين الإيرانيين الأربع عام ١٩٨٢.

٨ ـ اغتيال ضباط وجنود من الجيش اللبناني عام ١٩٩٠.

سمير جعجع هو الذي أوقف وحوكم فكان كبش المحرقة المثالي: حوكم بالسجن المؤبد عام ١٩٩٤.

رفيق الحريري

إن تنقل الملياردير رفيق الحريري في بيروت كان يتنبّه له الجميع لأن أثناء مروره كان يتوّقف عمل الأجهزة الخلوية. فسيارته الليموزين مزوّدة بجهاز يكشف السيارات المفخخّة عن طريق تعطيل هذه الأجهزة وهذا ما كان يثير استياء المواطنين.

وعند مغادرته لمكان إقامته، كانت تنطلق ثلاثة مواكب كل موكب باتجاه مختلف وذلك لتضليل القتلة المحتملين. ربما أحسّ العديد من اللبنانيين بالفخر من كون رجل عادي لا ينتمي إلى الوسط السياسي التقليدي قد استطاع الوصول إلى سدّة الرئاسة في الدولة ولكن الأغلبية منهم اعتبرت أن الحريري هو الذي باع بلدهم لسوريا وقد دمّر الاقتصاد اللبناني ليكون جزءاً من المؤسسة السياسية.

ولد سنة ١٩٤٤، قطع دراسته، في المحاسبة عام ١٩٦٥ وهاجر إلى المملكة العربية السعودية حيث حصل على الجنسية السعودية محتفظاً بجنسيته اللبنانية وهذه حالة نادرة. وعمل هناك كمدّرس خصوصي قبل أن يؤسس شركة بناء الـ«سيكونست» والتي باشرت

نشاطها عام ١٩٧٧. خطوته الأولى نحو الثروة، كانت بناء مجمّع سياحي في مدينة الطائف الذي تضمّن بناء قصر المؤتمرات. لُزم المجمّع بكلفة تفوق ثلاثة أضعاف عنه، لكن كان المطلوب إنجازه بمهلة قياسية لا تتعدى ١٣ شهراً استخدم رفيق الحريري لهذه العملية الشركة الفرنسية «أوجيه» والتي اشتراها لاحقاً.

قدّم الحريري ٣٠ مليون دولار للرئيس أمين الجميل لكي يتنازل عن الحكم قبل سنة من نهاية رئاسته، لقد أراد الحريري أن يستبدله بـ«جوني عبده» ويستأثر لنفسه رئاسة مجلس الوزراء. كان يدّعي أن بإمكانه إقناع السوريون بدعم مشروعه عبر إعطائهم مبلغ ٥٠٠ مليون دولار. لكن الرئيس الجميّل رفض هذا الاقتراح. ساعد الحريري السوريين على إنجاز سيناريو الطائف المسمى «وثيقة الوفاق الوطني» نتيجة الاجتياح والاحتلال السوري للبنان، عاد الحريري إلى لبنان حيث اشترى حصص في كثير من المؤسسات الإعلامية المكتوبة والمرئية والمسموعة لإدارة مجلس الإنماء والإعمار. فكانت كل المشاريع الإعمارية للدولة اللبنانية تمرّ مباشرة عبره وعبر مؤسساته.

نتيجة لأزمة اقتصادية واجتماعية حادة واجهت حكومة عمر كرامي (سنيّ)، قرّر حافظ الأسد تسمية الحريري على رأس الحكومة اللبنانية، تسميته أثارت في البداية الحماسة، أقلّه على الصعيد الاقتصادي. ولكن سياسته الاقتصادية التي اتبعها كانت الأكثر سوءاً وصل الدين اللبناني اليوم، سنة ٢٠٠٢، ما يعادل ٣٢ مليار دولار بينما كان أقل من مليارين عند استلامه السلطة عام ١٩٩١. إن أزمة مشابهة للتي حصلت في الأرجنتين تهدّد حالياً اللبنانيين.

وضع رفيق الحريري يده على وسط مدينة بيروت التي دُمرّت بقسمها الأكبر من جراء الحرب، وبدّد أكثرية معالمها الأثرية لكي يستغل أوسع مساحة للبناء عليها. يُقال أنه رجل أعمال جيّد. لكن الكثير من اللبنانيين يعرفون أنه باع زوجته، أم بهاء، إلى الملك السعودي مقابل مبلغ كبير من المال واتفاقيات بناء. وحوّل بلده إلى مكان دعارة مخصص لملوك البترول العرب.

(حسب البعض) يقال بأنه ساعد وموّل دراسة (تعليم) زياد الجرّاح المسؤول عن الطائرة الرابعة التي تحطمّت قبل أن تصل إلى هدفها في عملية اعتداء ١١ أيلول ٢٠٠١.

عمّ الجرّاح، هو المسؤول في بنك البحر المتوسط فرع البقاع الذي يملكه رفيق الحريري.

«جوني عبيدو المسمى عبده درّبنا على طرق ووسائل لمعرفة المعلومات والاستجوابات (المخابرات) خلال العام ١٩٧٦. عائلته، من أصل فلسطيني، أصبحت لبنانية عام ١٩٤٨. في الواقع، الأب هو صاحب مرآب في طرابلس، مقرّباً بالرئيس الجنرال فؤاد شهاب. دخل جوني إلى الكليّة الحربية إبان رئاسة الياس سركيس. مكتب المخابرات يقع في مبنى سوكومكس في الطابق السادس بالقرب من البيت المركزي للكتائب على طريق المرفأ. كان جوني عبده على علم بكل تحركّات وتصرّفات القوّات اللبنانية بما فيها التصفيات التي كانت تنفذّها افتخر بتقديم معلومات حول صبرا وشاتيلا لحبيقة خلال سفر هذا الأخير إلى أوروبا للقاء الحريري وكان ذلك بحضوره بصفته موظّف في السفارة اللبنانية في باريس.

صبرا وشاتيلا

نفي حبيقة مشاركته في مجزرة صبرا وشاتيلا.

ـ كل المساهمين في الحرب اللبنانية شاركوا بهذه القضية أو كانوا على الأقل على علم بها. على رأس اللائحة: السوريون الذي كان حبيقة على اتصال معهم منذ سنة ١٩٨١ بواسطة سامي الخطيب. كان H.K يذهب إلى أوروبا للقائهم. ويسافر من مطار بيروت آنذاك بحراسة من المكافحة، فوج في الجيش اللبناني بإمرة جوني عبدو، المسؤول عن جهاز المخابرات في الجيش اللبناني.

ياسر عرفات قائد فرقة «أمن ١٧» الفرقة المسيطرة على بيروت والموكل إليها حفظ أمن الموفدين (الوفود)، لم يتفوه بكلمة واحدة حول موضوع صبرا وشاتيلا كي لا يفضح دور شريكه ومستشاره بيار رزق المعروف بـ«الياس أكرم» والمسؤول عن اختيار مقاتلي مخيّم صبرا وشاتيلا وكان مركزه المدينة الرياضية. فأجهزة الأمن التي يديرها ياسر عرفات كانت تهتّم فقط بالسيارات المفخخة الموضوعة في المنطقة الشرقية.

فتحت الدولة اللبنانية تحقيقاً عبر المدّعي العام أسعد جرمانوس. ولكن ملف هذا التحقيق اختفى.

هل لأن أسعد جرمانوس كان شريك بول عريس (المسؤول المالي لجهاز الأمن التابع لحبيقة) والذي أعطى مالاً لستيف نقور ليستأجر تراكتورات لحفر حفر لدفن جثث ضحايا صبرا وشاتيلا؟

كان هناك شهيدان في برمانا في صبرا وشاتيلا هما طوني الزيبق وهاني الفترياديس، وهما تابعان لسمير يونس أحد ضباط القوات اللبنانية الذي يتبع أوامر ميشال زوين شخصياً، وقد كان ميشال زوين أحد المسؤولين والمشاركين في صبرا وشاتيلا.

هذان القتيلان في المخيمات هما عنصران من جيش لبنان الجنوبي التابع لسعد حدّاد القائد الأعلى لهذا الجيش والمُتّهم أيضاً باشتراكه مدعوماً من حبيقة.

قضية سمير جعجع

بعد أن تخلّص من الجنرال (العماد) ميشال عون، قرّر حافظ الأسد الانتهاء من القوات اللبنانية ومن قائدها الدكتور سمير جعجع.

الانفجار الذي وقع في كنيسة سيدة الخلاص في جونيه والذي أسفر عنه عدّة قتلى وجرحى في ٢٧ شباط ١٩٩٤ أعطى حجة قانونية لفتح ملفّات أُقفلت بسبب عفو عام صدر عن النظام الحاكم. أن نظام دمشق المعتاد على المناورات وجد في الاعتداء على الكنيسة والذي سبّب الكثير من الأضرار البشرية والمادية الذريعة لإحدى مناوراتها على القانون. جعجع، الذي بُدِّأ عام ١٩٩٦ من تهمة الاعتداء على الكنيسة والذي ارتكبها على الأرجح عملاء سوريون. أدين من قبل القضاء المشكوك بنزاهة واستنسابه، باغتيال رشيد كرامي عام ١٩٨٧ رئيس الوزراء على عهد أمين الجميّل، وباغتيال داني شمعون وعائلته في تشرين الأول ١٩٩٠. محكوماً عليه بالإعدام، لا يزال جعجع مسجوناً في زنزانة إفرادية منذ عام

١٩٩٤ في وزارة الدفاع الواقعة في ضاحية بيروت الشرقية يجب القول بأن كل الطبقة السياسية اللبنانية من جيش وشرطة وقضاء هم موضوعين بأمرة المحتل السوري. الممثّل باللواء غازي كنعان المفوض الأعلى وبـ عدنان عضوم المدّعي العام وهو من أصل سوري.

الاجتيـــاح الســـوري

في ١٣ تشرين الأول عام ١٩٩٠

بضوء أخضر أمريكي توّلى الجيش السوري اجتياح آخر المناطق الحرّة في لبنان فأمريكا كانت بذلك تسعى لانضمام سوريا إليها في حربها ضد العراق الذي اجتاح الكويت. لأول مرّة تشارك الطائرات السورية في الهجوم وذلك بفضل اتفاق ضمني مع الدولة العبرية وبمساندة من مدفعية القوات اللبنانية.

أعدم الجنود السوريون بالرصاص حوالي ٣٠ جندياً وضابطاً لبنانياً عُزل من السلاح بينهم النقيب البيرطنوس، قتلوا الرائد زهُرب في الحدث كما قتلوا أربعة عشر مدنياً بينهم عائلة بأكملها في قرية بسوس.

وحصلت عمليات ابتزاز ضد المدنيين من قتل، سرقة، واغتصاب دّلت على مرور القوّات السورية في المناطق التي كانت ما تزال تحت سيطرة الحكومة الشرعية لحكومة الجنرال ميشال عون تحت غطاء اتفاق الطائف المدّبر من قبل الإدارة الأميركية والسوريين، احتّل حافظ الأسد كامل أراضي جيرانه (لبنان).

منذ ١٣ نيسان ١٩٧٥، فشلت المقاومة بصدّ كل محاولات الاعتداء المباشر والمموّه من قبل السوريين لكن مع هذا الاجتياح السوري المدعوم على الصعيد اللبناني والمموه من قبل الياس الهراوي رئيس الجمهورية المعيّن من دمشق، ومن إميل لحوّد قائد الجيش اللبناني حقَّق حافظ الأسد أهدافه.

اغتيال إيلي حبيقة

(٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٢)

كان من السهل على السلطات اللبنانية، الممثّلة لتوجيهات المحتّل السوري، أن تربط اغتيال إيلي حبيقة بشهادته المنتظرة ضد آريال شارون في قضية صبرا وشاتيلا والتي كانت ستجري محاكمته في بروكسل بعد شهرين، ولكن هذه المحاكمة لم تحصل وما لا يحتمل أن السلطات اللبنانية نفسها أقفلت ملف التحقيق في اغتيال H.K والذي تسبّب أيضاً بمقتل ثلاثة من حرسه الخاص. من الصعب، نظراً لقلّة المعلومات المتوافرة تحديد بطريقة قاطعة من هم المسؤولين الحقيقيين عن هذه الجريمة. ولكن من المهم ذكر وجود سبب آخر غير توريط المخابرات الإسرائيلية، الأصدقاء السابقين للقائد المُغتال. منذ وفاة حافظ الأسد عام ٢٠٠٠ أحسّ حبيقة باليُتم فعرفان الجميل الذي كان يكنّه له الدكتاتور الرّاحل لم يكن له مثيل في محيطه، صعود H.K السياسي، المرّفع إلى مقام وزير ونائب كان نتيجة قرار مباشر من حافظ الأسد.

خسر حبيقة الانتخابات التي جرت بعد موت الرئيس السوري

بأشهر قليلة. غير مطمئن على مستقبله الشخصي مستحوذة عليه فكرة كونه رجل مخابرات أبدى حبيقة استعداده بمنح خدماته للأميركيين وذلك بعد اعتداءات ١١ أيلول. فأخذ يبحث عن عماد مغنيّة الملاحق من المخابرات الأميركية، فهو العقل المدّبر للاعتداءات الشيعية في بيروت، بخاصة الاعتداء ضدّ المظليين الفرنسيين والبحرية الأمريكية في ٢٣ تشرين أول عام ١٩٨٢ والمسؤول عن تحويل مسار طائرة T.W.A (شركة طيران عبر العالم عام ١٩٨٦).

من الممكن أن يكون حبيقة ذهب ضحيّة مهمته الجديدة وأن يكون قد صُفيّ بعملية مدّبرة بين السوريين وحلفائهم في حزب الله.

على كلّ حال، الطريقة التي نفّذت في الاغتيال مشابهة للطريقة التي اغتيل فيها رينيه معوّض عندما كان رئيساً للجمهورية وكذلك في اغتيال مفتي الجمهورية عام ١٩٨٩، وهاتان العمليتان نُسبتا إلى المخابرات السورية. هذه هي الإشاعات المتداولة في بيروت حول هذا الاغتيال...

بعض الجرائم وعمليات ابتزاز نظام حافظ الأسد في لبنان

١٥/١٢/١٩٧٦: القوات السورية تحاصر مراكز ومطابع الجرائد اليومية اللبنانية (المحرّر، بيروت والدستور).

١٧/١٢/١٩٧٦: كذلك جريدة السفير.

١٩/١٢/١٩٧٦: نفس الشيء بالنسبة لجريدة النهار (الصادرة بالعربية) و L'orient le jour (الصادرة بالفرنسية).

١٦/٣/١٩٧٧: السوريون يغتالون القائد الدرزي كمال جنبلاط باعتراف ابنه وليد.

٢٧/٦/١٩٧٨: وحدات من القوات الخاصة السورية بإمرة العقيد علي ديب، اقتحمت بلدة القاع المسيحية بالبقاع وقتلت ٣٠ شاباً سحبتهم من منازلهم دون توجيه أية تهمة إليهم.

١/٧/١٩٧٨: القوات السورية المتمركزة في محيط الأشرفية وعين الرمانة في منطقة بيروت الشرقية، قصفت بالمدفعية المدينة وسكانّها لمدّة ١٠٠ يوم متتالية محاولة اقتحامهما والتي باءت بالفشل.

٢٣/ ٢/ ١٩٨٠ : قُتلت ابنة الشيخ بشير الجميل باعتداء كان المقصود به والدها. المخطّطون هم أعضاء من الحزب السوري القومي الاجتماعي ومؤسسه هو أنطوان سعادة المسيحي.

٢٤/ ٢/ ١٩٨٠ : سليم اللوزي، الصحافي اللبناني المعروف وجد مقتولاً على طريق المطار بعد أن اختطفته المخابرات السورية أثناء مغادرته لبنان.

٢٢/ ٧/ ١٩٨٠ : رياض طه من كبار الصحافيين اللبنانيين ونقيب الصحافة، قُتل على يد المخابرات السورية.

٢٧/ ٨/ ١٩٨٠ : السفير الأميركي «جون غنزدين» نجا من محاولة اغتيال دبّرها عملاء سوريون.

٢٣/ ١٢/ ١٩٨٠ : القوات السورية تقصف بالمدفعية مدينة زحلة البقاعية. وتعيد الكرّة في ٣/ ٤/ ١٩٨١.

وهذه المرّة كانت الغارات أكثر كثافة ووحشية.

٢٤/ ٥/ ١٩٨٢ : عملاء سوريون مسؤولون عن انفجار حصل في السفارة الفرنسية أسفر عن ٩ قتلى و٢٦ جريحاً.

١٤/ ٩/ ١٩٨٢ : اغتيال الرئيس بشير الجميّل وعدد من مرافقيه بانفجار نفذّه حبيب الشرتوني عميل سوري.

٢٣/ ١٠/ ١٩٨٣ : سورية متورّطة بالاعتدائين الإرهابيين ضدّ البحرية الأميركية والمظليين الفرنسيين والذي أوقع ٢٢٥ قتيل من البحرية و٨٥ من المظليين.

١٨/ ٩/ ١٩٨٦ : حسين مصطفى طلاس يقتل كريستيان غوتيير الملحق العسكري الفرنسي بالقرب من السفارة الفرنسية.

٧/ ١٠/ ١٩٨٦ : نائب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى يقتل بإطلاق النار عليه في وضح النهار (الشيخ صبحي الصالح).

٢٢/ ١١/ ١٩٨٦ : مجزرة قام بها الجيش السوري في طرابلس. مئات اللبنانيين خطفوا وقتلوا ورُميت جثثهم في البحصاص عند مدخل المدينة.

٢/ ٨/ ١٩٨٧ : مستشار الرئيس أمين الجميّل محمد شقير قتل في شقته في بيروت الغربية.

٩/ ٥/ ١٩٨٩ : مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد قتل بتفجير سيارة. كان متهّم بتعاطفه مع عون.

٢٢/ ١١/ ١٩٨٩ : فُجّرت سيارة رينيه معوّض الرئيس المنتخب بعد اتفاق الطائف وقد قُتل لرفضه تغطية اجتياح سوريا للمناطق المحرّرة من لبنان والخاضعة لحكم رئيس مجلس الوزراء الجنرال عون.

١٣/ ١٠/ ١٩٩٠ : القوّات السورية تجتاح جميع المناطق المحرّرة ونقتل حوالي ٣٠٠ جندي لبناني مجرّدين من السلاح (عُزّل) في منطقة ضهر الوحش وتقتل ١٤ مدنياً في بسوس وآخرين في الحدث ومناطق أخرى.

هذا ليس سوى نموذج عن الجرائم المرتكبة في لبنان من قبل القوات والمخابرات السورية. وهذا لم نأتِ على ذكر اختفاء مئات

من الشباب اللبنانيين والذين أودعوا في السجون السورية دون محاكمة ولا يزالون حتى الآن كذلك حدثت عدّة عمليات خطف، قتل ومجازة، دون ذكر القصف المدفعي للأحياء السكنية وعشرات السيارات المفخّخة التي تمّ تفجيرها في وسط العاصمة.

ملحقـــات

الياس، المدعو إيلي، جوزيف حبيقة ولد في القليعات في كسروان.

ألقاب حربية (عسكرية) متتالية: إدوار من ١٩٧٧ حتى ١٩٧٨ ثم H.k من ١٩٧٨ حتى موته (وفاته) المأخوذ من اسم سلاح أتوماتيكي (رشاش) «هكلروكوش» الذي كان يحمله حبيقة أثناء معركة بيروت والكرنتينا عام ١٩٧٨.

تزوج من جينا ريمون نشاتي عام ١٩٨١.

رزق بطفلة، سابين، توفيت في ظروف مأساوية عام ١٩٨٢.

ابنه الوحيد وُلد عام ١٩٨٣ (جوزيف).

لم يتابع دراسته، حصل على الشهادة المتوسطة ثم وُظّف كحاجب في بنكودي روما في بيروت عام ١٩٧٨.

جعل الإسرائيليون منه رجلاً قوياً ذو نفوذ... أسطورة ويا لها من أسطورة!

خلال نفيه إلى دمشق من ١٩٨٦ إلى ١٩٨٨ تعلّم الإنكليزية الفرنسية وبعد المفاهيم في المعلوماتية كان متواضعاً ومحبوباً من مجموعته قبل العام ١٩٨٢ ومجزرة صبرا وشاتيلا. وابتداءاً من هذا التاريخ المقدّر، تغيّر كلّياً لم يعد يهمّه شيء سوى السلطة والمال.

منكفء (منطو على ذاته) وماكر بطبيعته، زرع حوله حالة من الغموض أثرّت في كل من اقترب منه ممّا ساعده على توطيد سلطته ونفوذه.

لم يكن لديه أي نشاط مهني، ولم يكن اجتماعياً.

من جهة أخرى، كان يتجنّب صحبة الناس بغضّ النظر عن فريق عمله المطيع. ليس لديه أي صديق ليس لديه أي حب أو احترام لعائلته لم يكن لديه أي مشروع سياسي.

كان متلصلص، ولذّته الوحيدة الجنس وتحطيم العائلات.

قتل بتفجير سيارته قرب منزله في كانون الثاني عام ٢٠٠٢.

ممتلكات حبيقة الرسمية لغاية ١٩٩٦

ممتلكات حبيقة الرسمية حتى سنة ١٩٩٦ شقة في الطابق الثاني في منزل أهله، بنيت على نفقة الياس شرتوني، في حي أدونيس في الذوق.

شقة في الطابق السابع من بناية صفير في جونية، مرفأ على بعد ٢٠كلم من بيروت، خلف نادي إكينوكس. نصف الثّمن دُفع (بواسطة) من الياس شرتوني.

شقة في كفرحباب، قرب جونية، إيجارها دُفع (بواسطة) من

ماريو سيمونيدس، أحد موظفيه الأمنيّين (مسجون منذ ١٦ سنة في اليونان بتهمة تهريب أسلحة ومخدّارات).

شقة في أدما في الطابق الثالث، تماماً فوق شقة أسعد شفتري، قرب جونيه دُفع ثمن كِلا الشقتين نقداً من قسم جهاز الأمن.

ڤيلا في أدما، ميشال المر، «مموّل شبكتنا، قدّم الأرض وبنك المشرق قدّم المال. شاليه فخمة في (مجمّع) مشروع حالات سور مير (حالات على الشاطئ البحر). قدمها الياس ميشال المر، ابن ميشال المر. سيارة ب.أم.ڤ. فضيّة اللون (رمادي فضيّ) مصفّحة، مسروقة من السّفارة الإيرانيّة وأعيد طلاؤها باللون الكحلي.

يخت ماركة «سيكار» سمّاه حبيقة هوك (أطلق حبيقة عليه اسم هوك، في الكسليك في النادي اللبناني للسّيّارات والسّياحة) قرب جونية.

نزيد على ذلك، أنه كان يملك أيضاً شاليه عدد ٢ في فاريا وڤيلاّ رائعة في مجمع (مزار ٢)، شقة مساحة ١٢٠٠م^{٢} في الحازمية، وعدد من الأراضي تقع في أدما - فتقا وقرب «سد شبروح» في بسكنتا. وكان له أيضاً مصالح في عدة مشاريع (منشآت) رياضية (نادي التزلج الباب فاريا - جذ - سْكِي في جونية - نادي الغطس في ضَبيّة)، وكان يملك عدة سيارات، تلقاها هدايا بدل نِسَبْ في الأسواق ضمن إطار E.D.L وكان يمتلك حسابات مالية في عدة مصارف سويسريّة.

لائحة شبكة المراقبة
العسكرية السورية في لبنان

هذا التقرير يكشف لائحة وبنية شبكة المخابرات السورية في لبنان. هذه الشبكة مسؤولة عن الإدارة السياسية والقضائية للبلاد وأيضاً عمليات الابتزاز المرتكبة ضد اللبنانيين وغير اللبنانيين المقيمين في لبنان: تعذيب، سجن إنتقائي، اختفاء، الخ. هذا التقرير يعطي أيضاً أسماء الموظفين اللبنانيين اللذين يعملون في مؤسسات يفترض أن تكون لبنانية، ولكن ليسوا سوى واجهات تكوّن غطاءً لتحركات الشبكة السورية.

الاسم	المنطقة اللبنانية الموضوعة تحت تصرفه
اللواء غازي كنعان	القائد الأعلى للمخابرات السورية في لبنان - عنجر - المركز الرئيسي لكنعان، مدينة قربية من شتورا
العريف (العميد) عدنان بلّول	مساعد كنعان، مسؤول عن سجن عنجر
العقيد يوسف العبد	قائد سجن عنجر

العقيد أمير كنعان	مدير المخابرات ـ عنجر
العقيد برهان قدور	عنجر
العقيد يوسف الأحمد	عنجر
العقيد يوسف عبد الله	عنجر
المقدم علي الصغير	عنجر
العقيد رستم غزالي	مساعد غازي كنعان ومسؤول عن بيروت (ملقب بـ دكتور).
العقيد جامح جامح	سجن البوريڤاج، بيروت قريب من مبنى الأونيسكو.
العقيد سليمان شبلاق	مطار بيروت
العقيد فريد الحكيم	رأس بيروت ـ منطقة الحمرا
العقيد سمير محمود	منطقة خلدة
العقيد سعيد رباح	المتن الأعلى حمانا
المقدّم محمد جبور	صوفر
الرائد حسام سكّر	عاليه ـ الشوف
العقيد عبد الله الحريري	المتن الشمالي
العقيد نصار فرج	رميله ـ الجنون
العقيد بسام مصطفى	دير القمر
المقدم يحيى حداد	القاع ـ رأس بعلبك
الرائد جمال علي	البقاع الشمالي
العقيد مصطفى براك	البقاع الشرقي
العقيد علي صافي	بعلبك
العميد معين زازا	البقاع الجنوبي
العقيد نزار صقر	زحلة

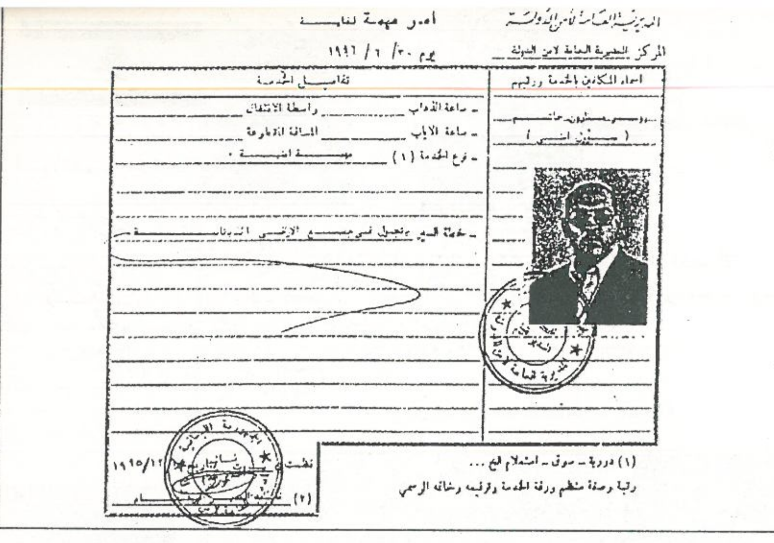
الرائد محمود حسن	مشغرة
العقيد توفيق حيدر	شتورا
المقدم سميح قشامي	طليا
العقيد محمد خلوف	قائد منطقة الشمال
العقيد نبيل حشيمي	طرابلس
العقيد محمد مفلح	حلبا ـ عكار
الرائد أحمد إبراهيم	بترون
النقيب فراس	المنية (قرب طرابلس)
الرائد علي سليمان	قبيات وادي خالد
المقدّم فارس عصفور	بشرّي

العقيد جهاد صفتلي، مسؤول الأمن السياسي (اسم مستعار لمكتب الاغتيالات السياسية) المسؤول عن مقتل داني شمعون وعائلته وعن مقتل رينيه معوض أيضاً. أعلن السوريون أن صفتلي مات قرب شتورة، في ضهر البيدر، منتصف التسعينات، البعض يقول لكن ينسى الناس أعماله الإجرامية إلى حدٍ ما.

المراجع

- روجيه عزام، متاهات المأساة اللبنانية، الجزء الأول منشورات المركز اللبناني للمعلومات والأبحاث للشرق الأوسط (النسخة العربية، طبعت في فرنسا في لاڤال).
- هنري إده، المال عندما يحكم، بيروت، منشورات شركة المطبوعات والتوزيع ١٩٩٩.
- رينه نبأ، رفيق الحريري، منشورات حرمتّان ١٩٩٩.
- نجاح واكيم، الأيادي السوداء، منشورات شركة المطبوعات والتوزيع ١٩٩٨.

المستندات



المديرية العامة لأمن الدولة
المركز المديرية العامة لأمن الدولة

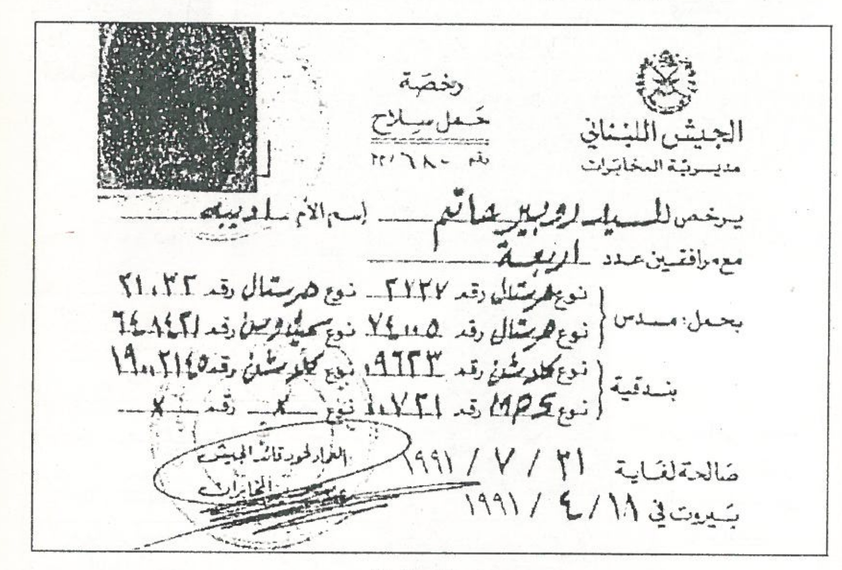
أمر مهمة لنا
يوم ٣٠/ ٦/ ١٩٩٦

اسماء المكلفين بالخدمة ورتبهم	تفاصيل الخدمة
روبير حاتم (مسؤول امني)	ـ ساعة الذهاب ـ واسطة الانتقال
	ـ ساعة الاياب ـ المسافة المقطوعة
	ـ نوع الخدمة (١) مهمة امنية .
	ـ خدمة السير بتجول في جميع الاراضي اللبنانية

(١) دورية ـ سوق ـ استلام الخ ...
رتبة وصفة منظم ورقة الخدمة وتوقيعه وخاتمه الرسمي
نظمت في بيروت بتاريخ ١٩٩٥/١٢/
(٢)

مستند رقم ١

تصريح بالمرور مع أمر مهمة لكوبرا مصدّق من السلطات اللبنانية



الجيش اللبناني
مديرية المخابرات

رخصة
حمل سلاح
رقم ٢٢/٦٨٠

يرخص للسيد روبير حاتم إسم الأم ماديه
مع مرافقين عدد اربعة

يحمل: مسدس { نوع هرستال رقم ٢١٢٢٧ نوع هرستال رقم ٢١٠٣٢
نوع هرستال رقم ٧٤١٠٥ نوع سميث وسن رقم ٦٤١٩٤٢١ }

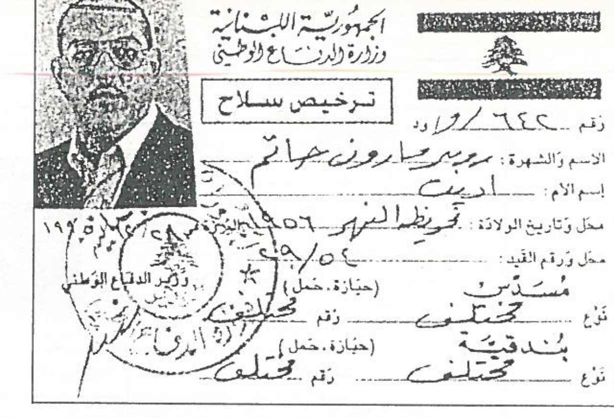
بندقية { نوع كلاشنكوف رقم ١٩٦٣٣ نوع كلاشنكوف رقم ١٩٠٠٢١٤٥
نوع MP5 رقم ١٠٧٢١ نوع × رقم × }

صالحة لغاية ٢١ / ٧ / ١٩٩١
بيروت في ١٩/٤ / ١٩٩١

العماد اميل لحود قائد الجيش
المخابرات

مستند رقم ٢

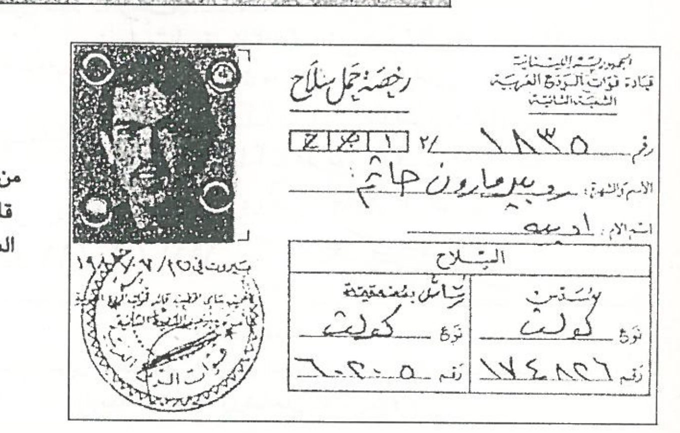
رخصة حمل سلاح لكوبرا، أعطيت من الجنرال إميل لحود عندما كان قائدا للجيش اللبناني،
(أربعة مسدسات ورشاشان كلاشينكوف)



الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني
ترخيص سلاح

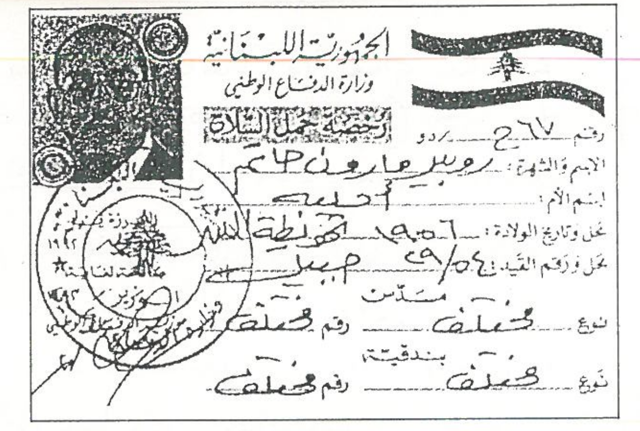
من وزير الدفاع اللبناني محسن دلّول

من قائد الجيش آنذاك إميل لحود



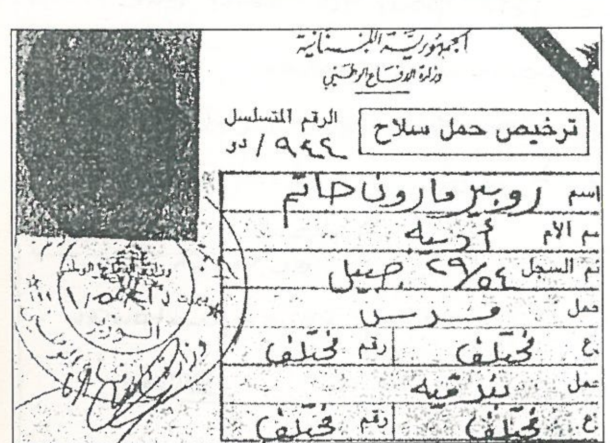
الجمهورية اللبنانية
قيادة قوات الردع العربية
رخصة حمل سلاح

من سامي الخطيب قائد قوات الردع العربية لسلاحين إسرائيليين



الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني
رخصة حمل السلاح

من ميشال المر



الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني
ترخيص حمل سلاح
الرقم المتسلسل ٩٤٤ / دو

من وزير الدفاع ميشال المر



مستند رقم ٣: رخصة حمل سلاح لحبيقة أعطيت تحت اسم مستعار: سامي حبيب

A celui que je garde tout au fond de moi (autant qu'ami, qu'un ami ..., qu'un amant ----!.)

j'aimerai bien autant qu'ami garder ta promesse à vie et te voir assez souvent.

Bonne fête pour la Saint Elie.

tu es tjs dans mes pensées, surtout en ce jour là comme si c'était ma fête à moi.

AAkbel el Miech

witsyr Raiiss jaumhourieh

Marlein

مستند رقم ٤

ترجمة ما هو بخط اليد.

إلى الذي أحفظه في أعماقي (كصديق، كحب، كعاشق...!).

أحب كثيراً كصديق أن احتفظ بوعدك طوال حياتي وأراك غالباً. (كثيراً). عيد سعيد بمناسبة مارالياس. أنت دائماً موجود في أفكاري، بخاصة في هذا النهار كما انه عيدي أنا.

عقبال الميّة وتصير رئيس جمهورية مارلين

ATT. M. TAMRAZ

1- La somme présentée n'a pas été considérée suffisante

2- Nous insistons pour 12×10^6 $ comme montant total.

3- Nous attendrons un papier de vous expliquant la procédure d'un transfert futur.

4- Pas de contact avec qui que ce soit entre temps.

مستند رقم ٥

ترجمة ما هو بخط اليد.

إلى السيد تمرز.

١ ـ المبلغ المرسل لم يعتبر كافياً.

٢ ـ نصرّ على ١٢ × ١٠^٦ كمبلغ إجمالي ١٢٠٠٠٠٠٠$.

٣ ـ ننتظر ورقة منكم توضح كيفية تحويل المبلغ المقبل.

٤ ـ لا اتفاقات مع كائن من كان في هذه الأثناء.

ATT MR. TAMRAZ

MANY PERSONS DID SOME CONTACTS WITH THE SYRIANS ASKING ABOUT YOU (WALID, ETC, ---) THEY WERE ORDERED NOT TO ASK ANY MORE. OF COURSE THE SYRIANS KNOW WHERE YOU ARE. YOUR FATE DOES NOT INTEREST ANY BODY.

YOU'D BETTER THINK IT OVER ONCE AGAIN AND START THINKING OF REVEALING THE SECRET ACCOUNTS YOU HAVE AND PAYING THE CASH MONEY REQUESTED.

YOU WILL BE PERMITTED TO EAT AND DRINK ONLY WHEN YOU WILL START A POSITIVE ACTION. AND THE BOYS ARE INSTRUCTED TO PUSH FORWARD MISTREATING YOU UNTIL YOU FULFILL OUR REQUES AND BELIEVE ME THEY CAN DO MIRACLES.

ASSO IS INSTRUCTED NOT TO SEE YOU ANYMORE UNTIL ....

مستند رقم ٦

طلب فدية بخط حبيقة: يطلب اثنا عشر مليون دولار من تمرز.

ترجمة ما هو بخط اليد (بالإنكليزية)

إلى السيد تمرز.

عدة أشخاص قاموا باتصالات مع السوريين يسألون عنك، (وليد، إلخ...) طلب منهم عدم السؤال ثانية. بالطبع يعرف السوريون عن مكان وجودك. مصيرك لا يهم أحداً من الأفضل لك أن تفكر أن الأمر انتهى مرة أخرى وأن تبدأ بالتفكير بالإعلان عن حساباتك السرية وتدفع نقداً المبلغ المطلوب.

سيُسمح لك أن تأكل وتشرب فقط عندما تبدأ بالقيام بأعمال إيجابية. وأن الشباب معهم تعليمات بزيادة معاملتك السيئة حتى تنجز طلباتنا وتأكد أنهم يستطيعون أن يقوموا بالعجائب. لدى (أسعد شفتري) تعليمات بعدم مقابلتك حتى...

0331/4 3597569

→ Bureau Paris

→

N: 5046

Geneva

TLX 423094

WEDGE BANK

مستند رقم ٧

ترجمة ما هو بخط اليد.

٠٣٣١/٤٣٥٩٧٥٦٩

مكتب باريس

رقم ٥٠٤٦ جنيف

تلكس ٤٢٣٠٩٤.

ويدج بنك.

SOMEBODY WOULD LIKE TO KNOW THE NATURE OF YOUR RELATIONSHIP WITH

ADNAN RAHHAMDANI

- AYAD MAHMOUD

AND THE AMOUNTS PAID TO THEM, WHEN, WHY AND HOW.

YOU WILL BE GIVEN PAPERS AND A PEN TO ANSWER.

مستند رقم ٨

ملاحظة بخط ساروفيم التي قام بتحويل الفدية من تمرز إلى هذا الحساب في جنيف.

ما هو بخط اليد (بالإنكليزية):

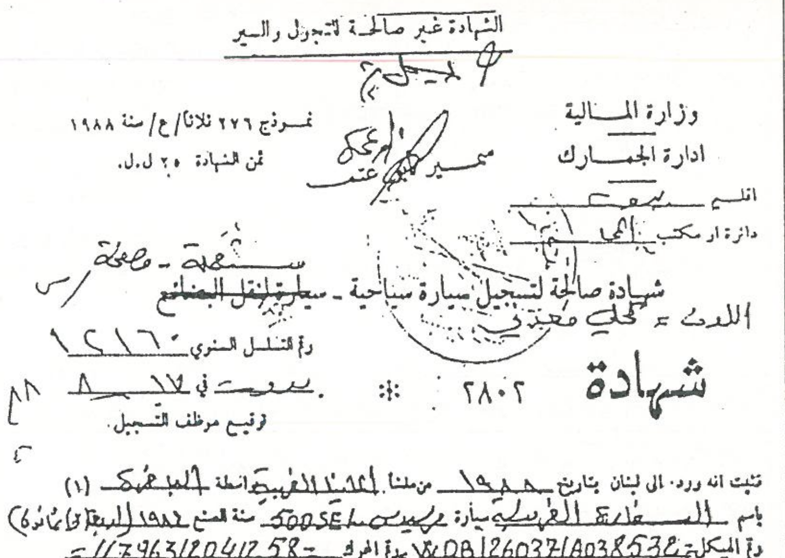
أحدهم يريد أن يعرف طبيعة علاقاتك مع:

- عدنان رمحمداني.
- إياد محمود.

والمبالغ المدفوعة لهما، متى، لماذا وكيف سوف تحصل على أوراق وقلم للإجابة.

رسالة بخط حبيقة إلى روجيه تمرز. وراء أحدهم يبدو أن يختبئ: عند عبد الحليم خدام، نائب الرئيس السوري. عدنان رمحمداني وإياد محمود ضابطان سوريان رفيعا المستوى. إشارة إلى أنهما علويَيْن، مثل الرئيس حافظ الأسد.

«أحدهم يريد معرفة طبيعة العلاقات مع عدنان رمحمداني وإياد محمود، كذلك قيمة المبلغ الذي دفع لهما، متى، لماذا وكيف. سيعطونك ورقة وقلم لكتابة جوابك».



الشهادة غير صالحة للتجول والسير

وزارة المالية

ادارة الجمارك

نموذج ٢٧٦ ثلاثاً/ع/سنة ١٩٨٨

ثمن الشهادة ٢٥ ل.ل.

الاقليم بيروت

دائرة او مكتب المحاسبة

شهادة صالحة لتسجيل سيارة سياحية - ~~سيارة لنقل البضائع~~

اللون أزرق كحلي معدني

رقم التسلسل السنوي ١٢١٦٠

شهادة ٢٨٠٢

بيروت في ١٧ / ٨ / ٨٨

توقيع موظف التسجيل.

تثبت انه ورد الى لبنان بتاريخ ١٩٨٨ من ألمانيا الغربية بواسطة الباخرة (١)

باسم السفارة الفرنسية سيارة مرسيدس 500SEL سنة الصنع ١٩٨٤ (السيارة مستعملة)

رقم الهيكل WDB1260371A038532 رقم المحرك 11796312041258

وقد نظم بها بيان في وضع الاستهلاك المحلي رقم ٣٠٢٨ تاريخ ٢٣ / ٧ / ٨٨

واستوفيت الرسوم الجمركية والرسوم الاخرى المترتبة عنها بموجب الايصال رقم ٢٩٠٣٧

تاريخ ٢٧ / ٧ / ٨٨ ومبلغ مجموع الرسوم

لم تخضع السيارة لاي تنزيل في القيمة (٤)

أخضعت السيارة لتنزيل بسبب اضرار لحقت بها وازل مبلغ ليرة لبنانية من قيمتها (٤)

اعطيت هذه الشهادة دون ان تتحمل ادارة الجمارك من اجلها اية مسؤولية ولا يمكن اعطاء شهادة بدل عنها الا ضمن الشروط المحددة بمذكرة مديرية الجمارك العامة رقم ٢١٦ تاريخ ٣ شباط ١٩٨٢ ودفع جميع الرسوم مجدداً بصورة التأمين الى صندوق الجمرك والتعهد بتحمل كل مسؤولية تنجم عن اساءة الاستعمال.

رقم البصم 88B10566 الشهر الثامن

نظمت هذه الشهادة في بيروت بتاريخ ١١ / ٨ / ٨٨

توقيع منظم الشهادة

المراقب الاول ~~رئيس المكتب~~

مستند من وزارة المالية، إدارة الجمارك، تأكد دخول المرسيدس المصفحة لروجيه تمرز إلى لبنان سرقها حبيقة، وتسمح بتحرير البطاقة الرمادية.

هذه الأوراق زورها رودي بارودي قبل أن يعاود بيعها.

«هذا التصريح (الإفادة) ليس رخصة قيادة.

«وزارة المالية».

الكلفة: ٢٥ ليرة لبنانية.

«إدارة الجمارك».

«منطقة بيروت».

«مكتب المحاسبة».

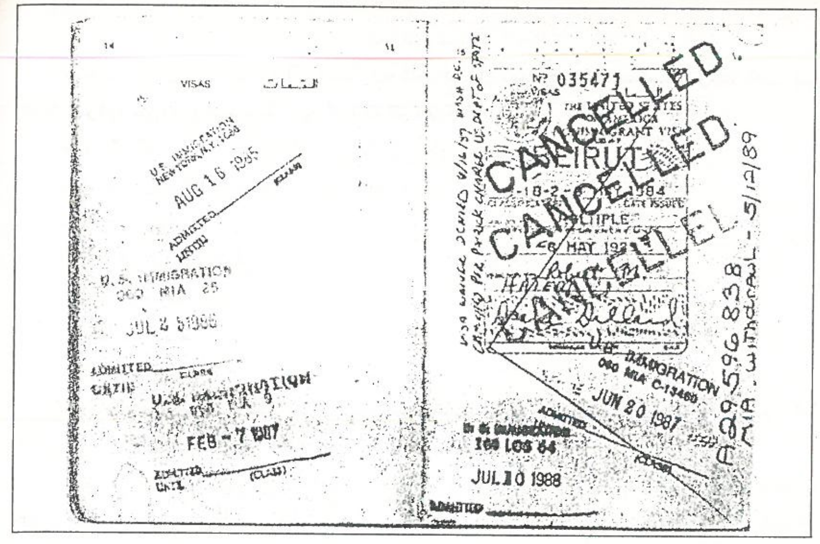
«شهادة صالحة لتسجيل سيارة سياحية مصفحة لون أزرق معدني. شهادة رقم ٢٨٠ أعطيت في بيروت في ١٧ آب ١٩٨٨».

«تأكد أن سيارة استوردت إلى لبنان سنة ١٩٨٨ من ألمانيا الغربية بالباخرة، باسم السفارة الفرنسية، مرسيدس SEL ٥٠٠، مصنعة سنة ١٩٨٤ رقم الشاسي WDB ١٢٦ A ٠٣٨٥٣٢. ورقم الموتور ٢٥٨ ٢٠٤ ١١٧٩٦٣١ «أعطي بيان عن استعمالها محلياً رقم ٣٠٢٨ في ٢٣ تموز ١٩٨٨.

الرسوم الجمركية والرسوم الأخرى دفعت (وصل رقم ٢٩٠٣٧) في ٢٧ تموز ١٩٨٨ رقم الوصل ١٠٥٣٦ B ٨٨ (الشهر الثامن).

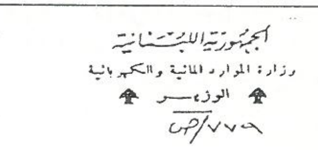
إفادة صادرة في بيروت في ١١/آب ١٩٨٨ (...).

فملاحظة: لبناني منذ أكثر من عشر سنوات.



مستند رقم ١٠

بسبب حبيقة، تأشيرة دخول كوبرا إلى الولايات المتحدة ألغيت ومنع من الإقامة



الجمهورية اللبنانية
وزارة الموارد المائية والكهربائية
الوزير

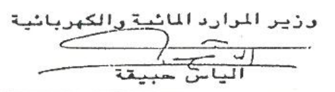
سعادة امين عام وزارة الخارجية المحترم،

نأمل من سعادتكم تزويد السيد روبير مارون حاتم بكتاب توصية الى السفارة الاسبانية والفرنسية بهدف الحصول على تأشيرة دخول.

مع جزيل الشكر.

بيروت في ٢٨ نيسان ١٩٩٤

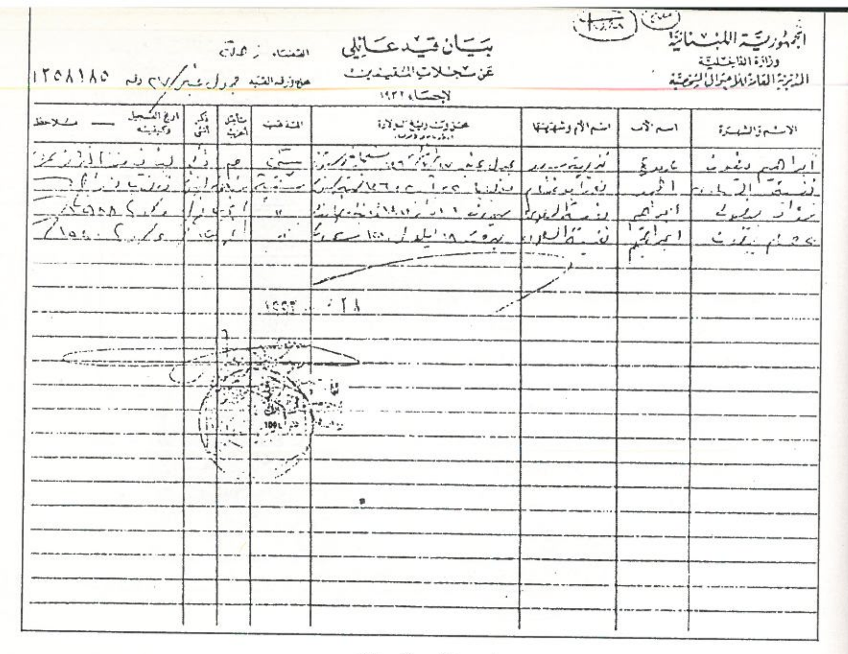
وزير الموارد المائية والكهربائية



الياس حبيقة

مستند رقم ١١

يريد إيلي حبيقة، وزير الكهرباء والماء آنذاك إلى السكريتير العام في وزارة الخارجية، كي يتدخل لدى السفارة الفرنسية للحصول على تأشيرة دخول إلى فرنسا وإسبانيا لمصلحة كوبرا



الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية
المديرية العامة للأحوال الشخصية

بيان قيد عائلي
عن سجلات النفوس
لإحصاء ١٩٣٢

الاسم والشهرة	اسم الأب	اسم الأم وشهرتها	محل وتاريخ الولادة	المذهب	ملاحظات

مستند رقم ١٢

بطاقة عائلة مزورة للحصول على مساعدات من الدولة.

«بطاقة عائلية للأحوال المدنية وزارة الداخلية.

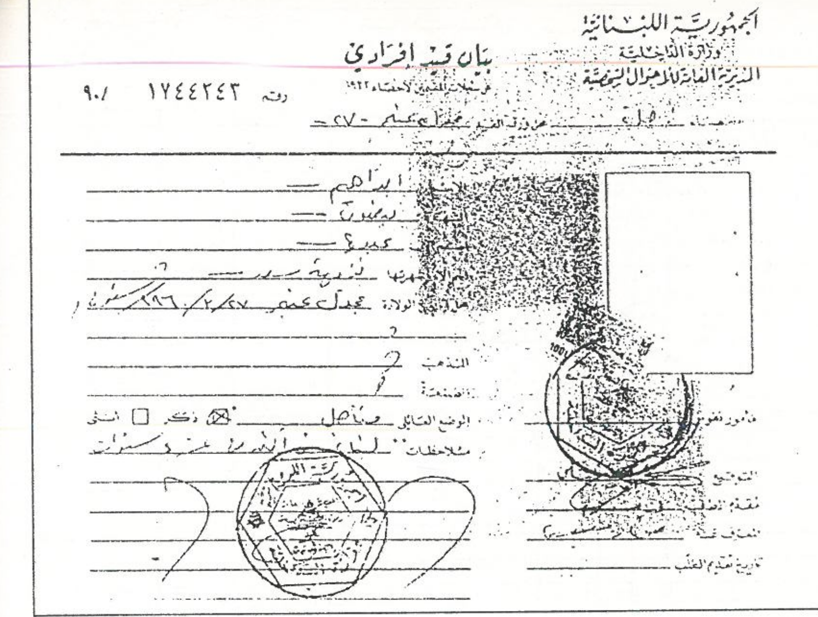
زحلة (مجدل عنجر)

الاسم	الشهرة	اسم الأب	اسم وشهرة آلام
إبراهيم	بيضون	عبده	نزيهة سعد
نفيسة	السلوى	أحمد	نورة عبده غنام
فؤاد	بيضون	إبراهيم	نفيسة السلوى
عصام	بيضون	إبراهيم	نفيسة السلوى

مكان وتاريخ الولادة	المذهب	الوضع العائلي	الجنس	ملاحظات
مجدل عنجر ١٩٦٠/٣/٢٥	سني	متزوج	ذكر	لبناني منذ أكثر من ١٠ سنوات
مجدل بابو ١٩٦٥/٨/٢٢	سني	متزوجة	أنثى	لبنانية بالزواج
بيروت ١٩٨٨/٣/١	سني	أعزب	ذكر	لبناني المولد
بيروت ١٩٩٠/٩/١٨	سني	أعزب	ذكر	لبناني المولد

مستند رقم ١٣

بطاقة أحوال شخصية مزورة.


الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية
المديرية العامة للأحوال الشخصية
بيان قيد إفرادي
عن سجلات الإحصاء ١٩٣٢
رقم ١٧٤٤٢٤٣ /٩٠

بطاقة أحوال شخصية.

عن سجلات إحصاء ١٩٣٢.

وزارة الداخلية.

مكتب الأحوال الشخصية.

زحلة.

الاسم: إبراهيم.

الشهرة: بيضون.

اسم الأب: عبده.

اسم وشهرة الأم: نزيهة سعد.

مكان وتاريخ الولادة: مجدل عنجر ١٩٦٠/٣/٢٥.

المذهب: ؟

الصنعة: ؟.

الوضع العائلي: متزوج.

الجنس: ذكر.

ملاحظة: لبناني منذ أكثر من ١٠ سنوات.

الجمهورية العربية السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
شعبة المخابرات ـ فرع الديوان

الرقم ٢٥٩/ ١٧٧/
التاريخ ١٢/ ٨/ ١٤١٧ هـ
الموافق ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٦ م

الى فرع الامن والاستطلاع في لبنان

ـ يسمح بالدخول والخروج من القطر اللبناني والى القطر العربي السوري وبالعكس

للسيد زهير حاتم بسيارة مرسيدس رقم /٨٩٨٧٩٨/

وذلك اعتبارا من تاريخه ولغاية ١٩٩٧/١٢/٣١ .

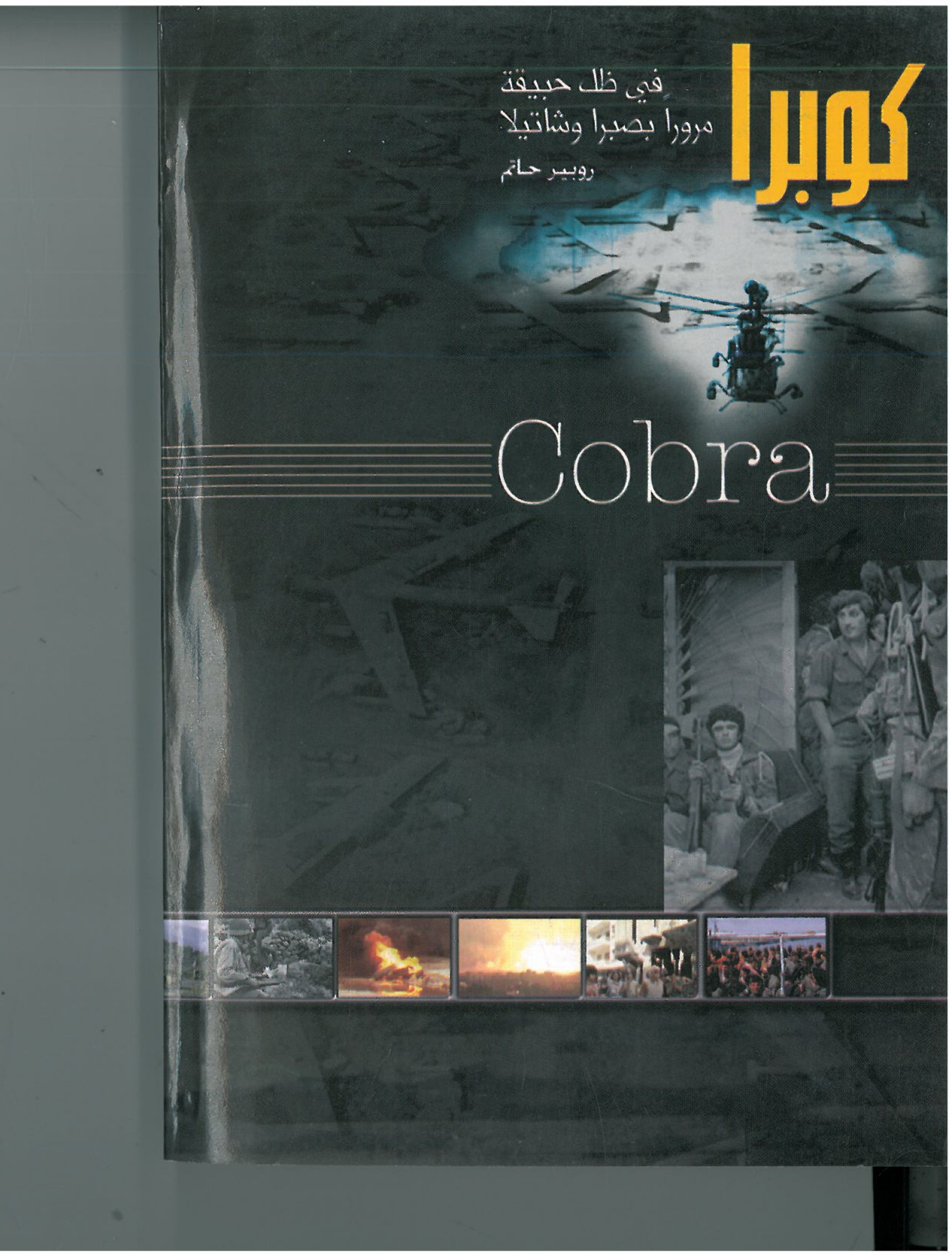
ملاحظة :
ـ لاتعتبر الصورة عن هذا التصريح سارية المفعول ويعاد الى مصدره فور انتهاء مدته .

العماد علي عيسى دوبا
رئيس هيئة الاركان ـ رئيس شعبة المخابرات

مستند رقم ١٤

إذن مرور من إمضاء الجنرال علي دوبا، رئيس المصالح السورية، لحرية تنقل الأشخاص، لدخول والخروج بحرية إلى سورية.

الفهرس


كوبرا
في ظل حبيقة
مرورا بصبرا وشاتيلا
روبير حاتم
Cobra